الجزء التاسع عشر

من كتاب الأغاني

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

أخبار محمد بن وُهيب

اسمه ونسبه:

محمد بن وُهيب الحمْيري صَليبةً شاعر عن أَهل بغدادَ من شعراء الدولة العباسية، وأَصله منَ البصرة، وله أَشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها، ويصف إِيطانه إياها ومنشأه بها.

تكسبه بشعره وتشيعه:

وكان يستمنح الناس بشعره، ويتكسبُ بالمديح، ثم توسّل إلى الحسن بن سهل بن رجاء بن أبي الضحاك ومدحه، فأَوصله إِليه وسمع شعره فأَعجب به واقتطعه إِليه، وأوصله إِلى المأْمون حتى مدحه وشفع له فأَسْنى جائزته، ثم لم يزل منقطعاً إِليه حتى مات، وكان يتشيّع، وله مَراثٍ في أهل البيت.

منزلته:

وهو متوسط من شعراء طبقته، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياءُ متكلّفة.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: زعم أَبو محلم. وأَخبرني عمي، عن علي بن الحسين بن عبد الأَعلى عن أَبي محلم، قال:

إجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم بمحمدِ بن عبد الملك الزيات أن أَمير المؤمنين يقول لكم من كان منكم يحسن أَن يقول مثل قول النّمرِيّ في الرشيد:

خليفةُ اللَّهِ إنَّ الجودَ أَوْدِيةٌ ... أَحلَّك اللَّهُ منها حيث تَجتمعُ

من لم يكن بأَمين اللَّه مُعتصِماً ... فليس بالصَّلواتِ الخَمْسِ ينتفعُ

إِنْ أَخلف القَطْر لم تخْلِف مَخايلُهُ ... أَوْ ضاق أَمْرٌ ذكرناه فيتَّسِعُ

[البسيط]

فليدخل وإلا فلينصرِفْ فقام محمد بن وُهيب فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأيّ شيء قلت؟ فقال:

ثلاثةٌ تُشرق الدنيا ببهجتهمْ ... شمسُ الضحا وأَبو إِسحاقَ والقمرُ

تـحـكـي أفـاعـيـلـه فـي كـل نـائـبـة ألـغـيـثُ والـلـيـثُ والـصَّـمـصـامـةُ الـذَّكـرُ
[البسيط]

فأَمر بإِدخاله وأَحسن جائِزته.

لزومه للحسن بن رجاء:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال:

حدثني محمد بن محمد بن مروانَ بن موسى، قال: حدثني محمد بن وَهيب الشاعر قال: لما تولى الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك (الجَبَلَ) قلت فيه شعراً وأَنشدته أصحابنا دِعبلَ بن عليٍّ وأَبا سعدٍ المخزوميّ وأبا تمام الطائيّ فاستحسنوا الشعر وقالوا: هذا لعمري منَ الأشعار التي تلقى بها الملوك فخرجت إِلى الجبل فلما صرت إِلى همذانَ أخبره الحاجب بمكاني فأَذن لي فأَنشدته الشعرَ فاستحسن منه قولي:

أَجـارَتَـنـا إِن الـتـعـفُّـفَ بـالـيـاس وصـبـراً عـلـى اسـتـدرار دنـيـا بـإِبـسـاسِ[1]
حَـرِيَّـانِ أَلَّا يـقـذفـا بـمـذلـةٍ كـريـمـاً وأَلَّا يُـحـوجـاهُ إِلـى الـنـاسِ
أَجـارتَـنـا إِن الـقِـداحَ كـواذبٌ وأكـثـرُ أَسـبـاب الـنـجـاح مـعَ الـيـاسِ
[الطويل]

فأَمر حاجبه بإِضافتي فأَقمت بحضرته كلما دخلت إِليه لم أنصرف إِلا بحِملان وخلعة وجائزة حتى انصرم الصيف فقال لي: يا محمدُ! إِن الشتاء عندنا علجٌ[2] فأَعد يوماً للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحبُّ إِليَّ، فلما كاد الشتاء أن يشتد، قال لي: هذا يوم الوداع، فأَنشِدني الثلاثة الأبيات فقد فهمتُ الشعرَ كله فلما أنشدته:

أجـارتَـنـا إن الـقِـداحَ[3] كـواذبٌ وأكـثـرُ أسـبـابِ الـنـجـاح مـعَ الـيـاسِ
[الطويل]

قال: صدقت ثم قال: عدوا أَبيات القصيدة فاعطوه لكل بيت ألفَ درهم فعدّت فكانتِ اثنين وسبعين بيتاً، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم. وكان فيما أنشدته (في مقامي) واستحسنه قولي:

---

(١) الابساس: عملية يقوم بها الراعي بأن يمسح ضرع الناقة لتدرّ اللبن.
(٢) علج الشتاء: اشتداد قساوته.
(٣) القِداح، الواحد قدح: السهام التي كان العرب في جاهليتهم يستقسمون بها.

صـــوت

دمـــاءُ الـــمـــحـــبـــيـــن لا تُـــعـــقـــلُ[١] أمـــا فـــي الـــهـــوى حـــكـــم يـــعـــدلُ؟
تـــعـــبّـــدنـــي حـــوَرُ الـــغـــانـــيـــاتِ ودان الـــشـــبـــابُ لـــه الأخـــطـــلُ[٢]
ونـــظـــرةِ عـــيـــنٍ تـــعـــلَّـــلـــتُـــهـــا غِـــراراً كـــمـــا يـــنـــظـــر الأحـــولُ
مـــقـــســـمـــةٍ بـــيـــن وجـــه الـــحـــبـــيـــ ـبِ وطـــرفِ الـــرقـــيـــب مـــتـــى يـــغـــفَـــلُ

[المتقارب]

في هذه الأبيات هزج طُنبوري سمعته من جحظةَ فذكر أنه يُراهُ للمسدودِ ولم يحقق صانعه.

قال الأصبهانيّ: وهذه الأبيات له في المطلب بن عبد اللَّه بن مالك الخزاعي.

قال محمد بن وُهيب: وأهدي إِلى الحسن بن رجاء غلامٌ فأُعجب به فكتبت إِليه:

لـــيـــهـــنـــك الـــزائـــرُ الـــجـــديـــدُ جـــرى بـــه الـــطـــائـــر الـــســـعـــيـــدُ
جـــاء مـــشـــوقٌ إِلـــى مـــشـــوقٍ فَـــــــــــــذا وَدُودٌ وذا وَدودُ
يَـــوم نَـــعِـــيـــم وَيَـــوم لَـــهْـــوٍ خُـــصِـــصْـــتَ فـــيـــه بـــمـــا تُـــرِيـــدُ
إِلـــفٌ مَـــشُـــوقٌ إِزاءَ إِلـــفٍ فَـــمُـــســـتَـــفـــادٌ وَمُـــسْـــتَـــفِـــيـــدُ

[مخلع البسيط]

وحدثني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار بهذا الخبر، عن يعقوبَ بنِ إسرائيلَ قرقارة، عن محمد بن (محمد بن) مروان بن موسى.

عن محمد بن وُهيب، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه: فلم يزل يستعيدني.

أَجـــارتَـــنـــا إِن الـــقِـــداح كـــواذبٌ وأكـــثـــرُ أســـبـــاب الـــنـــجـــاحِ مـــعَ الـــيـــاسِ

[الطويل]

وأنا أُعيده عليه فانصرفت من عنده بأَكثرَ مما أؤمّل.

تعظيم أبي القاسم بن عيسى له:

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب، قال: حدثني أَبو هِفَّان قال:

---

(١) لا تُعقل: لا تُدفع ديتها.
(٢) الأخطل من الشباب: السريع الحركة بخفّة.

حدثني خالي، قال: كنت عند أَبي دُلَفَ القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمدُ بن وهيب الشاعر فأَعظمه جداً، فلما انصرف قالَ له أَخوه مَعْقِلٌ: يا أَخي، فعلتَ بهذا ما لم يستأْهله، ما هو في بيت منَ الشرف، ولا في جمال منَ الأَدب، ولا بموضع منَ السلطان، فقال: بلى يا أَخي، إنه لحقيقٌ بذلك، أَو لا يستحقه، وهو القائل:

صـوت

يَـدُلُّ عـلـى أَنـنـي عـاشـقُ ... مـنَ الـدمـعِ مُـسْـتَـشْـهَـدٌ نـاطِـقُ
ولـي مَـالـكٌ أنـا عَـبْـدٌ لـه ... مُـقِـرٌّ بـأَنـي لـه وَامِـقُ[1]
إذا مـا سَـمَـوْتُ إلـى وَصـلِـه ... تَـعـرَّضَ لـي دونـه عـائِـقُ
وحـاربـنـي فـيـه رَيـبُ الـزمـانِ ... كـأَن الـزمـانَ لـه عـاشِـقُ

[المتقارب]

في هذه الأَبيات رمل طُنْبوري أَظنه لجحظة.

تهنئته للمطلب بن عبد اللَّه بالحج:

حدثني عمّي، قال: حدثنا عبدُ اللَّه بن أَبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال:

لما قدم المُطّلِبُ بنُ عبد اللَّه بن مالك منَ الحَجّ لقيه محمد بن وُهيب مسْتَقبلاً معَ من تلقاه، ودخل إِليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره، وعاد إِليه في الثانية فأَنشده قصيدةً طويلة مدحه بها، يقول فيها:

ومـا زلـتُ أسـتـرعـي لـك الـلَّـهَ غـائـبـاً[2] ... وأظـهـرُ إشـفـاقـاً عـلـيـك واكـتـمُ
وأَعـلـم أَن الـجـود مـا غـبـتَ غـائـبٌ ... وأَنَّ الـنـدى فـي حـيـث كـنـت مـخـيّـمُ
إِلـى أَن زجـرتُ الـطـيـر سـعـداً سـوانـحـاً ... وحـمَّ لـقـاءٌ بـالـسُّـعـود ومَـقْـدَمُ
وظـلَّ يُـنـاجـيـنـي بـمـدحـك خـاطـرٌ ... ولـيـلِـيَ مـمـدودُ الـرّواقـيـنِ أَدهَـمُ
وقـال طـواه الـحـجُّ فـاخـشـع لـفـقـده ... ولا عـيـشَ حـتـى يَـسـتـهِـلّ الـمـحـرّمُ
سـيـفـخـرُ مـا ضـمَّ الـحـطـيـمُ وزمـزمٌ ... بـمُـطّـلِـبٍ لـو أَنَّـه يـتـكـلـمُ

---

(١) الوامق: العاشق، المحبّ.

(٢) أسترعي لك اللَّه: أطلب إليه أن يرعاك ويصونك.

وما خُلِقتْ إلا مِنَ الجودِ كفُّه ... على أنها والبأْس خِدنَانِ[١] توْأَمُ
أعدْتَ إلى أَكنافِ[٢] مكةَ بهجةً ... خزَاعِيَّةً كانت تُجلُّ وتعْظمُ
ليالي سُمارُ الحجونِ إلى الصَّفَا ... خُزَاعَةَ إذْ خَلَّتْ لها البيتَ جرهمُ
ولو نطقت بطحاؤُها وحَجُونها ... وخيفُ منىً والمأزمانِ وَزَمزمُ[٣]
إذاً لادعت أجزاء جسمك كلها ... تنَافسُ في أقسامه لو تحكمُ
ولو رُد مخلوقٌ إلى بدء خلقه ... إذاً كنت جسماً بينهن تُقسّمُ
سما بك منها كل خيفٍ[٤] فابطحٍ ... نِصابُك منه الجوهرُ المتقدمُ
وحنَّ إليك الركن حتى كأَنه ... وقد جئتهُ خِلٌّ عليك مُسَلِّمُ

[الطويل]

قال: فوصله صِلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله.

طرب الحسن بن سهل لشعره واقتطاعه لنفسه:

أخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله، قالوا:

كان محمد بن وُهيب الحميريّ لما قدم المأمون من خُراسانَ مُضاعاً مطَّرحاً، إنما يتصدَّى للعامة وأوساط الكتَّاب والقواد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير فلما هدأتِ الأمورُ واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسنُ بن سهلٍ يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوي مودَّته ومن يقرب من أُنسه فتوسل إليه محمد بن وُهيب بأَبي حتى أَوصله معَ الشعراء، فلما انتهى إليه القولُ استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها:

ودائعُ أسرارٍ طوتها السرائرُ ... وباحتْ بمكتوماتِهِنَّ النواظرُ
تمكّنَ في طَيِّ الضمير وتحته ... شبا[٥] لوعةٍ عضب[٦] الغِرارينِ[٧] باتِرُ

(١) خِدنان: صديقان متلازمان. (٢) الأكناف: الواحد كنف: الجانب.
(٣) المأزمان: موضع بمكة المكرّمة يقع بين المشعر الحرام وعرفات، وهو عبارة عن شعب بين جبلين ينتهي في بطن عرفات. وزمزم: بئر مكة العظيم.
(٤) الخيف: موضع في مكة المكرّمة.
(٥) شبا لوعة، الواحدة شباة: ما يقطع القلوب من الأحزان.
(٦) العضب: السيف القاطع، الباتر.
(٧) الغِرار: شفرة السيف وحدّه القاطع.

فـاعـجَـم[١] عـنـهـا نـاطـقٌ وهـو مُـعـربٌ وأَعـرَبـتِ[٢] الـعُـجـمُ الـجـفـون الـنـواظـرُ
ألـم تـغـذُنـي الـسَّـراءُ فـي ريِّـقِ الـهـوى غـريـراً بـمـا تَـجـنـي عـلـيّ الـدوائـرُ
تُـسـألـنـي الأيـامُ فـي عـنـفـوانـه ويـكـلـؤنـي طـرفٌ مـنَ الـدهـر نـاظـرُ
[الطويل]

حتى انتهى إلى قوله:

إِلـى الـحـسـن الـبـانـي الـعُـلا يـمَّـمـتْ بـنـا عوالي المُنى حيث الحيا[٣] المتظاهرُ[٤]
إِلـى الأمـل الـمـبـسـوط والأجـل الـذي بـأعـدائـه تـكـبـو الـجـدود[٥] الـعـواثـرُ
وإِن أَنـبـعَـثْ عـيـنَ الـمـكـارم كـفُّـه يـقـوم مـقـامَ الـقـطـر، والـروضُ دائـرُ
تـعـصَّـبَ تـاجَ الـمُـلـك فـي عـنـفـوانـه وأطت[٦] بـه عـصـرَ الـشـبـاب الـمـآثـرُ[٧]
تـعـظـمـه الأوهـامُ قـبـلَ عـيـانـه ويـصـدرُ عـنـه الـطـرف والـطـرف حـاسـرُ
به تُجتدى[٨] النُعمى[٩] وتستدركُ المنى وتـسـتـكـمـل الـحُـسـنـى وتُـرعـى الأواصـرُ
أصـات بـنـا داعـي نـوالـك مـؤذنـاً بـجـودك إلا أنـه لا تـجـاورُ
قـسـمـتَ صـروفَ الـدهـر بـأسـاً ونـائـلاً فـمـالُـك مـوتـورٌ وسـيـفـك واتـرُ
ولـمـا رأَى الـلَّـهُ الـخـلافـة قـد وَهـت دعـائـمـهـا والـلَّـهُ بـالأَمـرِ خـابـرُ
بـنـى بـك أركـانـاً عـلـيـهـا مـحِـيـطـةً فـأنـت لـهـا دون الـحـوادث سـاتِـرُ
وَأَرعـنَ فـيـه لـلـسـوابـغ جُـنَّـةً وسـقـفَ سـمـاءٍ أَنـشـأتـه الـحـوَافِـرُ
[الطويل]

يعني أَنَّ على الدروع منَ الغُبار ما قد غشيها فصار كالجُنةِ لها:

لـهـا فـلـكٌ فـيـه الأَسـنَّـةُ أَنـجـمٌ ونـقـعُ[١٠] الـمـنـايـا مُـسـتـطـيـرٌ وثـائِـرُ
أَجـزت قـضـاءَ الـمـوت فـي مُـهـج الـعـدا ضـحـى فـاسـتـبـاحـتـهـا الـمـنـايـا الـغـوادرُ
لـك الـلـحـظـاتُ الـكـالـئـاتُ[١١] قـواضـيـاً بـنـعـمـي وبـالـبـأسـاء وهـي شـوازرُ[١٢]

(١) أعجم: عجز عن التعبير بلغة العرب.
(٢) أعربت: أبانت ونطقت بلسان عربي مبين.
(٣) الحيا: الغيث، المطر.
(٤) المتظاهر: البادي.
(٥) الجدود، الواحد جَدّ؛ بفتح الجيم: الحظوظ.
(٦) أطّت: حنّت.
(٧) المآثر، الواحدة مأثرة: جليل الأعمال.
(٨) تجتدى: تستجلب.
(٩) النعمى: العطايا، الهبات، الجوائز.
(١٠) النقع: الدم.
(١١) الكالئات: الحافظات، الراعيات، الحاميات.
(١٢) الشوازر: الواحدة شازرة: من تنظر بجانب عينها استكباراً وأنفة.

ولـو لـم تـكـن إلا بـنـفـسـك فـاخـراً لـمـا انـتـسـبـت إلا إلـيـك الـمـفـاخـرُ

[الطويل]

قال: فطرب أَبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض، وقال: أَحسنت واللَّهِ وأَجملت، ولو لم تقل قطّ ولا تقول في باقي دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول. وأمر له بخمسة آلاف دينار فأُحضرت واقتطعه إلى نفسه، فلم يزل في جنبته[١] أيامَ ولايته وبعد ذلك إلى أَن مات ما تصدى لغيره.

أفحش هجاء يقوله في علي بن هشام:

حدثني أَحمد بن جعفر جحظةُ، قال: حدثني ميمون بن هارونَ، قال:

كان محمد بن وهيب الحميريّ الشاعر قد مدح عليَّ بن هشام وتردد إليه وإلى بابه دفعات فحجبه[٢] ولقيه يوماً، فعرض له في طريقه وسلّم عليه فلم يرفع إليه طرفه[٣] وكان فيه تِيهٌ شديد، فكتب إليه رُقعةً يُعاتبه فيها، فلما وصلت إليه خرقها وقال: أَيَّ شيءٍ يُريد هذا الثقيلُ السيئُ الأَدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضباً، وقال: واللَّهِ ما أردت ما له وإنما أَردت التوسل بجاهه وسيغني اللَّه جل وعز عنه، أَما واللَّهِ ليذمنَّ مغبة فعله. وقال يهجوه:

أزرت عـلـيـه لـجـود خـيـفـةُ الـعـدم فـصـدَّ مـنـهـزمـاً عـن شـأو[٤] ذي الـهِـمَـمِ

لـو كـان مـن فـارسٍ فـي بـيـت مـكـرمـةٍ أَو كـان مـن ولـد الأَمـلاك فـي الـعَـجـمِ

أَوْ كـان أَولـهُ أَهـلَ الـبِـطـاح أوِ الـرَّ كـبَ الـمـلـبـيـن إهـلالاً إلـى الـحـرَمِ

أَيـام تُـتـخـذُ الأصـنـامُ آلـهـةً فـلا تـرى عـاكـفـاً إلا عـلـى صـنـمِ

لـشـجـعـتـه عـلـى فـعـل الـمـلـوك لـهـم طـبـائـعٌ لـم تـرُعـهـا خِـيـفـةُ الـعَـدَمِ

لـم تـنـدَ كـفَّـاك مـن بـذلِ الـنـوال كـمـا لـم يـنـدَ سـيـفُـك مـذ قُـلـدتـه بـدمِ

كـنـتَ امـرأً رفـعَـتـه فـتـنـةٌ فـعَـلا أيـامـهـا غـادراً بـالـعـهـد والـذمـمِ

حـتـى إذا انـكـشـفـت عـنـا عـمـايـتُـهـا[٥] ورُتـب الـنـاس بـالإحـسـان والـقـدَمِ

مـات الـتـخـلـقُ وارتـدَّتـك مـرتـجـعـاً طـبـيـعـة نـذلـةُ الأَخـلاقِ والـشّـيَـمِ

كـذاك مـن كـان لا رأسـاً ولا ذنـبـاً كـزَّ الـيـديـنِ حـديـثَ الـعـهـد بـالـنـعـمِ

(١) جنبته: ناحيته.
(٢) حجبه: منعه، صدّه.
(٣) الطرْف: بسكون الراء: النظر.
(٤) الشأو: المدى.
(٥) عمايتها: غوايتها، لجاجها، وضلالها.

هـيـهـات[١] لـيـس بـحـمَّـال الـديـات ولا معطي الجزيلَ ولا المرهوب ذي النقم
[البسيط]

قال: فحدثني بعض بني هاشم أن هذه الأبيات لما بلغت عليّ بن هشام ندِمَ على ما كان منه، وجزع لها، وقال: لعن اللَّه اللّجاجَ فإنه شرُّ خُلقٍ تخلّقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام، فقال: اللَّه يعلم أني لأَدخل على الخليفة وعليَّ السيف وأنا مستحيٍ منه أذكر قول ابن وُهيب فيّ:

لـم تـنـدَ كـفـاك مـن بـذل الـنـوال كـمـا لـم يـنـدَ سـيـفـك مـذ قـلـدتـه بـدم
[البسيط]

حدثني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: من سمع ابنَ الأعرابيّ يقول:

أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وُهيب:

لـم تـنـدَ كـفـاك مـن بـذل الـنـوال كـمـا لـم يـنـدَ سـيـفـك مـذ قـلـدتـه بـدم
[البسيط]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن مرزوق البصريّ، قال:

ابن وُهيب والأَعرابية:

حدثني محمد بن وُهيب، قال: جلست بالبصرة إلى عطار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت منَ العطارَ خلوقاً[٢] فقلت له تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها إلا خنفساء، فالتفتت إليّ متضاحكةً ثم قالت: لا واللَّهِ إلا مهاةٌ جيداء[٣]، إن قامت فقناة، وإن قعدت فحصاة، وإن مشت فقطاة، أسفلها كثيب[٤]، وأعلاها قضيب، لا كفتياتكم اللواتي تُسمِّنونهن بالفَتوت[٥]، ثم انصرفت، وهي تقول:

إن الـفَـتُـوت لـلـفـتـاةِ مـضـرَطـهْ يَكرُبها في البَطن حتى تثلِطهْ[٦]
[الرجز]

---

(١) هيهاتَ: اسم فعل ماضٍ بمعنى بعُد.
(٢) الخلوق: ضرب من الطِّيب أصفر لغلبة الزعفران عليه.
(٣) جيداء: طويلة العنق.
(٤) الكثيب: مجمع الرمل، استعمله الشاعر تعبيراً عن كبر أوراكها.
(٥) الفتوت: الخبز المفتوت.
(٦) ثلط الصبي: سلح سلحاً خفيفاً أي تغوّط.

فلا أعلمني ذكرتها إلا أضحكني ذكرُها.

في مجلس يزيدَ بن هارون:

حدثني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثنا أبو هِفان، قال:

كان محمد بن وُهيب يتردد إلى مجلس يزيدَ بنِ هارون، فلزمه عدة مجالس يُملى فيها كلها فضائل أبي بكر وعمرَ وعثمانَ ـ رضي اللَّه عنهم ـ لا يذكر شيئاً من فضائل عليٍّ عليه السلام، فقال فيه ابنُ وهيب:

آتي يزيدَ بنَ هارونٍ أُدالجهُ[1] في كل يوم ومالي وابن هارونِ
فليت لي بيزيدٍ حين أَشهدُه راحاً وقصفاً ونَدَماناً يُسلينيِ
أَغدو إلى عصبةٍ صمَّتْ مسامعهم عنِ الهُدى بينَ زِنديق ومأْفونِ[2]
لا يذكرون عليّاً في مشاهدهم ولا بنيه بني البيض الميامينِ
إني لأَعلم أني لا أُحبهمُ كما همُ بيقين لا يُحبوني
لو يستطيعون في ذكري أبا حسنٍ وفضله قطّعوني بالسكاكينِ
ولست أترك تفضيلي له أبداً حتى الممات على رغم الملاعينِ

[البسيط]

مذهبه من شعره:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إسحاقُ بنُ محمد الكوفيّ، قال حدثني محمد بن القاسم بن يوسفَ وأخبرني به الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاقُ عن محمد بن القاسم بن يوسفَ، قال كان محمد بن وُهيب يأتي أَبي فقال له أَبي يوماً: إنك تأتينا وقد عرفت ماذهبنا، فنحب أَن تعرّفنا مذهبَك فنُوافقك أو نُخالفك فقال لي: في غد أُبين لك أَمري ومذهبي فلما كان من غدٍ كتب إليه:

أيُّها السائلُ قد بيَّنـ ـتُ إن كنتَ ذكيَّا
أحمدُ اللَّه كثيراً بأَياديه عَليَّا
شاهِدٌ أَن لا إلٰه غيره ما دمتُ حيَّا
وعلى أَحمدَ بالصّد قِ رَسولاً ونبيَّا

(١) أدالجه: أقصده ليلاً وقت الدُّلجة.
(٢) المأفون: الضعيف الرأي، الفاقد العقل.

ومـنـحـت الـودَّ قـربـا ... هُ ووالـيـتُ الـوصـيَّـا
وأَتـانـي خـبـرٌ مـطَّـرحٌ ... لـم يـك شـيَّـا
أن عـلـى غـيـر اجـتـمـاع ... عـقـدوا الأَمـر بـديَّـا[1]
فـوقـفـت الـقـومَ تَـيـمـاً ... وعـديّـاً وأمـيَّـا
غـيـر شـتَّـام ولـكـنـي ... تـولـيـتُ عـلـيَّـا

[مجزوء الرمل]

اعتزازه بشعره:

حدثني جحظة، قال حدثني علي بن يحيى المنجم، قال:

بلغ محمد بن وُهيب أَن دِعبل بن عليّ، قال: أَنا ابنُ قولي:

لا تـعـجـبـي يـا سـلـمَ مـن رجـلٍ ... ضـحـك الـمـشـيـبُ بـرأسـه فـبـكـى

[الكامل]

وأَن أَبا تمام قال أَنا ابن قولي:

نـقِّـل فُـؤادك حـيـث شـئـت مـنَ الـهـوى ... مـا الـحـبُّ إلا لـلـحـبـيـب الأولِ

[الكامل]

فقال محمد بن وُهيب وأَنا ابن قولي:

مـا لـمـنْ تـمـتْ مـحـاسـنـهُ ... أَنْ يُـعـادي طـرف مـن رَمـقـا
لـك أن تـبـدي لـنـا حَـسـنـاً ... ولـنـا أَن نُـعـمـلَ الـحَـدَقـا

[المديد]

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وهذا من جيد شعره ونادره وأَول هذه الأبيات قوله:

نـم فـقـد وكـلـت بـي الأَرقـا ... لاهـيـاً تـغـري بـمـن عـشـقـا
إنـمـا أَبـقـيـتَ مـن جـسـدي ... شـبـحـاً غـيـرَ الـذي خُـلـقـا
كـنـتُ كـالـنـقـصـان فـي قـمـر ... مـاحـقـاً مـنـه الـذي اتـسـقـا
وفـتـى نـاداك مـن كُـرَبٍ[2] ... مـلأت أَحـشـاءَه حُـرَقـا
غَـرِقـتْ فـي الـدمـع مـقـلـتُـه ... فـدَعـا إنـسـانُـهـا الـغَـرَقـا
إنـمـا عـاقـبـتَ نـاظِـرَه ... أن أَعـاد الـلـحـظَ مُـسـتـرِقـا[3]

(١) بدياً: أول الأمر.
(٢) الكُرَب، الواحدة كُربة: المصائب والأحزان.
(٣) مسترق اللحظ: ناظراً خِلسة.

ما لمنْ تمتْ محاسنُه أن يعادي طرف من رَمَقا
لك أن تُبدي لنا حسَناً ولنا أَن نُعملَ الحدقَا
قدَحَتْ كفاكَ زندَ هَوى في سوادِ القلبِ فاحترقَا
[المديد]

مدحه لأَحمدَ بن هِشام وطلب العطاء منه:

حدثني عمّي، قال: حدثني أَبو عبد اللَّه الهشاميّ عن أبيه، قال:

دخل محمد بن وُهيب على أحمدَ بن هشام يوماً، وقد مدحه فرأى بين يديه غِلماناً رُوقَةً[١] مُرداً[٢] وخدماً بيضاً فُرهاً في نهاية الحسن والكمال والنظافة فدُهش لما رأى وبقي متبلبلاً[٣] لا ينطق حرفاً، فضحك أَحمد منه، وقال له: ما لك؟ ويحك! تكلمْ بما تُريد، فقال:

قد كانتِ الأصنام وهْي قديمةٌ كُسرت وَجَدَّعَهُنَّ[٤] إبراهيمُ
ولديك أَصنامٌ سَلمن منَ الأذى وصفت لهن نضارةٌ ونعيمُ
وبنا إلى صنم نلوذُ بركنه فقرٌ وأنت إذا هُززت كريمُ
[الكامل]

فقال له: اختر من شئت، فاختار واحداً منهم، فأَعطاه إياه، فقال يمدحه:

فَضلت مكارمُه على الأقوام وعلا فحاز مكارم الأَيامِ
وعلته أُبهةُ الجلال كأَنه قمرٌ بدا لك من خلال غمامِ
إنَّ الأَمير على البرية كلها بعد الخليفة أَحمدُ بن هشامِ
[الكامل]

المأمون يُلحقه بجوائز ابن أبي حفصة:

وأخبرني جعفر بن قُدامةَ في خبره الذي ذكرته آنفاً عنه، عنِ الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه، قال:

لما قدِم المأمون، ولقيه أَبو محمد الحسن بن سهل، دخلا جميعاً، فعارضهما ابن وُهيب، وقال:

أليومَ جُددتِ النعماءُ والمِننُ فالحمدُ للَّه حلَّ العقدةَ الزمنُ

(١) الروقة، الواحد: رائق.
(٢) المُرد من الفتيان: من لم يطرّ شارباه.
(٣) متبلبلاً: حيران، شارد الفكر.
(٤) جدّعهن: قطعهن.

أليومَ أظهرتِ الدنيا محاسَنها للناس لما التقى المأْمون والحسنُ

[البسيط]

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه، فقال: هذا رجل من حِميَر، شاعر مطبوع، اتصل بي متوسلاً إلى أَمير المؤمنين وطالباً الوصول معَ نُظرائه، فأمر المأمون بإيصاله معَ الشعراء، فلما وقف بين يديه، وأذن له في الإنشاد، أنشده قوله:

طلَلانِ طال عليهما الأمدُ دثرا[١] فلا علَمٌ ولا نضَدُ[٢]
لبسا البِلى فكأَنما وجَدا بعدَ الأَحبة مثل ما أجدُ
حُيِّيتما طلَلين حالهُما بعد الأَحبة غيرُ ما عهدوا
إن ماطلوكَ سُلُوَّ غانيةٍ[٣] فهواك لا مللٌ ولا فندُ[٤]
إن كنتِ صادقة الهوى فرِدي[٥] في الحب منهلهُ الذي أَرِدُ
أَدَمي هرقتِ وأنت آمنةٌ أم ليس لي عقلٌ ولا قودُ[٦]؟
إن كنت فتِّ وخانني نشبٌ[٧] فلربما لم يحظ مجتهدُ

[الكامل]

حتى انتهى من قوله إلى مدح المأمون:

يا خيرَ منتسبٍ لمكرمةٍ في المجد حتى تَبحبحَ[٨] العددُ
في كل أنملةٍ لراحته نوءٌ[٩] يسُح وعارضٌ[١٠] حَشِدُ[١١]
وإذا القَنا رَعفت[١٢] أسنتهُ علقاً[١٣] وصُّمُ كُعوبها قِصدُ[١٤]
فكأَن ضوءَ جبينه قمرٌ وكأَنه في صولةٍ أَسدُ
وكأنه روحٌ تُدبِّرنا حركاتُه وكأننا جسدُ

[الكامل]

فاستحسنها المأمون، وقال لأبي محمد: احتكم له، فقال: أمير المؤمنين أولى

(١) دثرا: درسا، انمحا.
(٢) النضد: المنظم، المرتّب من كلّ شيء.
(٣) الغانية من النساء: التي اغتنت بزوجها عن الرجال، أو التي اغتنت بجمالها عن التزيين.
(٤) الفند: الكذب.
(٥) ورد المنهل: أتى يستقي منه.
(٦) القود: الدية.
(٧) النشب: المال بشكل عام.
(٨) تبحبح: كثر.
(٩) النوء: المطر.
(١٠) العارض: السحاب المعترض في السماء، ينذر بهطول الأمطار.
(١١) حشد: مجتمع.
(١٢) رعفت: سالت دماؤها.
(١٣) العلق: الدم الجامد.
(١٤) القصد: القطع مما يكسر.

بالحكم، ولكن إن أذن لي في المسألة سألت له، فأَما الحكم فلا، فقال: سل، فقال: يُلحقه بجوائز مروانَ بنِ أبي حفصةَ، فقال: ذلك واللَّهِ أردت. وأمر بأن تُعد أبيات قصيدته ويُعطى لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت خمسين، فأُعطِيَ خمسينَ ألف درهم.

مدائحه للمأمون وابن سهل:

قال الأصبهانيّ: وله في المأمون والحسن بن سهل خاصةً مدائحُ شريفة نادرة، من عيونها قوله في المأمون في قصيدة أولها:

ألعُذْر إن أَنصفتَ مُتضحُ ... وشهود حبك أَدمعٌ سُفُحُ
فضَحَتْ ضميرَك عن ودائعه ... إن الجفون نوطقٌ فصحُ
وإذا تكلمتِ العيون على ... إعجامها فالسرُّ مُفتضحُ
وبما أَبيتُ معانقي قمَرٌ ... للحسن فيه مخايلٌ تضِحُ[1]
نشرَ الجمالُ على محاسنه ... بدَعاً وأَذهب همَّهُ الفَرَحُ
يختال في حُلَل الشباب به ... مَرَحٌ وداؤُك أَنَّه مَرِحُ
ما زال يُلثمني مراشِفَهُ ... ويَعِلني[2] الأَبريقُ والقَدحُ
حتى استرد الليلُ خِلعَته ... ونشا خلال سَوَادِه وَضحُ
وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتَدَحُ

[الكامل]

(يقول فيها):

نشرْت بك الدنيا محاسنَها ... وتزينت بصفاتك المِدحُ
وكأن ما قد غاب عنك له ... بإزاء طرفك عارضٌ سَمِحُ
وإذا سلِمت فكل حادثةٍ ... جلَلٌ[3] فلا بؤسٌ ولا ترحُ[4]

[الكامل]

ذهابه إلى الموصل لأخذ جوائز واليها المطلب:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني بعض أهلنا.

أن محمد بن وُهيب قصد المُطلِب بن عبد اللَّه بن مالك الخزاعيَّ ـ عمَّ أبي ـ

(١) تضح: تبدو جلية.
(٢) يعلني: يسقيني.
(٣) جلل: عظيم.
(٤) الترح: الحزن.

وقد ولي الموصل وكان له صديقاً حفيّاً[١] وكان كثير الرِّفد له والثواب على مدائحه، فأَنشده قوله فيه:

صـوت

دمـاءُ الـمـحـبـيـنَ لا تُـعـقـلُ ... أمـا فـي الـهـوى حـاكـمٌ يـعـدلُ؟!
تـعـبَّـدنـي حـوَرُ الـغـانـيـاتِ ... ودان الـشـبـاب لـه الأخـطـلُ[٢]
ونـظـرةِ عـيـنٍ تـلافـيـتـهـا ... غِـراراً كـمـا يـنـظـر الأحـولُ
مـقـسَّـمـةٍ بـيـن وجـه الـحـبـيـ ... ـب وطـرف الـرقـيـب مـتـى يـغـفُـل
أذمُّ عـلـى غـربـاتِ الـنـوى[٣] ... إلـيـك الـسُّـلـوَّ ولا أَذهَـلُ
وقـالـوا: عـزاؤك بـعـدَ الـفِـراقِ ... إذا حُـمَّ مـكـروهـه أَجـمـلُ
أَقـيـدي دمـاً سـفـكـتـه الـعـيـونُ ... بـإيـمـاء كـحـلاء لا تُـكـحـلُ
فـكـل سـهـامـك لـي مُـقـصِـدٌ[٤] ... وكـل مـواقـعـهـا مـقـتـلُ
سلامٌ عـلـى الـمـنـزل الـمـسـتـحـيـلِ[٥] ... وإِن ضـنّ[٦] بـالـمـنـطـق الـمـنـزلُ
وعضِب[٧] الضريبة[٨] يلقى الخطوبَ[٩] ... يـجـد عـنِ الـدهـر لا يـنـكـلُ[١٠]
تـغـلـغـل شـرقـاً إِلـى مـغـربٍ ... فـلـمـا تـبـدت لـه الـمـوصـلُ
ثـوى[١١] حـيـث لا يـسـتـمـال الأريـبُ ... ولا يـؤلـف الـلّـقِـن الـحـوَلُ
لـدى مـلِـكٍ قـابـلـتْـه الـسـعـودُ ... وجـانَـبَـه الأنـجـم الأفَّـلُ
لأيـامـه سـطـوات الـزمـانِ ... وإِنـعـامـه حـيـث لا مـوئـلُ[١٢]
سـمـا مـالـكٌ لـك بـالـبـاهـرات ... وأوحـدك الـمـربـأ الأطـولُ
ولـيـس بـعـيـداً بـأن تـقـتـفِـي ... مـذاهـب آسـادهـا الأشـبُـل[١٣]

[المتقارب]

---

(١) حفيّاً: مبالغاً في إكرامه.
(٢) الأخطل من الشباب: السريع الحركة بخفَّة.
(٣) غربات النوى: البعد الشديد.
(٤) مقصد: هدف.
(٥) المستحيل: المتغير من حال إلى حال.
(٦) ضنّ: بخل.
(٧) العضب من السيوف: القاطع.
(٨) الضريبة: الحدّ، الشفرة.
(٩) الخطوب، الواحد خطب: المصائب والويلات والنوائب.
(١٠) ينكل: يتقهقر، يتراجع.
(١١) ثوى: سكن واستقرّ.
(١٢) الموئل: المرجع والملاذ والملجأ.
(١٣) الأشبل، الواحد شبل: جروْ الأسد، ولده.

قال: فوصله وأحسن جائزته وأقام عندَه مدة، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته وجراياته وجدد له صِلة، فأقام عنده برهة أخرى، ثم دخل عليه فأنشده:

أَلا هل إلى ظِلّ العقيق وأهلهِ ... إلى قصر أوس فالحزِير معادُ[1]؟!
وهل لي بأكناف المصلي فسفحه ... إلى السور مغدي ناعمٌ ومَرادُ[2]؟
فلا تُنسِني نهر الأبلةِ نيةٌ ... ولا عَرَصاتُ المَرْبدينِ بعادُ
هنالك لا تبني الكواعبُ خيمةً ... ولا تتهادى كلَثمٌ وسعادُ
أَجِدِّيَ لا أَلقى النوى مطمئنةً ... ولا يزدهيني مضجعٌ ومِهادُ

[الطويل]

فقال له: أبيت إلا الوطنَ والنِّزاعَ إليه. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقر[3] له زورقاً من طُرَف الموصل وأذن له.

قصيدته في أَبي عباد الوزير حين أبعده:

حدثني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدثني أبو عبد اللَّه الماقُطانيّ، عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى، عن سعيد بن وهيب، قال:

كان المأمون كثيراً ما يتمثل إذا كربه الأمر:

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله ... وأمكن من بينِ الأسنة مخرجُ

[الطويل]

قال الأصبهانيّ، وهذا الشعر لمحمد بن وُهيب يقوله في أبي عبادٍ وزير المأمون، وكان له صديقاً، فلما ولي الوزارة اطرحه لانقطاعه إلى الحسن بن سهل، فقال فيه قصيدة أولها:

تكلم بالوحي البنانُ المخضبُ ... وللَّهِ شكوى معجم كيف يعربُ؟
أإيماء أطراف البنان ووجهُها ... أبانا له كيف الضمير المغيَّبُ؟
وقد كان حُسنُ الظن أنجب مرةً ... فأَحمد عُقْبي أمره المتعقبُ
فلما تدبرتِ الظنون مراقباً ... تقلب حاليْها إذا هِيَ تكذبُ

(١) العقيق، قصر أوس، الحزير: مواضع.
(٢) المراد: الموضع يُقصد إليه، ويُعاد به.
(٣) أوقر: عبَّأ، موّن.

بـدأتَ بـإحـسـانٍ فـلـمـا شـكـرتـه ... تـنـكـرت لـي حـتـى كـأنـي مُـذنـبُ
وهـل يَـصـرعُ الـحـبُّ الـكـريـمَ وقـلـبَـه ... عـلـيـمٌ بـمـا يـأْتـي ومـا يـتـجـنـبُ
تـأنـيـت حـتـى أوضـح الـعـلـم أنـنـي ... مـعَ الـدهـر يـومـاً مـصـعِـدٌ ومـصـوّبُ
وألـحـقـت أعـجـازَ الأُمـور صـدورَهـا ... وقَـوَّمـهـا غـمـزُ الـقِـداح الـمـقَـلَّـبُ
أغـادرتـنـي بـيـنَ الـظـنـون مـمـيـزاً ... شَـوَاكِـلَ أمـرٍ بـيـنـهـن مـجـرِّبُ
يـقـربـنـي مـن كـنـت أصـفـيـك دونَـه ... بـودي وتـنـأى بـي فـلا أتـقـرَّبُ
فـلِـلَّـهِ حـظِّـي مـنـك كـيـف أضـاعـه ... سـلـوّكَ عـنـي والأمـور تَـقَـلَّـبُ
أبـعـدك أسـتـسـقِـي بـوارِقَ مُـزنـةٍ ... وإن جـادَ هـطَّـال مـنَ الـمـزن هـيـدبُ[1]
إذا مـا رأيـتُ الـبـرقَ أغـضـيـتُ دونـه ... وقـلـت إذا مـا لاح: ذا الـبـرقُ خُـلَّـبُ[2]
وإن سـنـحـت لـي فـرصـةٌ لـم أُسـامـهـا ... وأعـرضـتُ عـنـهـا خـوفَ مـا أتـرقَّـبُ
تـأَدَّبـت عـن حـسـنِ الـرجـاءِ فـلـن أُرى ... أعـودُ لـه إن الـزمـان مـؤَدِّبُ

[الطويل]

وقال له أيضاً:

هـلِ الـهـمُّ إلَّا كُـرْبـةٌ تَـتـفَـرَّجُ ... لـهـا مُـعـقِـبٌ تُـحـدَى إلـيـه وتُـزْعَـجُ؟
ومـا الـدهـرُ إلَّا عـائـدٌ مِـثـلُ سـالـفٍ ... ومـا الـعَـيـشُ إلَّا جـدَّةٌ ثُـم تُـنْـهِـجُ[3]
وكـيـف أَشـيـمُ[4] الـبـرقَ والـبـرقُ خُـلَّـبٌ ... ويُـطـمِـعُـنـي رَيـعَـانـه الـمـتَـبـلـجُ
وكـيـف أُدِيـم الـصـبـرَ لا بـي ضَـرَاعَـةٌ ... ولا الـرزقُ مـحـظـورٌ ولا أنـا مـحـرَجُ؟
أَلَا ربـمـا كـان الـتـصـبُّـرُ ذِلـةً ... وأَدْنـى إلـى الـحـال الـتـي هـي أَسـمـجُ
وهـل يـحـملُ الـهـمَّ الـفـتـى، وهـو ضـامـنٌ ... سُـرى الـلـيـل رَحـالُ الـعَـشـيَّـات مُـدلِـجُ
ألا رُبـمـا ضـاق الـفـضـاءُ بـأَهـلـه ... وأَمـكـنَ مـن بـيـنِ الأَسِـنَّـة مـخـرَجُ
وقـد يُـرْكـبُ الـخـطـبُ الـذي هـو قـاتـلٌ ... إذا لـم يـكـن إلَّا عـلـيـه مُـعَـرَّجُ

[الطويل]

عشرة آلاف لأبي تمام وثلاثون ألفاً لابن وُهيب:

حدثني بعض أَصحابنا عن أَحمدَ بنِ أَبي كامل، قال:

(١) الهيدب من السحاب: المتدلّي القريب إلى الأرض.
(٢) البرق الخلّب: الخادع الذي لا ماء فيه. (٣) تُنهج: تبدأ بالزوال.
(٤) أشيم: أستطلع، أنظر، أتأمّل.

كان محمد بن وُهيب تَيَّاهاً شديد الذهاب بنفسه، فلما قدم الأفشين ـ وقد قتل بابَك ـ مدحه بقصيدته التي أَولها:

طُـلـولٌ ومـغـانـيـهـا تـنـاجـيـهـا وتَـبْـكـيـهـا

[الهزج]

يقول فيها:

بَـعَـثـتَ الـخـيْـلَ، والـخـيـرُ عَـقـيـدٌ فـي نـواصـيـهـا

[الهزج]

وهي من جيّد شعره، فانشدناها، ثم قال: ما لها عيبٌ سوى أَنها لا أُخت لها:

قال: وأَمر المعتصمُ للشعراء الذين مدحوا الأَفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أَبي دُوَاد، فأَعطى منها محمد بن وُهيب ثلاثينَ ألفاً، وأَعطى أَبا تمام عشرةَ آلاف درهم، قال ابن أَبي كامل: فقلت لعليّ بن يحيى المنجم: ألا تَعجب من هذا الحظ؟ يُعطى أبو تمام عشرةَ آلاف وابنُ وهيب ثلاثينَ ألفاً، وبينهما كما بين السماء والأرض. فقال: لذلك عِلَّةٌ لا تعرفها: كان ابن وُهيب مُؤدّبَ الفتح بن خاقان، فلذلك وصل إِلى هذه الحال:

ابن وُهيب يُودّع الدنيا:

أَخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدثني أبو زكوانَ، قال:

حدثني من دخل إلى محمد بن وُهيب يَعُوده، وهو عليل، قال: فسألته عن خبره فتشكى ما به ثم قال:

نـفـوسُ الـمـنـايـا بـالـنـفـوس تَـشَـعَّـبُ وكـلٌّ لـه مـن مـذهـب الـمـوت مـذهـبُ
نـزَاعُ لِـذِكـر الـمـوتِ سـاعـةَ ذِكـرِه وتـعـتـرضُ الـدنـيـا فـنـلـهـو ونـلـعـبُ
وآجـالـنـا فـي كـل يـوم ولـيـلـة إِلـيـنـا عـلـى غِـرَّاتـنـا تَـتَـقـرَّبُ
أَأَيـقـنَ أن الـشـيـبَ يـنـعَـى حـيـاتـه بـمـدّ لأَخـلاق الـخـطِـيَّـة مُـذْنـبُ
يـقـيـنٌ كـأَنَّ الـشـكَّ أغـلـبُ أَمـرِه عـلـيـه وعـرفـانٌ إِلـى الـجـهـل يُـنـسَـبُ
وقـد ذمـتِ الـدنـيـا إِلـيّ نـعـيـمَـهـا وخـاطـبـنـي إِعـجـامـهـا وهْـو مُـعـربُ
ولـكـنـنـي مـنـهـا خُـلـقـتُ لـغـيـرهـا وما كـنـتُ مـنـه فـهْـو عـنـدي مُـحـبّـبُ

[الطويل]

هجوم ودِفاع:

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مَهرُويه، قال:

حدثني أَحمد بن أَبي كامل، قال: كنا في مجلس ومَعنا أبو يوسفَ الكنديّ وأَحمدُ بن أبي فنن، فتذاكرنا شعر محمد بن وُهيب فطعن عليه ابن أَبي فنن، وقال: هو متكلفٌ حَسُودٌ إذا أَنشد شعراً لنفسه قرّظه ووصفه في نصف يوم وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ وأنه لا تُقَصَّر له عن مراتب القدماء حالٌ، فإذا أُنشِدَ شعرَ غيره حَسَدَه، وإن كان على نبيذٍ عَرْبَدَ عليه، وإن كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه، فقلت له: كِلاكما لي صديق، وما أَمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدُّم وحسن الشعر، فأَخبرني عما أَسألك عنه إخبارَ مُنْصف: أَيُعدُّ متكلفاً من يقول:

أَبى ليَ إغضاء الجفون على القذى ... يقينيَ أن لا عُسرَ إلا مفرَّجُ
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله ... وأمكن من بينِ الأسنّة مخْرجُ؟

[الطويل]

أَوَ يُعَدُّ متكلفاً من يقول:

رأت وضحاً من مفرِق الرأس راعها ... شريحين مبيضٌّ به وبهيمُ؟

[الطويل]

فأمسك ابن أبي فنن، واندفع الكِنديّ، فقال: كان ابن وُهيب ثنوياً. فقلت له من أين علمت ذاك؟ أكلمك على مذهب الثنوية قطّ؟ قال: لا، ولكني استدللت من شعره على مذهبه. فقلت: حيث يقول ماذا؟ فقال: حيث يقول:

طلَلانِ طال عليهما الأمدُ

وحيث يقول:

تفترُّ عن سمطين من ذهب

إلى غير ذلك مما يستعله في شعره من ذكر الاثنين.

فشغلني واللَّهِ الضحكُ عن جوابه. وقلت له: يا أبا يوسفَ مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفُذ فيه علمه.

معَ محمد بن عبد الملك الزيات:

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثني أحمد بن سليمانَ بن أبي شيخ عن أبيه، قال:

سأل محمدُ بنُ وُهيبٍ محمدَ بنَ عبد الملك الزيات حاجةً فأبطأ فيها، فوقف عليه ثم قال له:

طبعُ الكريم على وفائهْ ... وعلى التَّفضُّل في إخائهْ
تغني عنايتُه الصديـ ... ـقَ عنِ التعرُّضِ لاقتضائهْ
حسبُ الكريم حياؤه ... فكِلِ الكريمَ إلى حيائهْ

[مجزوء الكامل]

فقال له: حسبُك فقد بلغت إلى ما أحببت. والحاجةُ تسبقك إلى منزلك.

صوت

وَدِدْتُ على ما كانَ مِن سرف الهوى ... وَغَيِّ الأَماني أنّ ما شِئتُ يُفْعلُ
فترجِعَ أَيامٌ تقضَّتْ ولذَّةٌ ... تولَتْ وهل يُثنَى منَ الدَّهرِ أَوَّلُ؟

[الطويل]

الشعر لمزاحم العُقَيليّ والغناء لِمقاسة بن ناصح. خفيف رمل بالبنصر عنِ الهشاميّ، قال الهشاميّ: وفيه لأَحمَد بنِ يحيى المكيّ رمل.

أخبار مزاحم ونسبه

اسمه ونسبه:

هو: مُزاحم بن عمرو بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم بن خُوَيلد بن عوف بن عامر بن عُقَيل بن كعب بن ربيعةَ بن عامر بن صعصعةَ بن معاويةَ بن بكر بن هوازن.

وقيل: مزاحم بن عمرو بن مرةَ بن الحارث بن مُصرف بن الأَعلم وهذا القول عندي أَقرب إِلى الصواب:

بدوي شاعر فصيح إِسلامي، صاحب قصيد ورجز كان في زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفه ويُقرِّظه[1] ويقدمه.

أَخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ عن إِسحاقَ الموصليّ، قال:

قال لي عُمارة بن عقيل: كان جرير يقول: ما من بيتينِ كنتُ أُحبُّ أَن أَكون سبقتُ إِليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقيليّ.

ودِدْت على ما كان من سَرَفِ الهوى وغيِّ الأماني أَنّ ما شئتُ يُفعَلُ
فترجع أيامٌ مضينَ ولذةٌ تولَّت وهل يُثْنى منَ العيش أَوَّلُ؟

[الطويل]

قال المفضل: قال إِسحاق: سرَفُ الهوى خطَؤه، ومثله قول جرير:

أَعطوْا هُنَيْدَةَ[2] تحدوها ثمانيةٌ ما في عطائِهِم مَنٌّ ولا سَرَفُ

[البسيط]

أَراد أنهم يحفظون مواضع الصنائع لا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسط في الجود.

قال إِسحاق: ووعدني زياد الأَعرابيّ موضعاً منَ المسجد، فطلبته فيه فلم أَجدْه فقلت له بعد ذلك: طلبتك لموعدك فلم أجدك. فقال: أين طلبتني؟ فقلت: في

(١) يقرّظه: يمدحه ويُثني عليه.
(٢) الهُنيدة من الإبل: المائة عدّاً.

موضع كذا وكذا، فقال: هناك واللَّهِ سَرِفْتك أَي أخطأتك.

أَخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأَزهر، قال:

أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العُقيليّ، قال: وكان يستجيدها.

لصفراءَ في قلبي منَ الحبِّ شعبةٌ ... حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صميمٌ

بها حلّ بيتُ الحب ثم ابتنى بها ... فبانت بيوت الحيّ، وهْو مقيمُ

بكت دارهم من نأْيهم فتهلّلت ... دموعي فأَيُّ الجازعينَ ألومُ؟!

أمستعبراً يبكي منَ الحزن والجوى[1] ... أَم آخر يبكي شجوه فيهيمُ؟

تضمّنه من حب صفراءَ بعدَما ... سلا هيضات[2] الحب فهو كليمُ[3]

ومن يتهيَّض[4] حبُّهنَّ فؤاده ... يمت أو يعِش ما عاش وهْو سقيمُ

كحَرَّان صادٍ[5] ذيد[6] عن بردِ مشربٍ ... وعن بلَلاتِ الرّيق فهو يحومُ

[الطويل]

خديعة عمه له:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكريّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب عنِ ابن أبي الدنيا العُقيليّ ـ قال ابن حبيب: وهو صاحب الكسائيِّ وأصحابِنا ـ قال:

كان مزاحم العُقيليُّ خطب ابنة عمٍّ له دنية[7] فمنعه أهلها لإملاقه[8] وقِلة ماله، وانتظروا بها رجلاً موسراً في قومها كان يذكرها ولم يحقق، وهو يومَئذٍ غائب، فبلغ ذلك مُزاحماً عن فعْلهم، فقال لعمه: يا عم أَتقطع رحمي وتختار عليَّ غيري لفضلِ أباعِر تحوزها وطفيفاً منَ الحظ تحظى به؟ وقد علمت أني أقربُ إِليك من خاطبها الذي تُريده، وأفصح منه لساناً، وأجود كفاً، وأمنع جانباً، وأَغنى عنِ العشيرة. فقال له: لا عليكَ فإِنها إِليك صائرة، وإِنما أُعلّل أُمها بهذا ثم يكون أمرها لك، فوثِق به وأقاموا مدة، ثم ارتحلوا ومُزاحم غائب، وعاد الرجل الخاطب لها فذكروا أمرها، فرغب فيها فأنكحوه إِيَّاها، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول:

(١) الجوى: الحزن.
(٢) هيضات الحبّ: معاودة همومه وأحزانه.
(٣) كليم: جريح.
(٤) يتهيّض: تنزل به الأحزان وتهدّ كيانه.
(٥) الصادي: العطشان.
(٦) ذيد: منع: صدّ.
(٧) دنية: لصيقة النسب.
(٨) إملاقه: شدّة فقره.

نزلت بمفضي سيلِ حرسين والضُّحى ... يسيل بأطراف المجارم آلُها[١]
بمسقية الأجفان أنفَد دمعُها ... مقاربة الألاف[٢] ثم زيالُها[٣]
فلما نهاها اليأْس أن تؤنسَ الحِمى ... حمى البئر جلَّى عبرة العين جالُها[٤]
أَيا ليلَ لا تشحط[٥] بكِ الدارُ غُربةً ... سِوانا ويعيي النفس فيك احتيالُها
فكمْ ثم كمْ من عَبرةٍ قد رددتها ... سريعٍ على جيب القميص انهلالُها[٦]
خليليَّ هل من حيلةٍ تعلمانِها ... يقرب من ليلى إلينا احتيالُها؟!
فإِن بأَعلى الأَخشبينِ أراكةً ... عدتني عنها الحرب دانٍ ظِلالُها
وفي فرعها لو تستطاع جَنَابُها ... جنىً يجتنيه المجتني لو ينالُها
هنيئاً لليلى مهجةٌ ظفِرَت بها ... وتزويج ليلى حين حان ارتحالُها
فقد حبسوها محبِس البُدن[٧] وابتغى ... بها الربحَ أقوامٌ تساخف[٨] مالُها
فإِن معَ الركب الذين تحملوا ... غمامة صيف زعزعتها شمالُها

[الطويل]

سجنه ثم هربه :

وقال محمد بن حبيب في خبره قال ابن الأعرابيّ :

وقع بين مزاحم العقيليّ وبين رجل من بني جعدَة لِحاءٌ[٩] في ماء فتشاتما وتضاربا بعصيهما فشجّه مزاحمٌ شجَّة أمّتْهُ[١٠]، فاستعدت بنو جعدةَ على مزاحم فحُبس حبساً طويلاً، ثم هرب منَ السجن، فمكث في قومه مدة وعُزل ذلك الوالي وولي غيرُه، فسأله ابن عم لمزاحم يُقال له مغلِّس أن يكتب أماناً لمزاحم، فكتبه له، وجاء مغلس والأمان معَه، فنفر مزاحم منه وظنها حيلةً منَ السلطان، فهرب، وقال في ذلك :

أتاني بقرطاسِ الأميرِ مغلِّسٌ ... فافزعَ قرطاسُ الأميرِ فؤاديا
فقلت له : لا مرحباً بك مرسلاً ... إِليَّ ولا لبَّى أميرك داعيا

(١) آلها : قومها .
(٢) الألّاف، الواحد أليف : الأصحاب .
(٣) زيالها : المتفرّقون عنها .
(٤) جال البئر : جدارها .
(٥) تشحط بك الدار : تبعد .
(٦) انهلالها : انهمارها، سيلانها .
(٧) البُدن، الواحدة بُدنة : الإبل .
(٨) تساخف بالها : رقّ عيشها .
(٩) اللحاء : التلاسن والتلاوم .
(١٠) أمته : أصاب أم رأسه .

أَليست جبال القهر قُعساً[١] مكانُها وعروى وأجبال الرِّجاف كما هيا[٢]؟
أخاف ذنوبي أن تُعَدَّ ببابه وما قد أَزلَّ[٣] الكاشحون[٤] أماميا
ولا أستديمُ عُقبةَ الأمرِ بعدَما تورّط في بهماء[٥] كفي وساقيا
[الطويل]

طلب وصد:

أَخبرني محمد بن مزيد وأحمد بن جعفر جحظة، قالا: حدثنا حماد بن إِسحاقَ عن أبيه، قال:

كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها ميَّة، فتزوجت رجلاً كان أقرب إليها من مزاحم، فمرّ عليها بعد أن دخل بها زوجها، فوقف عليها ثم قال:

أيَا شفتي ميِّ أَما من شريعةٍ منَ الموت إِلا أنتما تورِدانِيا؟
ويا شفتي مي أما لي إليكما سبيلٌ وهذا الموت قد حل دانيا؟
ويا شفتي مي أَمَا تبذلانِ لي بشيء وإِن أعطيت أهلي ومالِيا؟
[الطويل]

فقلت له: اعزِز عليَّ يا ابنَ عم بأن تسأل ما لا سبيلَ إِليه، وهذا أمر قد حِيل دونه، فَالْهُ عنه، فانصرف.

جرير يتمنى أن يكون له بعض شعر مزاحم:

أخبرني عليّ بنُ سليمانَ الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال:

حدثني عُمارة بن عقيل، قال: قال لي أبي: قال عبدُ الملك بن مروان لجرير: يا أبا حزرةَ، هل تُحب أن يكون لك بشيء من شعرك شيءٌ من شعر غيرك؟ قال: لا، ما أحب ذلك: إلا أن غلاماً ينزل الروضاتِ من بلاد بني عُقيل يقال له مزاحم العقيليّ، يقول وحشيّاً منَ الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله، كنت أحب أن يكون لي بعض شعره مقايضة ببعض شعري.

---

(١) قُعساً: ثابتة منيعة.
(٢) جبال القهر، عروى، أجبال الرجاف: مواضع وجبال.
(٣) أزلّ: قدّم.
(٤) الكاشحون: الكارهون من الأعداء.
(٥) البهماء: المشكلة الصعبة الحلّ.

مزاحم يهوى ليلى قيس:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني عمّي، عنِ العباس بن هشام عن أبيه، قال:

كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى، فغاب غيبة عن بلاده، ثم عاد وقد زُوجت، فقال في ذلك:

أتاني بظَهْر الغيبِ أن قد تزوجت ... فظلت بيَ الأرضُ الفضاءُ تدورُ
وزايلني لُبِّي وقد كان حاضراً ... وكاد جناني عندَ ذاك يطيرُ
فقلت، وقد أيقنت أن ليس بيننا ... تلاقٍ وعيني بالدموع تمُورُ
أَيا سُرعةَ الأخبار حين تزوجت ... فهل يأتينِّي بالطلاق بشيرُ؟!
ولست بمحصٍ حب ليلى لسائل ... منَ الناس إِلَّا أن أقولَ: كثيرُ

[الطويل]

صوت

لها في سواد القلب تسعةُ أَسهم ... وللناس طرّاً[1] من هواي عشيرُ[2]

[الطويل]

قال ابن الكلبي، ومنَ الناس من يزعم أَن ليلى هذه التي يهواها مزاحمٌ العقيليُّ هي التي كان يهواها المجنون، وأنهما اجتمعا هو ومزاحم في حبها.

وقال الأصبهانيّ: وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسن بن عليّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد عن علي بن الصباح عنِ ابن الكلبيّ، قال:

كان مزاحم بن مُرةَ العقيليّ يهوى امرأة من قُشَير يقال لها ليلي بنت مُوَازِر، ويتحدث إليها مدة حتى شاع أمرهما وتحدثت جواري الحيّ به، فنهاه أَهلها عنها، وكانوا متجاورين، وشكوه إِلى الأَشياخ من قومه فنهوه واشتدوا عليه فكان يتفلت إِليها في أَوقات الغفلات، فيتحدثانِ ويتشاكيانِ، ثم انتجعت[3] بنو قُشير في ربيع لهم ناحية غير تلك قد نصَرها غيث[4] وأخصبها، فبعد عليه خبرها واشتاقها، فكان يسأل عنها كل وارد ويُرسل إِليها بالسلام معَ كل صادر، حتى ورد عليه يوماً راكبٌ من قومها،

(١) طرّاً: جميعاً.
(٢) العشير: جزء من عشرة أجزاء.
(٣) انتجعت: رحلت حيث استقرَّت.
(٤) نصرها غيث: أصابها بوابله.

فسأله عنها فأخبره أَنها خُطِبت فزوّجت فوجم[١] طويلاً ثم أجهش باكياً، وقال:

أَتاني بظهر الغيب أنْ قد تَزَوَّجت فظلتْ بيَ الأَرضُ الفضاءُ تدُور

[الطويل]

وذكر الأبيات الماضية:

وقد أنشدني هذه القصيدة لمزاحمٍ ابن أبي الأزهر عن حماد عن أَبيه فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها:

وتنشر نفسي بعدَ موتي بِذكرها مراراً فموتٌ مرة ونشورُ
حَجَجتُ لربي حجة ما ملكتها وربي بذي الشوق الحزين بصيرُ
ليرحمَ ما ألقى ويعلم أَنني له بِالذي يُسدي إِليَّ شكورُ
لئن كان يَهدي بردُ أنيابِها العُلا لأَحوجَ مني أنني لفقيرُ

[الطويل]

رأْي الفرزدق وجرير وذي الرمة في شعره:

حدثني عمّي، قال: حدثني أَبو أيوبَ المدينيّ، قال: قال أبو عدنان:

أخبرنا تميم بن رافع، قال: حدثت أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان أو بعض بنيه، فقال له: يا فرزدق، أَتعرف أحداً أشعر منك؟ قال: لا، إلَّا غلاماً من بني عقيل، يركب أعجاز الإِبل وينعت الفلوات فيُجيد، ثم جاءه جريرٌ فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق فأجابه بجوابه فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة، فقال له: أنت أشعر الناس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني عُقيل يُقال له مزاحم يسكن الروضات، يقول وَحشِيّاً منَ الشعر لا يُقدر على مثله، فقال: فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك، فأنشده قوله:

خليليَّ عوُجا بي على الدار نسْأل متى عهدها بالظاعن المترحِّلِ[٢]
فعُجُت[٣] وعاجوا فوق بيداء[٤] موّرت[٥] بها الريح جولان[٦] الترابِ المُنَخَّلِ

[الطويل]

---

(١) وجم: صمت، سكت.
(٢) الظاعن المترحّل: كناية عن المنتقلات في هوادجهن.
(٣) عجت: ملت، عرّجت.
(٤) البيداء: الصحراء الشاسعة. (٥) موّرت: أثارت.
(٦) جولانُ التراب: التراب الذي تلعب به الرياح فتنقله من مكان إلى آخر.

حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا.

صـوت

أُكـذِّب طـرفـي عـنـك فـي كـل مـا أرى وأُسـمـع أُذنـي عـنـك مـا لـيـس تـسـمـعُ
فـلا كـبـدي تـبـلـى ولا لـكِ رحـمـةٌ ولا عـنـك إِقـصـارٌ ولا فـيـك مـطـمـعُ
لـقـيـت أمـوراً فـيـك لـم ألـقَ مـثـلـهـا وأعـظـمُ مـنـهـا فـيـك مـا أتـوقّـعُ
فـلا تـسـألـيـنـي فـي هـواكِ زيـادةً فـايـسـره يـجـزي وأدنـاه يُـقْـنِـعُ

[الطويل]

الشعر لبكر بن النطاح، والغناء لحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى عنِ الهِشاميّ.

أخبار بكر بن النطاح ونسبه

اسمه ونسبه:

بكر بن النطاح الحنفيّ، يُكنَّى أبا وائل هذا هكذا أخبرنا وكيع عن عبد اللَّه بن شبيب، وذكر غيره أنه عِجليٌّ من بني سعد بن عِجل واحتج من ذكر أنه عجليّ بقوله:

فـإِن يـك جـدُّ الـقـوم فـهـرَ بَـن مـالـك فـجَـدِّيَ عـجـلٌ قـرم بـكـر بـن وائـلِ

[الطويل]

وأنكر ذلك من زعم أنه حنفيّ، وقال: بل قال:

فجدّي لُجَيمٌ قرم بكر بن وائل.

وعجل بن لُجيم وحنفية بن لُجيم أخوان.

وكان بكر بن النطاح صُعلوكاً يُصيب الطريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دُلف منَ الجند، وجعل له رِزقاً سلطانيّاً، وكان شجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسنَ الشعر والتصرف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإِقدام.

فأخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن مهرويه، قال: حدثني أبي، قال:

قال بكر بن النطاح الحنفيّ قصيدته التي يقول فيها:

هـنـيـئـاً لِإِخـوانـي بـبـغـدادَ عـيـدُهُـم وعـيـدي بـحُـلـوان قِـراع الـكـتـائـبِ

[الطويل]

وأَنشدها أَبا دلف فقال له: إنك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشجاعة، وما رأيت لذلك عندَك أَثراً قطّ، ولا فيك، فقال له: أَيُّها الأميرُ وأي غناء يكون عند الرجل الحاسر الأَعزل؟ فقال: أَعطوه فرساً وسيفاً ودِرعاً ورُمحاً فأَعطوه ذلك أَجمع، فأَخذه وركب الفرس وخرج على وجهه فلقيه مالٌ لِأَبي دُلف يُحْمَل من بعض ضياعه، فأَخذه وخرج جماعةٌ من غِلمانه فمانعوه عنه، فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهزموا، وسار بالمال، فلم ينزل، إِلا على عشرين فرسخاً، فلما اتصل خبره بأَبي دُلف قال: نحن جنينا على أنفسنا، وقد كنا أغنياء عن إِهاجة أبي وائل، ثم كتب إِليه بالأمان، وسوّغه

المال، وكتب إليه: صِرْ إلينا فلا ذنب لك، لأنا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا، فرجع ولم يزل معَه يمتدحه، حتى مات.

معَ الرشيد:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني الحسن بن إسماعيلَ، عنِ ابن الحفصيّ، قال:

قال يزيدُ بن مزيد: وجّه إليَّ الرشيد في وقت يرتاب فيه البريء، فلما مثلت بين يديه، قال: يا يزيدُ، منَ الذي يقول:

ومن يفتقر منا يَعِشْ بحسامهِ ومن يفتقر من سائر الناس يسألِ

[الطويل]

فقلت له: والذي شرفك وأَكرمك بالخلافة ما أَعرفه، قال: فمن الذي يقول:

وإن يكُ جدُّ القوم فهر بن مالكٍ فجَدِّي لجيمٌ قرمُ بكر بن وائلِ

[الطويل]

قلت: لا والذي أَكرمك وشرفك يا أَميرَ المؤمنين ما أعرفه، قال: والذي كرمني وشرفني إنك لتعرفه أَتظن يا يزيدُ أني إذا أوطأتك بساطي وشرّفتك بصنيعتي أني أَحتملك على هذا؟ أَوَ تظن أني لا أُراعي أُمورَك وأتقصَّاها[1] وتحسب أَنه يخفى عليّ شيء منها؟ واللَّهِ إن عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك، هذا جِلف من أَجلاف ربيعةَ عدا طوره وألحَق قريشاً بربيعة فأْتني به. فانصرفت وسألت عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، وكان أَحد أصحابي فدعوته وأعلمته ما كان منَ الرشيد، فأَمرت له بأَلفي درهم، وأَسقطت اسمه منَ الديوان، وأمرته أَلا يظهر ما دامَ الرشيد حياً، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فأَلحقت اسمه وزِدت في إنزاله.

شعره في الجارية رامشنة:

أَخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن حمزةَ العلويّ.

قال: حدثني أبو غسان دماذ، قال: حضرت بكر بن النطاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيين، وكانت للحنفيّ جارية يقال لها رَامِشْنَةُ، فقال فيها بكر بن النطاح:

---

(١) أتقصَّاها: أتتبّعها.

حَيّتْكَ بالرَّامِشْنِ[1] رامِشْنَةٌ أَحسنُ من رامِشْنة الآسِ
جاريةٌ لم يُقتَسَم بُضْعُها ولم تَبِتْ في بيت نَخَّاسِ
أفسدت إنساناً على أَهله يا مفسدَ الناسِ على الناسِ
[السريع]

وقال فيها:

أُكذِّب طرفي عنكِ والطَّرف صادقٌ وأُسمع أُذني منك ما ليس يُسْمعُ
ولم أسكنِ الأرض التي تسكنينها لكي لا يقولوا: صابرٌ ليس يجزعُ
فلا كبدي تبلي ولا لك رحمةٌ ولا عنكِ إقصارٌ ولا فِيك مطمعُ
لقيتُ أموراً فيكِ لم ألقَ مثلَها وأَعظم منها منك ما أتوقَّعُ
فلا تسألينني في هواكِ زِيادةً فايسرُهُ يجزي وأدناه يُقنِعُ
[الطويل]

نقد المأمون له:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن عليّ بن الصباح ـ وأظنه مُرسلاً وأن بينه وبينه ابنُ أبي سعد أو غيره، لأنه لم يسمع من علي بن الصباح ـ قال:

حدثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون: أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين، فأنشدته:

ومن يفتقر منَّا يعِش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يَسألِ
وإنَّا لنلهو بِالسُّيُوف كما لهت عروسٌ بِعقْدٍ أو سِخاب قَرَنْفلِ[2]
[الطويل]

فقال: ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: بكر بن النطاح، فقال: أحسن واللَّهِ، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دُلف ويمتدحه، وينتجعه، هلا أكل خبزه بسيفه كما قال؟.

مدحه لأبي دُلف:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال:

(١) الرامشن: قد يكون ضرباً من النباتات أو الأزهار.
(٢) السخاب: القِلادة من القرنفل تزيّن المرأة بها جيدها.

حدثني أبو الحسن الكسكريُّ قال: بلغني أن أبا دلف لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله، وقد أردف منهم فارسٌ رفيقاً له خلفه، فطعنهما جميعاً فانفذهما، فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين، على فرس، فلما قدم من وجهه دخل إليه بكر بن النطاح فأنشده:

صـوت

قالوا: ويَنظِم فارسينِ بطعنة ... يومَ اللقاءِ ولا يراه جليلا
لا تعجبوا فلوَ أن طول قناته ... مِيلٌ إذاً نظم الفوارس ميلا

[الكامل]

قال: فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه:

له راحةٌ لو أن مِعشار جودها ... على البَرّ كان البَرّ أندى منَ البحرِ
ولو أن خلق اللَّه في جسم فارسٍ ... وبارزه كان الخليّ منَ العُمْرِ
أَبا دُلفٍ بُوركت في كل بلدة ... كما بوركتْ في شهرها ليلةُ القدرِ

[الطويل]

عشقه لغلام وشعره فيه:

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار وعيسى بن الحسين، قالا: حدثنا يعقوبُ بنُ إسرائيلَ، قال: حدثني أبو زائدةَ، قال:

كان بكر بن النطاح الحنفيُّ يتعشّق غُلاماً نصرانياً ويجَنُّ به، وفيه يقول:

يا من إذا دَرَس الإنجيل كان له ... قَلْبُ التَّقِيِّ عنِ القرآن مُنصَرفا
إني رأيتك في نومي تُعانقني ... كما تعانِقُ لامُ الكاتبِ الألِفَا

[البسيط]

خيبة أمله في أبي دُلف:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ، قال: حدثني الحسن بن عبد اللَّه بن الرَّبعي، قال:

كان بكر بن النطاح يأتي أبا دلف في كل سنة، فيقول له: إلى جنب أَرضي أَرضٌ تُباع وليس يحضرني ثمنها، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطِيه ألفاً لنفقته، فجاءه في بعض السنين، فقال له مثل ذلك، فقال له أَبو دلف: ما

تفنى هذه الأَرضون التي إِلى جانب ضيعتك؟ فغضب وانصرف عنه، وقال:

يا نفسُ لا تجزعي منَ التّلفِ فإِن في اللَّه أَعظمَ الخَلفِ
إِن تقنعي باليسير تغْتَبِطي[1] ويُغنكِ اللَّه عن أُبي دُلفِ

[المنسرح]

قال: وكان بكر بن النطاح يأتي قرة بن محرز الحنفيَّ بكِرمانَ فيُعطيه عشرة آلاف درهم، ويُجري عليه في كل شهر يقيم عنده ألف درهم فاجتاز به قرة يوماً وهو ملازم في السوق وغرماؤه يُطالبونه بدين فقال له: ويحك، أما يكفيك، ما أُعطيك حتى تستدين وتُلازم في السوق؟ فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول:

ألا يا قرُّ لا تكُ سامريّاً[2] فتترك من يزورك في جهادِ
أَتعجبُ أن رأيت عليَّ ديناً وقد أَوْدى الطريفُ[3] ملا التلادِ[4]
ملأتُ يَدي منَ الدنيا مِراراً فما طَمِعَ العواذل[5] في اقتصادِي
ولا وجبتْ عليَّ زكاةُ مالٍ وهل تجبُ الزكاة على جوادِ؟

[الوافر]

إِغداق أبي دُلف فيه:

أخبرني محمد بن مزيد بن أَبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ عن أبيه، قال:

كنت يوماً عند علي بن هشام وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عقيل، فحدثته أن بكر بن النطاح دخل إِلى أَبي دُلف وأَنا عندَه، فقال لي أَبو دلف: يا أَبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تستطرفه، فبدر إِليه بكر وقال: أنا أنشدك أيُّها الأَميرُ بيتين قلتهما فيك في طريقي هذا إِليك وأحكمك، فقال: هاتِ، فإن شهد لك أَبو محمد رضينا، فأنشده:

---

(١) تغتبطي: تسرّي، تفرحي.
(٢) السّامريّ: نسبة إلى ابن خالة سيدنا موسى، وهو من جعل لبني إسرائيل ثوراً له خوار، والشاعر يحذّر من يُوجّه إليه النصح ألَّا يكون جامعاً للذهب.
(٣) الطريف من الأموال: الجديد، المستحدث.
(٤) التلاد: من الأموال: الموروث عن الأجداد.
(٥) العواذل، الواحد عاذل: اللائمون.

إذا كـان الـشـتـاءُ فـأنـت شـمـس وإن حـضـر الـمـصـيـفُ فـأنـت ظِـلُّ
ومـا تـدري إذا أعـطـيـت مـالاً أَتـكـثـر فـي سـمـاحـك أم تـقـلُّ؟
[الوافر]

فقلت له: أحسن واللَّهِ ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذ رضيتَ فأَعطوه عشرة آلاف درهم، فحُمِلت إليه وانصرفتُ إلى منزلي، فإذا أنا بعشرينَ ألفاً قد سَبَقَتْ إليَّ وجَّه بها أبو دُلف، قال: فقال عُمارة لعلي بن هشام، فقد قلتُ أنا في قريب من هذه القصة:

ولا عـيـبَ فـيـهـم غـيـر أنَّ أكُـفّـهُـم لأمـوالـهـم مـثـل الـسـنـيـنَ الـحـواطـمِ[1]
وأنـهـمُ لا يُـورثـون بـنـيـهـمُ وإنْ وَرِثـوا خـيـراً كـنـوز الـدراهـم
[الطويل]

رثاؤه لمعقل بن عيسى:

أخبرني عمّي، قال: حدثني عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبةَ، قال:

كان معقل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح، وكان بكر فاتكاً صُعلوكاً، فكان لا يزال قد أحدث حادثة في عمل أبي دُلف، أو جنى جناية، فيهُمُّ به فيقوم دونه معقل حتى يتخلَّصَه، فمات معقل، فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله:

وحـدَّث عـنـه بـعـضُ مـن قـال: إنـه رأَتْ عـيـنُـه فـيـمـا تـرى عَـيْـنُ حـالِـمِ
كـأن الـذي يـبـكـي عـلـى قـبـر مَـعْـقِـل ولـم يـرَه يـبـكـي عـلـى قـبـر حـاتـمِ
ولا قـبـرِ كـعـبٍ إذ يَـجـود بـنـفـسـهِ ولا قبرِ حلْفِ الجودِ قيسِ بنِ عاصمِ
فـأَيـقـنـتُ أنَّ الـلَّـه فـضَّـل مـعْـقِـلاً عـلـى كـل مـذكـورٍ بـفـضـلِ الـمـكـارمِ
[الطويل]

أَحد الشعراء يهجوه لبخله:

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدثني العمريّ، قال:

كان بكر بن النطاح الحنفي أَبو وائل بخيلاً فدخل عليه عبَّادُ بن المُمَزّق

(١) السنين الحواطم: السنوات العِجاف، بكسر العين.

يوماً، فقدَّم إليه خبزاً يابساً قليلاً بلا أُدْمٍ، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع، فقال عبّاد يهجوه.

مـن يـشـتـري مـنّـي أَبـا وائـلٍ بـكـرَ بـنَ نـطَّـاحٍ بِـفَـلْـسَـيْـنِ؟
كـأَنـمـا الآكِـلُ مـن خـبـزه يـأكـلـه مـن شَـحـمَـةِ الـعَـيـنِ
[السريع]

قال: وكان عبّاد هذا هجَّاء ملعوناً، وهو القائل:

أَنـا الـمُـمَـزّق أَعـراضَ الـلـئـام كـمـا كـان الـمُـمـزِّقَ أَعـراضَ الـلـئـام أَبـي
[البسيط]

مدح وهجاء:

أَخبرني عمي، قال: حدثنا أَبو هِفَّان، قال:

كان بكر بن النطاح قصد مالِكَ بنَ طَوْقٍ فمدحه، فلم يرضَ ثوابه، فخرج من عنده وقال يهجوه:

فـلـيـتَ جَـدا مـالـكٍ كُـلّـه ومـا يُـرْتَـجى مـنـه مـن مـطْـلَـبِ
أُصِـبْـتُ بـأَضـعـاف أَضـعـافِـه ولـم أَنْـتَـجِـعْـهُ[1] ولـم أَرْغَـبِ
أَسـأتُ اخـتـيـاري مـنـك الـثـوابَ لـي الـذنْـبُ جـهـلاً ولـم تُـذْنِـبِ
[المتقارب]

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه، فلما قرأها وجه جماعة من أصحابه في طلبه، وقال لهم: الويل لكم إن فاتكم بكر بن النطاح ولا بدَّ أن تنكفئوا على أَثره ولو صار إلى الجبل، فلحقوه فردُّوه إليه، فلما دخل داره ونظر إليه قام فتلقاه، وقال: يا أَخي عَجِلْت علينا وما كنا نَقتصِر بك على ما سلف وإنما بعثنا إليك بنفقة، وعوّلنا بك على ما يتلوها، واعتذر كلُّ واحد منهما إلى صاحبه، ثم أَعطاه حتى أَرضاه، فقال بكر بن النطاح يمدحه:

أقـولُ لـمـرتـادٍ نـدى غـيـرِ مـالـكٍ كَـفـى بـذْلَ هـذا الـخـلـقِ بـعـضُ عـداتِـهِ
فـتًـى جـاد بـالأمـوال فـي كـلِّ جـانـبٍ وأَنـهـبـهـا فـي عَـوْدِهِ وَبـداتِـهِ
فـلـو خَـذَلـتْ أمـوالُـه بَـذْلَ كـفـه لـقـاسَـمَ مـنْ يـرجـوه شـطـرَ حـيـاتِـهِ

(١) أنتجعه: أقصد الانتقال إليه للسكنى والاستفادة من زرعه.

ولـو لـم يـجـدْ فـي الـعـمـر قـسـمَـةَ مـالِـه وجـازَ لـه الإِعـطـاءُ مـن حَـسـنـاتِـهِ
لـجـاد بـهـا مـن غـيـر كُـفـرٍ بـربّـه وشـاركَـهُـمْ فـي صـوْمـه وصـلاتِـهِ
[الطويل]

فوصله صِلة ثانية لهذه الأبيات، وانصرف عنه راضياً. هكذا ذكر أَبو هِفان في خبره وأَحسبه غلطاً، لأنَّ أَكثر مدائح بكر بن النطاح في مالك بن عليّ الخُزاعيّ. وكان يتوَلى طريق خراسانَ وصار إِليه بكر بن النطاح بعد وفاة أَبي دُلف ومدحه فأَحسن، فقبله وجعله في جنده، وأَسنى له الرزق، فكان مَعه، إِلى أَن قتله الشُّراةُ[١] بحُلْوان، فرثاه بكر بعدة قصائد هي من غرر شعره وعيونه.

رثاؤه لمالك الخزاعيّ:

فحدثني عمّي، قال: حدثني أَحمد بن أَبي طاهر، عن أَبي وائلةَ السدوسي، قال:

عاثتِ الشُّراةُ بالجبَل عَيثاً شديداً، وقتلوا الرجال والنساء والصبيان، فخرج إِليهم مالك بن علي الخُزاعيّ وقد ورَدوا حلوانَ، فقاتلهم قِتالاً شديداً فهزمهم عنها، وما زال يتبعهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها حدان، فقاتلوه عندها قتالاً شديداً، وثبت الفريقان إِلى الليل حتى حجز[٢] بينهم، وأَصابت مالِكاً ضربة على رأسه أَثْبتَته[٣]، وعلِم أنه ميت، فأَمر بِرَدِّه إِلى حلوان، فما بلغها حتى مات، فدفن على باب حُلوان، وبنيت لقبره قُبة على قارعة الطريق، وكان معَه بكر بن النطاح يومَئذٍ، فأَبلى بلاءً حسناً، وقال بكر يرثيه:

يـا عـيـنُ جُـودي بـالـدمـوع الـسـحـامْ عـلـى الأَمـيـر الـيـمـنـيِّ الـهُـمـامْ
عـلـى فـتـى الـدنـيـا وصِـنـديـدِهـا[٤] وفـارسِ الـديـن وسـيـف الإِمـامْ
لا تـدخـري الـدمـعَ عـلـى هـالـك أَيـتـم إِذ أودى جـمـيـع الأنـامْ
طـابَ ثـرى حُـلـوانَ إِذْ ضـمـنَـتْ عِـظـامَـه سَـقْـيـاً لـهـا مـن عِـظـامْ
أَغـلـقَـتِ الـخـيـراتُ أَبـوابَـهـا وامـتَـنـعَـتْ بـعـدَك يـا ابـنَ الـكِـرامْ

(١) الشراة: هم الخوارج، وهم من أعطوا لأنفسهم هذا الاسم.
(٢) حجز بينهم: فصل بين الفريقين.
(٣) أثبتته: أصابت مقتله.
(٤) الصنديد: البطل الشجاع القوي.

وأَصبحت خيلك بعدَ الوَجَا[١] والغَزوِ تشكو منك طول الجَمامْ[٢]
إرحَلْ بنا نَقْرُب إلى مالكٍ كيما نُحَيِّي قبره بالسلامْ[٣]
كان لأَهل الأرض في كفِّه غِنًى عنِ البحر وصَوبِ الغَمامْ[٤]
وكان في الصبح كشمس الضحى وكان في الليل كبَدْرِ الظلامْ
وسائلٍ يُعْجَبُ من موته وقد رآه وهو صَعْبُ المرامُ
قلت له: عهدي به مُعْلِماً يضربهُم عند ارتفاع القَتامْ[٥]
والحرْبُ من طاوَلها لم يَكدْ يُفلِت من وَقْعِ صقيلٍ حُسامْ
لم يَنْظُرِ الدهرُ لنا إذْ عَدا على ربيعِ الناس في كلّ عامْ
لَن يستقيلوا أَبداً فقْدَه ما هَيَّجَ الشَّجْوَ[٦] دُعاءُ الحمامْ

[السريع]

قال: وقال أيضاً يرثيه:

أَي امرىءٍ خضبَ الخوارجُ تربَهُ بدَمٍ عشِيَّةَ راح من حُلْوانِ
يا حُفْرةً ضمَّتْ محاسِنَ مالكٍ ما فيك من كرم ومن إحسانِ
لَهْفي على البطل المُعرّض خدَّه وجبينَه لأَسِنّة الفرسانِ
خَرَق الكتيبةَ مُعْلماً مُتنَكِّباً والمُرْهفاتُ عليه كالنّيرانِ
ذهبتْ بشاشةُ كلّ شيءٍ بعدَه فالأَرْضُ موحِشةٌ بلا عُمرانِ
هدمَ الشراةُ غداة مصرَعِ مالكٍ شرَف العُلا ومكارِمَ البُنْيانِ
قتلوا فتى العرب الذي كانتْ به تقْوى على اللَّزباتِ[٧] في الأَزمان
حرموا مَعَدّاً ما لديه وأَوقعوا عَصبيَّةً في قلب كلِّ يَماني
تركوه في رَهج[٨] العَجاجِ[٩] كأنه أسدٌ يصول بساعدٍ وَبنانِ

(١) الوجا: الإرهاق والتعب الشديد.
(٢) الجَمام: الاستراحة والدعة، دون الخروج للقتال.
(٣) الصلام: موضع.
(٤) صوب الغمام: انهمار وانصباب الأمطار.
(٥) القتام: الظلمة، العتمة الشديدة. (٦) الشجو: الحزن.
(٧) اللزبات: الشدائد وسنوات القحط والجفاف.
(٨) الرهج: الغبار الثائر بواسطة الرياح أو جولان المحاربين.
(٩) العجاج: الغبار.

هـوَتِ الـجـدُود[١] عـنِ الـسُّـعـود لـفـقـده وتـمـسَّـكـت بـالـنَّـحـسِ والـدَّبـرانِ[٢]
لا يَـبـعَـدنَّ أَخـو خُـزاعـةَ إذ ثـوى مُـسـتـشـهـداً فـي طـاعـة الـرَحـمـنِ
عـزَّ الـغـواةُ بـه وذلَّـت أُمَّـةٌ مَـحْـبُـوَّةٌ بـحـقـائـق الإيـمـانِ
وبـكـاهُ مـصـحَـفُـه وصـدْرُ حُـسـامِـه والـمـسـلـمـون ودولـةُ الـسـلـطـانِ
وغـدت تُـعـقّـرُ[٣] خـيـلُـه وتُـقـسِّـمَـتْ أدراعُـه وسـوابـغُ[٤] الأَبـدانِ
أفـتُـحْـمَـدُ الـدُّنـيـا وقـد ذهـبَـتْ بـمـن كـان الـمـجـيـرَ لـنـا مـن الـحـدَثـانِ؟

[الكامل]

حنينه إلى بغداد:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ، قال: أنشدني أبو غسان دماذ.

لبكر بن النطاح يتشوَّق بغداد، وهو بالجبل يومئذٍ.

نـسـيـمُ الـمُـدامِ[٥] وبَـرْدُ الـسَّـحَـرْ هُـمـا هـيَّـجـا الـشـوقَ حـتـى ظَـهَـرْ
تـقـول: اجـتـنِـب دارَنـا بـالـنـهـارِ وزُرنـا إذا غـاب ضـوءُ الـقـمَـرْ
فـإنَّ لـنـا حـرسـاً إنْ رأَوْكَ نـدِمـتَ وأُعـطـوا عـلـيـك الـظَّـفَـرْ
وكـم صـنـعَ الـلَّـهُ مـن مـرَّةٍ عـلـيـهـم وقـد أُمِـروا بـالـحـذَرْ
سـقـى الـلَّـه بـغـدادَ مـن بـلـدة وسـاكِـنَ بـغـدادَ صَـوبَ الـمـطَـرْ
ونُـبـئـتُ أن جَـواري الـقـصـو رِ صَـيَّـرْنَ ذِكـري حـديـثَ الـسَّـمَـرْ
ألا رُبَّ سـائـلـةٍ بـالـعـرا ق عـنِّـي وأُخـرى تُـطـيـلُ الـفِـكَـرْ
تـقـول: عَـهِـدنـا أَبـا وائـل كـظَـبـيّ الـفـلاة الـمـلـيـح الـحَـوَرْ
لـيـالـيَ كـنـت أَزورُ الـقِـيـانَ كـأَنَّ ثِـيـابـي بَـهـارُ الـشَّـجَـرْ[٦]

[المتقارب]

---

(١) الجدود، الواحد جَدّ؛ بفتح الجيم: الحظوظ.
(٢) الدبران: منزل للقمر، وهو مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور.
(٣) تُعقر: تُذبح.
(٤) أدراعه وسوابغ الأبدان: الدروع الفضفاضة التي تنسدل على أجساد المحاربين.
(٥) المُدام، بضم الميم: من أسماء الخمرة.
(٦) البهار: نبت طيب الرائحة.

شعره في الجارية درَّة:

حدثني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

كان بكر بن النطاح يهوى جارية من جواري القِيان وتهواه، وكانت لبعض الهاشميين يقال لها دُرَّة، وهو يذكرها في شعره كثيراً، وكان يجتمع معَها في منزل رجل منَ الجند من أَصحاب أبي دُلف، يقال له الفِرْز، فسعى به إِلى مولاها، وأَعلمه أنه قد أَفسدها وواطأها على أن تهرب معَه، إِلى الجبل، فمنعه من لقائها وحجبه عنها، إِلى أن خرج إلى الكرَج معَ أَبي دُلف، فقال بكر بن النطاح في ذلك:

أهلُ دارٍ بين الرُّصافة والجِسـ ـرِ أَطالوا غيظي بطولِ الصدودِ
عذَّبُوني ببعدهم وابتلوا قلـ ـبي بحُزنين طارفٍ وتليدِ
ما تهُبُّ الشَّمالُ إلا تنفَّسـ ـت وقال الفؤادُ للعين جُودي
قلَّ عنهم صبري ولم يرحموني فتحيَّرتُ كالطريد الشريدِ
وَكلتني الأيامُ فيكِ إِلى نفسـ ـي فأَعيَيْتُ[1] وانتهى مجهودي

[الخفيف]

وقال فيها أيضاً وفيه غِناء منَ الرمل الطنبوري:

ألعينُ تُبدي الحُبَّ والبُغْضا وتُظهر الإبرامَ[2] والنّقْضا[3]
دُرَّةُ ما أَنصَفْتِني في الهوى ولا رحمتِ الجسدَ المُنضى[4]
مرت بنا في قُرطقٍ[5] أَخضرٍ يعشق منها بعضُها بعضا
غَضْبى ولا واللَّهِ يا أَهلَها لا أَشرب البارِد أَو ترضى
كيف أَطاعتكم بهَجري وقد جَعَلتُ خَدّي لها أَرضا؟

[السريع]

وقال فيها أَيضاً وفيه رمل طنبوريّ:

صدّت فأَمسى لقاؤها حَرما واستبدل الطرفُ بالدموع دَما

---

(١) أعييت: مرضت.
(٢) الإبرام: إجادة إحكام أمر ما.
(٣) النقض: إفساد الأمر بعد إحكامه.
(٤) المُنضى: النحيل.
(٥) القرطق: ضرب من الأردية.

وسلّطت حُبَّها على كَبدي فأَبدلتني بصحَّة سقَما
وصِرْتُ فرداً أَبكي لفُرقتها وأَقرع السِّنَّ[1] بعدَها ندَما
شَقَّ عليها قولُ الوشاةِ لها أَصبحْتِ في أمر ذا الفتى عَلما
لولا شقائي وما بليت به من هجرها ما استترت ما اكتُتِما[2]
كم حاجةٍ في الكِتابِ بُحْتُ بها أَبكيتُ منها القِرطاس والقَلما

[المنسرح]

وقال فيها أيضاً وفيه رمل لأَبي الحسن أحمدَ بن جعفر جحظة:

بَعُدتِ عني فتغيّرتِ لي وليس عندي لكِ تغييرُ
فجَدِّدي ما رَثَّ من وصلنا وكل ذنبٍ لك مغفورُ
أُطيِّبُ النفسَ بكِتمانِ ما سارت به في غدرِكِ العِيرُ
وعدُكِ يا سيدتي غرَّني منك ومن يَعْشقُ مغْرورُ
يَحزُنني علمي بنفسي إِذا قال خليلي: أَنتَ مهجورُ
يا ليت من زيَّن هذا لها جارَت لنا فيه المقاديرُ
ساقي النَّدامى سقِّها صاحبي فإِنني ويحكَ مَعْذورُ
أَأَشربُ الخمرَ على هجرها إِني إِذاً بالهجر مسرورُ

[السريع]

وفيها يقول وقد خرج معَ أَبي دَلف إِلى أصبهانَ:

يا ظبيةَ السَّيب التي أَحببتُها ومنحتها لطفي ولينَ جناحي
عيناي باكيتانِ بعدَكِ للذي أَودعتِ قلبي من نُدوبِ جراح
سَقْياً لِأَحمَدَ من أَخٍ ولِقاسم فقَدا غُدوِّي لاهياً ورواحي
وتردُّدي من بيت فرزٍ آمناً من قُرب كلِّ مُخالِفٍ ومُلاحي
أَيامَ تغبِطُني الملوكُ ولا أَرى أَحداً له كتدلُّلي ومرَاحي
تَصِفُ القِيانُ إِذا خَلوْنَ مجَانتي ويَصفنَ للشَّربِ الكِرامِ سماحي

[الكامل]

ومما يُغَنَّى فيه من شعر بكر بن النطاح في هذه الجارية قوله:

(١) أقرع السنّ: أندم.
(٢) اكتتم: سُتِر وأخفى.

صـــوت

هـل يُـبـتـلـى أَحـدٌ بـمـثـل بـلـيَّـتـي ... أَم لـيس لـي فـي الـعـالـمـيـن ضـريـبُ؟
قـالـت عَـنـانُ وأَبـصـرتـنـي شـاحـبـاً: ... يـا بَـكـرُ مـا لـكَ قـد عـلاك شـحـوبُ؟
فـأَجـبـتُـهـا يـا أخـتِ: لـم يـلـق الـذي ... لاقـيـتُ إِلا الـمـبـتَـلـى أيـوبُ
قـد كـنـتُ أسـمـع بـالـهـوى فـأَظـنُّـه ... شـيـئـاً يَـلَـذُّ لِأَهـلـه ويـطـيـبُ
حـتـى ابـتـلـيـتُ بـحُـلْـوِه وبـمـرِّه ... فـالـحـلْـوُ مـنـه لـلـقـلـوبِ مُـذيـبُ
والـمـرّ يـعْـجِـزُ مـنـطـقـي عـن وصـفِـه ... لـلـمُـرِّ وصْـفٌ يـا عـنـانُ عـجـيـبُ
فـأنـا الـشـقـيُّ بـحُـلـوِه وبـمـرِّه ... وأنـا الـمُـعَـنَّـى[1] الـهـائـم الـمَـكـروبُ
يـا دُرَّ حـالـفَـكِ الـجـمـالُ فـمـا لـهُ ... فـي وجـه إنـسـانٍ سـواكِ نـصـيـبُ
كـلُّ الـوجـوهِ تـشـابـهَـتْ وبـهَـرْتِـهـا ... حُـسْـنـاً فـوجْـهُـكِ فـي الـوجـوه غـريـبُ
والـشـمـس يـغـرب فـي الـحـجـاب ضـيـاؤهـا ... عـنـا ويُـشـرق وجـهُـك الـمـحـجـوبُ

[الكامل]

ومما يغنى فيه من شعره فيها أيضاً:

صـــوت

غـضِـبَ الـحـبـيـبُ عـلـيَّ فـي حُـبـي لـه ... نـفـسـي الـفـداءُ لـمـذنـبٍ غَـضْـبـان
مـا لـي بـمـا ذكـرَ الـرسـولُ يـدانِ بـلْ ... إن تـمَّ رأْيُـكَ ذا خـلَـعْـتُ عـنـانـي
يـا مَـن يـتـوقُ إلـى حـبـيـبٍ مُـذنـبٍ ... طـاوعْـتـه فـجـزاك بـالـعـصـيـانِ
هـلا انـتـحـرْتَ فـكـنـتَ أَول هـالـكٍ ... إن لـم يـكـن لـك بـالـصـدود يـدانِ
كـنـا وكـنـتـم كـالـبَـنـانِ وكـفِّـهـا ... فـالـكـفُّ مُـفـرَدةٌ بـغـيـرِ بـنـانِ
خُـلـق الـسـرورُ لـمـعـشـرٍ خُـلـقـوا لـه ... وخُـلِـقـتُ لـلـعـبـرات والأحـزانِ

[الكامل]

صـــوت

لـيـت شِـعـري أَأَوَّلُ الـهـرجِ هـذا ... أَمْ زمـانٌ مـن فـتـنَـةٍ غـيـر هـرجِ

---

(١) المعنّى: المتيّم، أو العاشق الولهان.

إِن يـعـش مـصـعـبٌ فـنـحـن بـخـيـرٍ قـد أَتـانـا مـن عـيـشِـنـا مـا نُـرجِّـي
مـلـكٌ يُـطـعـم الـطـعـامَ ويـسـقـي لبنَ البُخْتِ[1] في عِساس[2] الخَلنجِ[3]
حَـلـب الـخـيْـل مـن تِـهـامـةَ حـتَّـى بـلـغـت خـيـلُـه قُـصـور زرَنْـجِ[4]
حـيـث لـم تـأتِ قـبـلـه خـيـلُ ذي الأَكـ ـتـاف يـوجـفـن[5] بـيـن قُـفٍّ[6] وَمـرجِ[7]

[الخفيف]

عروضه منَ الخفيف، الشعر لعُبيد اللَّه بن قيس الرُّقيات، والغناء ليونسَ الكاتب ماخوريّ بالبنصر، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إِسحاقَ.

(١) البُخت من الإبل: نوع منها تشتهر به بلاد الفرس.
(٢) العِساس، بكسر العين، الواحد عُسّ: القدح أو الإناء الكبير.
(٣) الخلنج: ضرب من الأشجار، يصنع من خشبه بعض الأواني المنزلية.
(٤) رزنج: موضوع.
(٥) ذي الأكتاف: آخر ملوك التبابعة.
(٦) القفّ: حجارة غاص بعضها ببعض.
(٧) المرج: أرض ذات نبت وكلإ.

مقتل مصعب بن الزبير

وهذا الشعر يقوله عُبيدُ اللَّه بنُ قيس لمصعب بن الزبير لما حَشَد للخروج عن الكوفة لمحاربة عبد الملك بن مروان وكان السببُ في ذلك، فيما أجاز لنا الحرميّ بن أبي العلاء روايتَه عنه، عنِ الزبير بن بكار، عنِ المدائنيّ، قال:

لما كان سنة اثنتين وسبعين، استشار عبدُ الملك بن مروان عبد الرحمٰن بن الحكم في المسير إِلى العراق ومناجَزَةِ مُصعب، فقال: يا أَميرَ المؤمنين، قد وَالَيْتَ بين عامينِ تغزو فيهما وقد خسرتْ خيلُك ورجالُك وعامك هذا عامٌ حارٌّ فأَرِحْ نفسك ورَجْلك ثم ترى رأيك، فقال: إِني أُبادِرُ ثلاثة أَشياء وهي أن الشام أَرض بها المال قليل فأَخاف أن ينفد ما عندي، وأَشراف أَهل العراق قد كاتبوني يَدْعُونِّي إِلى أنفسهم، وثلاثةً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ قد كَبروا ونفِدت أَعمارهم، فأَنا أُبادر بهم الموتَ أحب أن يحضروا معي، ثم دعا يحيى بن الحكم، وكان يقول: من أَراد أَمراً فلْيشاورْ يحيى بن الحكم، فإِذا أَشار عليه بأَمر فلْيعملْ بخِلافهِ، فقال: ما ترى في المسير إِلى العراق؟ قال: أَرى أَن ترضى بالشام وتُقيم بها وتدع مصعباً بالعراق، فلعن اللَّه العراق، فضحك عبد الملك ودعا عبد اللَّه بن خالد بن أَسيد فشاوره، فقال: يا أميرَ المؤمنين قد غزوت مرةً فنصرك اللَّه، ثم غزوت ثانيةً فزادك اللَّه بها عزاً، فأَقِمْ عامك هذا، فقال لمحمد بن مروان: ما ترى؟ فقال أرجو أن ينصرَك اللَّه أقمت أم غزوت، فشمِّر فإِن اللَّه ناصرك، فأَمر الناس فاستعدوا للمسير، فلما أَجمع عليه، قالت عاتكة بنت يزيدَ بن معاويةَ زوجته: يا أَميرَ المؤمنين وجِّه الجنود وأَقِمْ فليس الرأْي أَن يُباشر الخليفةُ الحرب بنفسه، فقال: لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب أَني لست معهم لهلك الجيش كله، ثم تَمثل:

ومُستخبرٍ عنَّا يُريد بنا الردى ومستخبراتٍ، والعيونُ سواكِبُ

[الطويل]

ثم قدَّم محمدَ بن مروان ومعَه عبد اللَّه بن خالد بن أَسيد وبِشر بن مروان، ونادى مناديه أنَّ أمير المؤمنين قدِ استعمل عليكم سيِّد الناس محمد بن مروان، وبلغ مصعبَ بن الزبير مسيرُ عبد الملك، فأَراد الخروج فأَبى عليه أَهل البصرة، وقالوا عدوُنا مُطِلٌّ علينا، يعنون الخوارج، فأرسل إليهم بالمهلَّب وهو بالموصل، وكان

عامله عليها، فولاه قِتال الخوارج، وخرج مصعب، فقال بعض الشعراء:

أَكُلَّ عام لك باجُمَيرا[١] تغزو بنا ولا تُفيد خَيرا

[الرجز]

قال وكان مصعب كثيراً ما يخرج إِلى باجُمَيرا يريد الشام ثم يرجع، فأَقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونية[٢] ونزل مصعب بمسكن إِلى جانب أَوانا وخندق خندقاً ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان، فقدّم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه، وكل واحد منهما على جيش والأمير محمدٌ، وقدم مصعبٌ إِبراهيمَ بن الأشتر، ثم كتب عبد الملك إِلى أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعوهم إِلى نفسه ويُمَنِّيهم، فأَجابوه وشرطوا عليه شروطاً، وسألوه ولايات، وسأله ولاية أَصبهانَ أربعون رجلاً منهم، فقال عبد الملك لمن حضره: ويحكم ما أَصبهانُ هذه؟ تعجُباً ممن يطلبها، وكتب إِلى إِبراهيمَ بنِ الأشتر: لك ولاية ما سقى الفرات إِن تبعتني فجاء إِبراهيم بالكتاب إِلى مصعب، فقال: هذا كتاب عبد الملك ولم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائي ثم قال: فأَطِعني فيهم، قال: أَصنع ماذا؟ قال: تدعوهم فتضرب أعناقهم. قال: أقتلهم على ظن ظننته؟ قال، فأوقِرهم[٣] جديداً وابعث بهم إِلى أبيض المدائن[٤] حتى تنقضي الحرب، قال: إِذاً تفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس عبث مصعبٌ بأَصحابه. قال: فإِن لم تفعل فلا تمِدَّني بهم فإِنهم كالمومسة[٥] تريد كل يوم خليلاً، وهم يُريدون كل يوم أَميراً.

أَرسل عبد الملك إِلى مصعب رجلاً يدعوه إِلى أَن يجعلَ الأمر شوري في الخلافة، فأبي مصعب، فقدم عبد الملك أَخاه محمداً، ثم قال: اللَّهمَّ انصر محمداً، يقولها مراراً، اللَّهمَّ انصر أَصلحنا وخيرَنا لهذه الأمة، قال وقدم مصعبٌ إِبراهيمَ بن الأشتر فالتقتِ المقدّمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الأشتر فرسخ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد، فتناوشوا فقُتلَ رجلٌ على مقدمة محمد يُقال له فِراس، وقُتِل صاحب لواء بِشر وكان يقال له أَسيد، فأرسل محمد إِلى عبد الملك أَنَّ بِشراً قد ضيع لواءه فصيّر عبد الملك الأمرَ كله إِلى محمد، وكفّ الناسُ وتواقفوا، وجعل أصحاب ابن الأشتر يَهُمُّون بالحرب ومحمدُ بن مروانَ يكفُّ أصحابه، فأَرسل

(١) باجميرا: من أراضي الموصل. (٢) الأخنونية: موضع قرب بغداد.
(٣) أوقرهم: زوّدهم وأعطهم.
(٤) أبيض المدائن: عاصمة الفرس قبل الإسلام، پرسبوليس.
(٥) المومسة: المرأة السوء.

عبد الملك إلى محمد: ناجزْهم، فأبى، فأوفد إليه رسولاً آخر وشتمه، فأمر محمدٌ رجلاً، فقال له: قف خلفي في ناس من أَصحابك، ولا تدعن أحداً يأتيني من قِبَل عبد الملك وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخيرِه المناجزة إلى وقت رآه فَكَرِهَ أن يُفسد عبدُ الملك تدبيره عليه. فوجّه إليه عبد الملك عبدَ اللَّه بن خالد بن أسيد، فلما رأوه أرسلوا إلى محمد بن مروان: هذا عبد اللَّه بن خالد بن أَسيد، فقال: ردوه بأَشدَّ ما رددتم من جاء قبله، فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان أصحابه بالحرب، وقال: حركوهم قليلاً، فتهايج الناس، ووجه مصعبٌ عتاب بن ورقاءَ الرِّياحيّ يُعجِّز إبراهيم، فقال له: قد قلت له: لا تُمِدَّني بأَحد من أَهل العراق فلم يقبل، واقتتلوا، وأَرسل إبراهيم بن الأَشتر إلى أصحابه ـ بحضرة الرسول ليرى خلافَ أهل العراق عليه في رأيه ـ أَلا تنصرفوا عنِ الحرب حتى ينصرف أهل الشام عنكم، فقالوا: ولِمَ لا ننصرف؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أَتوا مصعباً، وصبر إبراهيم بن الأشتر يُقاتل حتى قُتِلَ، فلما أصبحوا أَمر محمد بن مروان رجلاً فقال: انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر، قال: لا أَعرف موضع عسكرهم، فقال له إبراهيم بن عربيّ الكِنانيّ: انطلق: فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب ثم رجع إلى محمد فقال: رأيتهم منكسرين، ثم أصبح مصعب ودنا منه محمد بن مروان حتى التقوا، فترك قومٌ من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان، فدنا إلى مصعب ثم ناداه: فِداك أَبي وأُمي، إن القوم خاذلوك ولك الأمان، فأَبى قبول ذلك، فدعا محمدُ بنُ مروان ابنَه عيسى بن مصعب، فقال له أبوه: انظر ما يريد محمد، فدنا منه فقال له: إني لكم ناصح، إن القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان، وناشده، فرجع إلى أبيه فأَخبره، فقال: إني أظنّ القوم سَيفون فإن أَحببت أن تأْتيهم فأْتِهم، فقال: واللَّهِ لا تتحدث نساء قريش أَني خذلتك ورغبت بنفسي عنك، قال: فتقدم حتى أَحتسبك، فتقدم وتقدم ناس معَه فقُتل وقُتلوا، وترك أَهل العراقِ مُصعباً حتى بقي في سبعة، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأْس عيسى، فشدّ عليه مصعب فقتله، ثم شدّ على الناس فانفرجوا، ثم رجع فقعد على مرفقة ديباج، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيَفرُجون عنه، ثم يرجع فيقعد على المرفقة، حتى فعل ذلك مراراً، وأَتاه عُبيد اللَّه بن زياد بن ظَبيان فدعاه إلى المبارزة، فقال له: اعزب يا كلب، وشدَّ عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه، فرجع عبيد اللَّه فعصَّب رأسه، وجاء ابن أبي فروةَ كاتبُ مصعب فقال له: جُعلت فداءك قد تركك القوم وعندي خيل مُضمَّرة فاركبها وانجُ بنفسك، فدفع في صدره

وقال: ليس أَخوك بالعبد. ورجع ابن ظَبيان إِلى مصعب فحمل عليه، وزَرَقَ زائدةُ بنُ قُدامةَ مصعباً ونادى: يا لثارات المختار، فصرعه، وقال عبيد اللَّه لغلام له ديلمي: احتز رأسه فنزل فاحتز رأسه، فحمله إلى عبد الملك، فيقال: إنه لما وضعه بين يديه سجد. قال ابن ظبيان: فهممت واللَّهِ أن أقتله فأكون أفتك العرب، قتلت ملكين من قريش في يوم واحد ثم وجدت نفسي تنازعني، إِلى الحياة فأمسكت.

قال: وقال يزيد بن الرّقاع العامِلي أَخو عديّ بن الرقاعِ وكان شاعر أَهل الشام:

نحن قتلنا ابنَ الحواريِّ مُصعباً أَخا أَسد والمذْحِجيّ اليمانيا

[الطويل]

يعني ابن الأشتر، قال:

ومرَّت عُقابُ الموتِ منا بمُسْلمٍ فأَهْوَتْ له ظفراً فأصبح ثاويا

[الطويل]

قال الزبير: ويروى هذا الشعر للبعيث اليشكريّ. ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهليّ.

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا محمد بن الحكم عن عوانةَ، قال:

كان مسلم بن عمرو الباهليّ على ميسرة إبراهيمَ بنِ الأَشتر فطعن وسقط فارتُثَّ[1] فلما قُتِلَ مصعبٌ أَرسل إلى خالد بن يزيدَ بن معاويةَ أن يطلب له الأَمان من عبد الملك، فأَرسل إِليه ما تصنع بالأمان وأنت بالموت؟ قال: ليسلم لي مالي ويأمن ولدي. قال: فحُمل على سرير حتى أُدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك لأهل الشام: هذا أَكفر الناس لمعروف، ويحك أَكفرتَ معروف يزيدَ بنِ معاويةَ عندَك؟ فقال له خالد: تُؤمنه يا أميرَ المؤمنين، فأمنه ثم حُمل فلم يبرح الصحن حتى مات. فقال الشاعر:

نحن قتلنا ابنَ الحواريّ مصعباً أَخا أَسدٍ والمَذْحِجيّ اليمانيا

ومرت عقاب الموت منا بمسلم . . . . . .

[الطويل]

(١) ارتثّ: أخرج من المعركة ولا زال فيه رمق.

مقتل مصعب:

أَخبرنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أَحمد بن الحارث الخراز، عنِ المدائنيّ، قال:

قال رجل لعُبيد اللَّه بن زياد بن ظَبيان: بماذا تحتج عند اللَّه عزّ وجلّ في قتلك لمصعب؟ قال: إن تُركت أَحتجُّ رجوتُ أن أَكون أخطب من صَعصعة بن صوْحان.

وقال مصعب الزبيريّ في خبره: قال الماجشون.

فلما كان يوم قُتل مصعب دخل إلى سكينةَ بنتِ الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه، ولبس غِلالةً وتوشح بثوب، وأخذ سيفه، فعلِمتْ سُكينةُ أَنه لا يريد أَن يرجع، فصاحت من خلفه: واحرباه عليك يا مصعب، فالتفت إليها وقد كانت تُخفي ما في قلبها منه. فقال: أو كلُّ هذا لي في قلبك؟ فقالت: واللَّهِ، وما كنتُ أُخفي أكثر، فقال: لو كنت أَعلم أن هذا كله لي عندك لكانت لي ولك حال. ثم خرج ولم يرجع.

قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان.

أَن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سُكينةُ أَعطى أخاها عليّ بن الحسين عليهمُ السلام ـ وهو كان حملها إليه ـ أَربعين ألفَ دينار.

قال مصعب: وحدثني معاويةُ بن بكر الباهليُّ، قال:

قالت سكينة: دخلت على مصعب وأَنا أَحسن منَ النار الموقدة. قال: وكانت قد ولدت منه بنتاً، فقال لها سميها زبراء، فقالت: بل أُسميها باسم بعض أمهاتي، فسمتها الرّباب.

قال: فحدثني محمد بن سلام، عن شُعيب بن صخر:

عن أُمّه سعدَة بنتِ عبد اللَّه بن سالم، قالت: لقيت سكينة بنت الحسين بين مكةَ ومِنًى، فقالت: قفي يا بنتَ عبد اللَّه، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أَثقلتها باللؤلؤ. فقالت: واللَّهِ ما أَلبستها إِياه إِلَّا لتفضحه، قال: فلما قُتل مصعبٌ ولي أَمر ماله عروةُ بن الزبير، فزوج ابنه عثمان بن عروة ابنة أخيه من سُكينةَ، وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ، فورث عثمانُ بن عروةَ منها عشرة آلاف دينار.

قال ولما دخلت سُكينةُ الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبد الملك، فقالت: واللَّهِ لا يتزوجني بعدَه قاتله أَبداً فردّته وتزوجت عبد اللَّه بن عثمان بن عبد اللَّه بن حكيم بن حزام، ودخلت بينها وبينه رَمْلةُ بنتُ الزبير أُخت مصعب حتى تزوّجها خوفاً

من أن تصيرَ إلى عبد الملك، فولدت منه ابناً فسمته عثمان ـ وهو الذي يُلَقّب بقرين ـ ورُبيحة، ابنَيْ عبد اللَّه بن عثمان، فتزوج رُبيحةَ العباسُ بن الوليد بن عبد الملك، ثم مات عبد اللَّه بن عثمانَ عنها فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمانَ بن عفانَ، فقال عبيد اللَّه بن قيس الرقيات يرثي مصعباً:

صـوت

إِن الـرزيـة يـوم مَسْـ ـكِنَ والمُصِيبةَ والفجيعهْ
يـا ابـنَ الـحـواريِّ الـذي لـم يـعـدُه يـومُ الـوقـيـعَـهْ
غـدرتْ بـه مـضـرُ الـعِـرا قِ وأَمـكـنـتْ مـنـه رَبـيـعَـهْ
تـاللَّـهِ لـو كـانـت لـه بـالـدّيـر يـومَ الـدّيـر شـيـعَـهْ
لـوَجَـدتـمـوهُ حـيـنَ يُـدْ لِـج لا يُـعـرِّس بـالـمـضـيـعَـهْ[1]

[مجزوء الكامل]

غناه يونس الكاتب من كتابه، ولحنه خفيف رمل بالوسطي، وفيه لموسى شهواتٍ خفيف رمل بالبنصر عن حبش وقيل: بل هو هذا اللحن، وغلط من نسبه إلى موسى.

وقال عدي بنُ الرقاع العامليّ يذكر مقتله:

لعمري لقد أَصْحَرت خيلُنا[2] بأَكتافِ دجلةَ للمصعَبِ
يهُزون كل طويل القنا ةِ معتدلِ النَّصل والثَّعلبِ[3]
فداؤك أُمّي وأَبناؤها وإن شئتَ زدتُ عليهم أَبي
وما قلتُها رهبةً إنما يحُلُّ العِقابُ على المذنِبِ
إذا شئت دافعتُ مستقتِلاً أُزاحمُ كالجمل الأجربِ
فمن يكُ منَّا يَبِتْ آمناً ومن يكُ من غيرنا يَهْرُبِ

[المتقارب]

غناه معبد من رواية إسحاقَ ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وقال ابن قيس يرثي مصعباً:

(١) لا يعرّس بالمضيعة: لا يقيم في أرض مذلّة وهوان.
(٢) أصحرت خيلنا: برزت في الصحراء للعيان.
(٣) ثعلب الرمح: طرفه الداخل في جبة السنان.

لـقـد أَورَث الـمِـصـريـن خـزيـاً وذلَّـةً قـتـيـلٌ بـديـر الـجـاثَـلـيـق مُـقـيـمُ
فـمـا قـاتـلـت فـي الـلَّـه بـكـر بـن وائـل ولا صـبـرتْ عـنـد الـلـقـاء تـمـيـمُ
ولـكـنـه رامَ الـقـيـام ولـم يـكـن لـهـا مُـضـريٌّ يـوم ذاك كَـريـمُ

[الطويل]

قال الزبير: وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عنِ الحسين بن علي عليهما السلام وعن قتله، فجعل عروةُ بن المغيرة يُحدثه عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سليمانَ بنِ قتَّة:

فـإنّ الأُلـى بـالـطّـفِّ مـن آل هـاشـم تـأسَّـوا فـسَـنُّـوا لـلـكـرام الـتـأسِّـيـا

[الطويل]

قال عروة: فعلمت أن مصعباً لا يفرّ أَبداً.

قال الزبير: وقال أبو الحكم بن قُرَّةَ السَّدوسيّ: حدثني أبي، قال:

لما كان يوم السَّبخة حين عسكر الحجاج بإزاء شَبيبٍ الشاريّ، قال له الناس: لو تنحَّيت أَيها الأمير عن هذه السَّبخة؟ فقال لهم: ما تنَحُّوني واللَّهِ إِليه أنتنُ، وهل ترك مصعبٌ لكريمٍ مَفَراً؟ ثم تمثل قولَ الكَلحَبةِ.

إِذا الـمـرءُ لـم يَـغـشَ الـمـكـارهَ أَوشـكـت حِـبـالُ الـهُـويـنـا بـالـفـتـى أَن تَـقَـطَّـعـا

[الطويل]

خطبة عبد اللَّه بن الزبير بعدَ مقتل مصعب:

قال الزبير: وحدثني المدائنيّ عن عوانةَ. والشرقيّ بن القطاميّ عن أبي جنابٍ، قال: حدثني شيخ من أَهل مكةَ قال:

لما أتى عبدَ اللَّه بن الزبير قتلُ مصعبٍ أَضرب عن ذكره أَياماً حتى تحدثت به إِماء مكةَ في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليّاً لا يتكلم فنظرتُ إِليه والكآبةُ على وجهه، وجبينهُ يرشحُ عرقاً، فقلت لآخرَ إِلى جنبي: ما له لا يتكلم؟ أَتُراهُ يهاب المنطق؟ فواللَّهِ إِنه لخطيب، فما تُراه يهاب؟ قال: أَراه يُريد أن يذكر قتل مصعبٍ سيدِ العرب، وهو يَفْظعُ لذكره وغيرُ ملوم هو فقام، فقال: الحمد للَّه الذي له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة، يُعزّ من يشاء ويذل من يشاء، إلا أنه لم يذِلّ واللَّه من كان الحقُّ معَه وإِن كان مفرداً ضعيفاً، ولم يعز من كان الباطل معَه، وإِن كان في العُدة والعدد والكثرة، ثم قال: إِنه قد أَتانا خبرٌ منَ العراقِ بلدِ الغدرِ والشقاق فساءنا وسرّنا، أتانا أن مصعباً قُتِل رحمةُ اللَّه عليه ومغفرتُه، فأَما الذي حَزَننا من ذلك فإِن لفِراق الحميم لذْعةً يجدها حميمُه عند المصيبة. ثم يرْعوي من بعدُ ذو الرأي والدين

إلى جميل الصبر، وأما الذي سرّنا منه فأنا قد علمنا أن قتله شهادةٌ له، وأن اللَّه عزّ وجل جاعلٌ لنا وله ذلك خيرةً إن شاء اللَّه تعالى، أن أهل العراق أَسلموه وباعوه بأَقلِّ ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره، أسلموه إسلام النعم المخطم فقتل، ولئن قتل لقد قُتِلَ أُبوه وعمُّه وأُخوه وكانوا الخيار الصالحين إنا واللَّهِ ما نموت حَتف أُنوفنا، ما نموت إلا قتلاً، قتلا قعصاً[١] بين قصد الرماح وتحت ظلال السيوف، وليس كما يموت بنو مروان واللَّهِ ما قتل رجلٌ منهم في جاهلية ولا إسلام قطّ، وإنما الدنيا عاريةٌ منَ الملك القهار، الذي لا يزول سلطانُه، ولا يبيدُ ملكُه، فإن تُقبلِ الدنيا عليَّ لا آخذُها أخذ الأشر البَطر، وإن تُدبر عني لا أَبكِ عليها بكاءَ الخَرِف المُهْتَرِ[٢]، ثم نزل.

وقال رجل من بني أَسد بن عبد العُزى يرثي مُصعباً:

لعمرُك إن الموت منَّا لمُولعٌ ... بكلّ فتًى رحبِ الذراع أَريبِ
فإن يكُ أَمسى مصعبٌ نال حتفَه ... لقد كان صُلبَ العود غيرَ هَيوبِ[٣]
جميلَ المُحيَّا يُوهن[٤] القِرنَ غرْبُهُ ... وإن عضَّه دهْرٌ فغيرُ رهوبِ
أتاه حِمامُ الموت وسْط جنوده ... فطاروا شلالاً[٥] واستقى بذَنوبِ[٦]
ولو صبروا نالوا حباً وكرامةً ... ولكنهم ولّوْا بغير قلوب

[الطويل]

أَشجع الناس مصعب:

قال: وقال عبد الملك يوماً لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأَكثروا في هذا المعنى، فقال: أَشجع الناس مصعب بن الزبير، جمع بين عائشة بنتِ طلحة وسُكينة بنت الحسين وأَمةِ الحميدِ بنتِ عبد اللَّه بن عاصم، وولي العراقين، ثم زحف إلى الحرب، فبذلت له الأمان. والحباء[٧] والولاية والعفو عما خَلص في يده، فأَبى قبولَ ذلك، واطّرح كل ما كان مشغولاً به من ماله وأهله وراء ظهره، وأقبل بسيفه قدماً، يقاتل وما بقي معَه إلا سبعةُ نفر حتى قتل كريماً.

---

(١) قتلاً قعصاً: أصابته ضربة أدت به في الحال حيث هو.
(٢) المُهتر من الرجال: من فقد عقله نتيجة تقدمه في السنّ.
(٣) الهيوب: الشديد الخوف، والجبان.
(٤) يُوهن: يضعف.
(٥) شلالاً: مبدّدين، مشتتين.
(٦) الذّنوب: الدلو العظيمة، واستقى بذنوب: كناية عن الحدث العظيم الذي أصابه.
(٧) الحَباء، بفتح الحاء: العطاء.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عمر بن شَبَّةَ، قال:

لما ولي مصعب بن الزبير العراق أَقرّ عبدَ العزيز بن عبد اللَّه بن عامر على سِجِستان، وأَمدّه بخيل، فقال ابن قيس الرقياتِ:

لـيـت شـعـري أَأَوَّل الـهَـرجِ هـذا ... أَم زمـانٌ مِـن فِـتـنـة غـيـر هَـرْجِ؟!
أُعـطـيَ الـنـصـرَ والـمـهـابـةَ فـي الأعـ ... ـداءِ حـتـى أَتـوه مـن كـلِّ فـجِّ
حـيـث لـم تـأتِ قـبـلـه خـيـلُ ذي الأكـتـ ... ـافِ يُـوجِـفـن[1] بـيـن قُـفٍّ[2] ومـرجِ

[الخفيف]

وفاء ابن الرقيات لمصعب:

قال الزبير: حدثني عمّي مصعب:

أن عبيد اللَّه بن قيس كان عند عبد الملك، فأَقبل غِلمانٌ له معَهم عِساسٌ[3] خَلنج فيها لبن البُخْت[4]، فقال عبد الملك: يا ابنَ قيس! أين هذا من عِساس مصعب التي تقول فيها:

مَـلـك يُـطـعـم الـطـعـام ويَـسـقـي ... لـبـن الـبُـخـتِ فـي عِـسـاس الـخَـلـنـج

[الخفيف]

فقال: لا أين يا أَميرَ المؤمنين، لو طرحتَ عِساسَك هذه في عُسٍّ من عِساس مصعب لوسعها وتغلغلت في جوفه، فضحك عبد الملك ثم قال: قاتلكَ اللَّهَ يا ابن قيس فإنك تأْبى إلا كرماً ووفاء.

حدثني عمّي، قال: حدثني أَحمد بن الطيب، قال: قال لي أحمد بن إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ.

خرج يونسُ الكاتب منَ المدينة يُريد الشام بتجارة، فبلغ الوليدَ بنَ يزيدَ مكانُه فأَتَته رسلُهُ وهو في الخان، وذلك في خلافة هشام، والوليدُ يومَئذٍ أميرٌ، قالوا له: أجبِ الأميرَ، قال: فذهبت معَهم، فأَدخلوني عليه ولا أدري من هو إلا أنه حسنُ الوجه نبيل، فسلّمت عليه، فأَمرني بالجلوس فجلست، ودعا بالشراب والجواري، فكنا يومَنا وليلتَنا في أَمر عجيب، وغنيته فأَعجبه غِنائي، وكان مما أَعجبه:

---

(١) يُوجفن: يُسرعن، يعدون سراعاً.
(٢) القُفّ: حجارة غاص بعضها ببعض لا تُخالطها سهولة.
(٣) العِساس، بكسر العين، الواحد عُسّ: القدح أو الإناء الكبير.
(٤) البُخت بن الإبل: نوع منها تشتهر به بلاد الفرس.

لـيـت شـعـري أَأَول الـهَـرج هـذا أَم زمـانٌ مـن فِـتـنـةٍ غـيـر هـرجِ؟
[الخفيف]

فلم يزل يستعيده إلى الصبح، ثم اصطبح عليه ثلاثةَ أيام، فقلت: أيُّها الأميرُ، أَنا رجل تاجر قدمت هذا البلد في تجارة لي، وقد ضاعت، فقال: تخرج غداً غُدْوَةً وقد ربحت أكثر من تجارتك. وتمّم شربه، فلما أَردت الانصراف لحقني غلامٌ من غِلمانه بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها ومضيت، فلما أفضَتِ الخِلافة إِليه أتيته، فلم أَزل مقيماً عنده حتى قُتِل.

قال أحمد بن الطيب وذكر مصعب الزبيريّ:

أَن يونس قال: كنت أَشرب مع أَصحابٍ لي فأَردت أَن أَبول، فقمت وجلست على كثيب رمل، فخطر ببالي قول ابن قيس:

ليت شعري أَأَول الهرج هذا.

فغنيت فيه لحناً استحسنتُه وجاء عجباً منَ العجب فألقيته على جاريتي عاتكة، وردَّدْته حتى أَخذته، وشاع لي في الناس، فكان أوَّل صوتٍ شاع لي وارتفع به قدري وقُرِنت بالفحول منَ المغنين، وعاشرت الخلفاء من أَجله وأَكسبني مالاً جليلاً[1].

صـوت

أَلا نـادِ جـيـرانـنَـا يَـقـصِـدوا فـنـقـضـي الـلُّـبـانـة[2] أو نـعـهـدُ[3]
كـأَنَّ عـلـى كـبـدي جَـمـرةً جِـذاراً مـنَ الـبَـيـن مـا تـبـردُ
[المتقارب]

الشعر لكُثير، والغناء لأَشعَب المعروف بالطمع، ثاني ثقيل بالوسطي، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن منَ الثقيل الأول بالبنصر عن حَبَش.

(١) مالاً جليلاً: مالاً عظيماً.
(٢) اللبانة: الحاجة.
(٣) نعهد: نعلم، نعرف.

ذكر أَشعب وأَخباره

نسبه وسيرته:

هو أَشعب بن جُبير، واسمه شُعِيب، وكنيته أَبو العَلاء، وكان يقال لأمّه أُم الجَلنْدح وقيل بل أُم حميد، وهي مولاة أسماءَ بنتِ أَبي بكر، واسمها حُميدة، وكان أبوه خرج معَ المختار بن أَبي عبيد فأسره مصعب فضرب عنقه صَبراً[1] وقال: تخرجُ عليّ وأنت مولاي. ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب وتولت تربيته وكفَلتْه عائشة بنتُ عثمانَ بنِ عفانَ.

وحُكي عنه أنه حكاه عن أمه، أنها كانت تُغْري بين أزواج رسول اللَّه ﷺ، وأنها زنت فحُلِقَت وطيف بها، فكانت تُنادي على نفسها: من رآني فلا يَزْنين، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها: يا فاعلةُ نهانا اللَّه عزّ وجلّ عنه فعصيناه أو نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبةٌ على جمل؟

وذكر رضوان بن أحمَد الصيدلانيّ فيما أَجاز لي روايتَه عنه، عن يوسفَ بنِ الدَّابة عن إبراهيمَ بنَ المهديّ.

أن عُبيدَة بن أشعبَ أخبره، وقد سأله عن أَولهم وأَصلهم فأَخبره أن أباه وجَدّه كانا مَوْلَيَيْ عثمانَ وأن أمه كانت مولاةً لأبي سفيانَ بنِ حربِ، وأن ميمونةَ أُمَّ المؤمنين أخذتها معَها لما تزوجها رسول اللَّه ﷺ، فكانت تدخُل إلى أزواج النبي ﷺ فيستظرفْنَها، ثم إنها فارقَتْ ذلك وصارت تنقل أَحاديث بعضهن إلى بعض، وتُغري بينهن، فدعا النبي ﷺ عليها فماتت.

وذكروا أنه كان معَ عثمانَ ـ رضي اللَّه عنه ـ، في الدار، فلما حُصِر جرَّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا، فقال لهم عثمان: من أَغمد سيفَه فهو حُرٌّ، قال أَشعب: فلما وَقعت في أُذني كنت واللَّهِ أَولَ من أغمد سيفه فأُعتقتُ.

أَخبرني، أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شَبَّةَ، قال: حدثني إِسحاق الموصليّ، قال: حدثني الفضل بن الربيع، قال.

---

(١) ضُرب عنقه صبراً: أي شدّت يداه ورجلاه بأربطة ثم ضربت عنقه.

كان أَشعب عندَ أبي سَنَة أَربعٍ وخمسينَ ومائة، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاءَ نَعْيُه. وهو أَشعبُ بن جبيرٍ: وكان أَبوه مولىً لآل الزبير، فخرج معَ المختار فقتله مصعب صبراً معَ من قتل.

أَخبرني الجوهريّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا أحمدُ بن إسماعيلَ اليزيديّ، قال: حدثنا التَّوزيُّ عنِ الأَصمعيّ، قال.

قال أَشعب: نشأت أنا وأبو الزِّناد في حِجْر عائشةَ بنتِ عثمان، فلم يزل يعلو وأَسفل حتى بلغنا هذه المنزلة.

أَخبرني، أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد اللَّه بن الحسن والي المأمون على المدينة، قال:

حدثني محمد بن عثمانَ بنِ عفانَ، قال: قلت لأَشعبَ: لي إليك حاجة، فحلف بطلاق بنت وردان لا سألته حاجة إلا قضاها، فقلت له: أَخبرني عن سنِّك فاشتدَّ ذلك عليه حتى ظننت أنه سيُطلق، فقلت له: على رسلك. وحلفت له أني لا أذكر سنّه ما دام حيًّا، فقال لي: أمَّا إذ فعلت فقد هوّنت عليَّ، أنا واللَّهِ حيث حضر جدُّك عثمانُ بنُ عفانَ أَسعى في الدار التقط السهام، قال الزبير: وأدركه أَبي أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني العباس بن ميمون، قال:

سمعت الأصمعيّ، يَقول: سمعت أشعب يقول: سمعت الناس يموجون في أمر عثمانَ بنِ عفانَ ـ رضي اللَّه عنه ـ. قال الأَصمعيُّ: ثم أدرك المهديّ.

أَطمع من أَشعب:

أَخبرني الجوهريّ، قال: حدثني علي بن محمد النوفليّ، قال:

سمعت أَبي يقول: رأيت أشعب، وقد أرسل إليه المهديّ فقدِم به عليه، قال أبي: وقد كان أدرك عثمانَ بنَ عفانَ، فرأيته، وقد دخل بعضُه في بعض حتى كأنه فرجٌ، وعليه جبة من وَشي وقلنسوة وَشي، وقد لبس على الجبة قميصاً سَمِلاً[1] لترى الجبة تحته، فقال له رجلٌ: يا أَشعبُ هَبْ لي قَلنسيتَك هذه، فقال: يا بارد، أنت لم تُردِ القَلنسية إنما أردت أن يُقال: هو أَطمع من أَشعب.

حدثني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا أبو

(١) قميصاً سملاً: بالياً.

زُرعةَ الرازيّ، قال: حدثنا الحسن بن علي الخلال عن أبي عاصم الثقيل، قال:

سمعت أَشعب يقول: ما زُفَّت بالمدينة امرأة قطّ إلى زوجها إلا كنستُ بيتي ورفعت ستري طمعاً في أن تُهدى إليَّ.

حدثني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال: حدثنا أبو أيوب المدينيّ قال: حدثني أبو الموفق سيف بن رجاء الجُهَينيّ، قال:

أَشعب في الشام:

خرج عبد اللَّه بن الحسن إلى الشام إلى بعض الخلفاء ولا أَعلمه إلا هشامَ بن عبد الملك ـ ومعَه أَشعب المدينيّ مولى آل الزبير، فلما بلغا السَّرَاة قال لأَشعبَ: اقعُد منَ الرحل حتى آتيَ ابن عم لي هاهنا فأُسلّم عليه، فلما أتاه قال لعبيد اللَّه بن حسن: من هذا؟ قال: أَشعب، قال: ما كنت أَظن أن أشعب هذا إلا من أُمَّة قد خلت، وكان يسمع به فظنّ أنه قديم.

فلما قام عبد اللَّه بن حسن فدخل إلى المجلس الذي هيئ له نظر أَشعب إلى وصيفة على رأْس محمد، فارهة، فقال: يا ابنَ عمِّ رسول اللَّه، هبْ لي هذه الجارية، قال: هي لك: قال: وهب لي هذا الثوب، قال: هو لك، قال: ثم دخل على عبد اللَّه بن حسن، فقال: زعمت أن هذا ليس من بابتي وقد وهب لي كذا وكذا.

وكان محمد متألهاً[1]، فالقوا بين يديه بازياً، فقال: أيّ طائر هذا؟ فقيل: البازيّ، فقال: عرفته قبل هذا.

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: أخبرني أَبي:

أن أُمّ أشعبَ كان يقال لها حميدةُ أم الجلندح بنت الجلندح وكانت تحرش[2] بين أزواج النبيّ ﷺ وتمشى بينهن بالنمائم[3].

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه اليعقوبيّ عنِ الهيثم بن عديّ، قال:

---

(١) متألهاً: متعبّداً.

(٢) تحرّش: تثير الإفساد والضغائن.

(٣) النمائم، الواحدة نميمة: نقل الأكاذيب لنشر الفُرقة.

قال أَشعب: كنت التقط السهام من دار عثمانَ يومَ حُوصِرَ، وكنت في شبيبتي أَلحق الحمرَ الوحشية عدواً.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيلَ، قالا: أخبرنا المدائنيّ، قال:

كان أَشعب الطامع واسمه شُعيب مولىً لآل الزبير من قِبَل أَبيه: وكانت أمه مولاةً لعائشةَ بنتِ عثمانَ بنِ عفانَ، وكانت بَغَتْ فضربت وحُلقت وحملت على جمل، فطِيف بها وهي تُنادي على نفسها: من رآني فلا يزنين، فأَشرفت عليها امرأَة فقالت: يا فاعلة، نهانا اللَّه عزّ وجلّ عنِ الزنا فلسْنا ندعه، فندعه لقولِكِ وأنتِ محلوقة مضروبة يُطاف بك؟

أخبرني أَحمد، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: كتب إليّ ابنُ أبي خيثمةَ يُخبرني، أَن مصعب بن عبد اللَّه أخبره، قال:

اسم أَشعبَ شُعيب، ويُكنى أَبا العلاء، ولكن الناس قالوا أَشعب فبقيَت عليه، وهو شُعيب بن جُبير مولىً لآل الزبير، وهم يزعمون اليوم أن أصلهم منَ العرب، انتسبوا إلى ذي رُعيتي وولده كثير عندنا وأُم أشعب أم الجلندح، وزعم أشعب أنها كانت تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ وَرَحِمِهِنّ.

وامرأَة أَشعب بنت وَردانَ، ووردانُ الذي بنى قبرَ النبي ﷺ حين بنى عمرُ بن عبد العزيز المسجد.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: وكتب إليَّ ابن أَبي خيثمةَ يُخبرني، أَن مصعب بن عبد اللَّه أَخبره، قال:

كان أَشعب منَ القرَّاء للقرآن، وكان قد نسك وغزا وكان حسن الصوت بالقرآن، وربما صَلى بهمُ القِيامَ.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أَحمد بن يحيى، قال: أَخبرنا إسحاقُ بنُ إِبراهيمَ، قال:

كان أَشعب معَ ملاحته ونوادره يُغنِّي أصواتاً فيُجيدها وفيه يقول عبد اللَّه بن مصعب الزبيريّ:

صـــوت

إذا تـــمَّـــززْتُ[١] صُـــراحِـــيَّـــةً[٢] صِـــرتُ كـــمـــثـــل ريـــح أَو أَطـــيَـــبُ
ثـــم تـــغـــنَّـــى لـــي بـــأَهـــزاجـــه زيـــدٌ أَخـــو الأَنـــصـــار أو أَشـــعـــبُ
حَـــسِـــبـــتُ أَنـــي مـــلـــك جـــالـــسٌ حَـــفَّـــت بـــه الأَمـــلاكُ والـــمـــوكـــبُ
فـــمـــا أُبـــالـــي وإلٰـــهِ الـــوَرَى[٣] أَشـــرَّق الـــعـــالـــمُ أم غَـــرَّبـــوا

[السريع]

غنّى في هذه الأَبيات زيدٌ الأَنصاريّ خفيف رمل بالبنصر.

وقد روى أشعبُ الحديث عن جماعة منَ الصحابة.

أَشعب يروي الحديث:

خبرني عمّي، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد أَن الربيع بن ثعلب حدثهم، قال: حدثني أبو البحتريّ.

حدَّثني أشعب، عن عبد اللَّه بن جعفر، قال: قال رسول اللَّه ﷺ لو دُعيت إِلى ذراعٍ لأَجبت ولو أُهدي إليَّ كُراعٌ لقبلت.

قال ابن أبي سعد، ورُوِيَ عن محمد بن عبَّاد بن موسى عن عبّاد بن إِبراهيمَ.

عن أشعب الطامع ـ قال عبّاد: وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه ـ قال: دخلت على سالم بن عبد اللَّه بستاناً له، فأَشرف عليَّ وقال: يا أشعبُ، ويلك لا تسأل، فإِني سمعت أبي يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ليأتين أقوامٌ يَومَ القِيامة ما في وجوههم مُزعةُ[٤] لحمٍ قد أَخلقوها بالمسألة**».

وروى عن يزيدَ بنِ مرهب الرمليّ عن عثمانَ بنِ محمد.

عن أَشعبَ عن عبد اللَّه بن جعفر أن النبيَّ ﷺ تَخَتَّم في يمينه.

أخبرني أحمد، قال: حدثنا عمر بن شَبَّةَ، قال: حدثني الأصمعيّ.

عن أشعب، قال: استنشدني ابنٌ لسالم بن عبد اللَّه بن عمرَ غِناء الرُّكّبان بحضرة أبيه سالمٍ فأَنشدته، ورأْسُ أبيه سالم في بيتٍ، فلم يُنكر ذلك.

أخبرني أَحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال:

---

(١) تمززت الشراب: مصصت بتؤدة.
(٢) الصراحية: إناء الخمرة.
(٣) الورى: الناس، البشر.
(٤) المزعة من اللحم: الجزء اليسير منه.

حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم عن المدائنيّ، قال:

وقفت عائشة بنتُ عثمانَ، أشعبَ في البزَّازين، فقالت له بعد حول: أتوَجهت بشيء؟ قال: نعم، تعلّمت نصف العمل وبقي نصفه، قالت: وما تعلمت؟ قال: تعلمت النشر وبقي الطيُّ.

دعوة مستجابة:

قال المدائنيّ: وقال أشعب: تعلقت بأَستار الكعبة، فقلت: اللَّهم اذهب عني الحرصَ والطلبَ إِلى الناس. فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أَحد شيئاً، فجئت إِلى أُمّي، فقالت: ما لك قد جئت خائباً؟ فأَخبرتها، فقالت: لا واللَّهِ لا تدخل حتى ترجَع فتستقيلَ ربَّك، فرجعت فقلت: يا ربِّ أَقِلني، ثم رجعت، فلم أَمْرُر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أَعطوني ووُهِب لي غلام، فجئت إلى أمي بحمار مُوقرٍ[1] من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام: فخفت أن أُخبرَها بالقصة فتموتَ فرحاً فقلت: وهبوا لي، قالت: أَي شيء؟ قلت: غين، قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأي شيء أَلف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام، فغُشي عليها، ولو لم أقطّعِ الحروفَ لماتت الفاسقة فرحاً.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الربيعيّ، قال: حدثني هند بن جمرانَ الأرقميّ المخزوميّ، قال: أخبرني أبي، قال:

كان أشعب أزرق أحول أكشف[2] أفدع[3].

قال: وسمعت الأرقميّ المخزوميّ، يقول: كان أشعب يقول: كنت أسقي الماء في فتنة عثمانَ بنِ عفانَ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

أشعب والدينار:

أخبرني أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن مروان، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال:

أصاب أشعبُ ديناراً بالمدينة، فاشترى به قَطِيفة، ثم خرج إلى قُبَاءَ يُعَرِّفها، ثم

(١) موقر: محمّل بالمآكل وحوائج البيت.
(٢) الأكشف: الأصلع الذي انحسر مقدم شعره عن رأسه.
(٣) الأفدع: هو من اعوجّ رسغ يده أو رجله وانقلب الكفّ أو القدم.

أقبل عليَّ، فيما أحسب ـ شكَّ أبو يحيى ـ فقال: أَتُراها تُعرَف؟

قال أحمد: وحدثناه أبو محمد بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن معاويةَ بن بكر، قال:

حدثني الواقديّ، قال: كنت معَ أشعبَ نُريد المصلّى، فوجد ديناراً، فقال لي: يا ابنَ واقد، قلت: ما تَشاء، قال: وجدت ديناراً فما أصنع به؟ قال: قلت: عَرِّفه، قال: أُم العلاء إذاً طالق، قال: قلت: فما تصنع به إِذاً؟ قال: أشتري به قطيفة أعرفها.

قال: وحدثني محمد بن القاسم، قال: وحدثنيه محمد بن عِمران الكُريزيّ عنِ الأصمعيّ.

أن أشعب وجد ديناراً فتحرّج من أخذه دون أن يُعرِّفه، فاشترى به قطيفة، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال من يَتعرَّف الومدة.

أخبرني أحمد الجوهريّ، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: سألت العَنزيّ عنِ الومَد، فقال: الومد من كل شيء الخَلق وَبِد الثوب وومد إذا أَخلق.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعيُّ، قال:

أَشعب يغني:

رأَيت أَشعب يُغني، وكأَنّ صوتَه صوتُ بلبل.

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعيُّ عن أَشعبَ، قال:

حججت معَ سالم بن عبد اللَّه في رِفقة فيها أَلف محمل، وكان معَهم قاص يقصّ عليهم، قال: فجئت فأَخذت في أغنية منَ الرقيق، فتركوه وأَقبلوا إليَّ، فجاء يشكوني إلى سالم، فقال: إن هذا صرف وجوه الناس عني، قال: وأَتيت سالماً ـ وأَحسبه، قال ـ والقاسمَ، فسألتهما بوجه اللَّه العظيم فأَعطياني، وكانا يبغضانِي أَو أَحدُهما يُبغضني في اللَّه، قال: قلنا: لا تجعل هذا في الحديث، قال: بلى.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثناه قعنب بن محرز الباهليّ، قال: حدثنا الأصمعيّ.

عن أَشعبَ، قال: قدم علينا قاصٌّ كوفي يقصّ في رِفقة، وفيها ألف بعير،

فخرجنا وأحرمنا منَ الشَّجَرَة[١] فطرَّبت للتلبية، فأَقبل الناس إليَّ وتركوه، وقالوا: ابنُ أم حُميد، فجاء إليَّ عبد اللَّه بن عمرو بن عثمانَ بنِ عفانَ، فقال: إن مولاك هذا قد ضيَّق عليَّ معيشتي.

من يُصلي بأَهل السجن؟

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمٰن بن الجهم، عنِ المدائنيّ، قال:

تغدّى أَشعبُ معَ زياد بن عبد اللَّه الحارثي، فجاؤُوه بمضيرة[٢]، فقال أشعب للخباز: ضَعْها بين يديَّ، فوضعَها بين يديهِ، فقال زياد: من يُصلِّي بأَهل السجن؟ قالوا: ليس لهم إمام، قال: أَدخلوا أشعب يُصلي بهم، قال أشعب: أوَ غيرَ ذلك أَصلحَ اللَّهُ الأَمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألا آكل مَضِيرةً أَبداً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني قعنب بن المحرز، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال:

ولّى المنصورُ زياد بن عبد اللَّه الحارثيَّ مكةَ والمدينة، قال أشعب فلقيته بالجحفة فسلَّمت عليه، قال: فحضر الغداءُ، وأُهدي إليه جدي فطبخه مضيرة وحُشيت القِبَّة[٣]، قال: فأَكلت أكلاً أَتملَّحُ به. وأنا أعرف صاحبي، ثم أُتي بالقِبَّة فشقَقتُها، فصاح الطبَّاخُ: إنَّا للَّهِ، شقَّ القِبَّة، قال: فانقطعت، فلما فرغت قال: يا أَشعبُ، هذا رمضان قد حضر: ولا بدّ من أن تصليَ بأَهل السجن، فقلت: واللَّهِ ما أحفظ من كتاب اللَّه إلا ما أُقيم به صلاتي، قال: لا بدَّ منه، قال: قلت: أو لا آكل جدياً مضيرة أبداً. قال: فما أصنع به، وهو في بطنك؟ قال: قلت: الطريقُ بعيد أُريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلامُ هاتِ ريشةَ ذنب ديكٍ، قال أَشعب: والجحفة أَطول بلاد اللَّه ريشة ذنب، قال: فأدخلت في حلقي فتقيأت ما أكلت، ثم قال لي: ما رأيُك؟ قال: قلت: لا أُقيم ببلدة يُصاح فيها: شَقَّ القبَّة، قال: لك وظيفةٌ على السلطان وأكره أن أكسرَها عليك، فقُل ولا تشطط قال: قلت: نصف درهم كِراء حمار يُبلِّغني المدينة، فقال: أَنصفت وأعَطانيه.

---

(١) الشجرة: هي التي كان يُحرم منها النبي ﷺ، كانت تبعد ستة أميال عن المدينة.

(٢) المضيرة: ضرب من الطعام، قوامه لبن ماضر ولحم مطبوخ.

(٣) القِبَّة، بكسر القاف وفتح الباء المشدّدة، من الشاة: الهنة ذات أطباق تتصل بالكرش حيث ينتهي إليها الفرث.

طرائف لأشعَب:

أَخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرني أَبو مسلم، عنِ المدائنيّ، قال:

أُتِي أَشعب بفالوذَجة عند بعض الولاة، فأَكل منها، فقيل له: كيف تراها يا أَشعب؟ قال: امرأته طالق إن لم تكن عُمِلت من قبل أَن يُوحيَ اللَّه عزّ وجلّ إلى النَّحل.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا عبد اللَّه بن شُعيب الزبيريّ، عن عمه. قال أبو بكر: وحدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني عبد اللَّه بن شُعيب الزبيري عن عمه وهو أتم من هذا وأكثر كلاماً قال:

جاء أَشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير فشكا إليه، فأمر له بصاع من تمر، وكانت حال أشعب رَثَّة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أَشعبُ، مثلك في سنك وشهرتك تجيء في مثل هذه الحال فتضع نفسك فتُعطى مثل هذا؟ اذهب فادخلِ الحمامَ فاخْضِب لحيتك، قال أشعب ففعلت ثم جئته، فأَلبسني ثياب صوف له جيدة ثم قال: اذهبِ الآنَ فاطلب، قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعةَ، وكان رجلاً شريفاً موسراً، فشكا إليه فأَمر له بعشرينَ ديناراً، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد، وطفِق كلما جلس في حلقة يقول: أَبو بكر بن يحيى ـ جزاه اللَّه عني خيراً ـ أعرفُ الناس بمسألة، فعل بي وفعل فيقصّ قصّته فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدوّ نفسه فضحتني في الناس أَفكان هذا جزائي؟

أخبرنا أحمد: قال حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد، قال:

حدثني شيخ أنه نظر إلى أشعبَ بموضع يُقال له الفُرع يبكي وقد خضب بالحناء، فقالوا: يا شيخُ ما يُبكيك؟ قال: لغربة هذا الجناح، وكان على دار واحدة ليس بالفرع غيره.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه. قال: أَخبرني محمد بن الحسين قال: حدثني أبي قال:

نظرت إلى أشعبَ يُسلم على رسول اللَّه ﷺ، قال وهو يدعو ويتضرّع: فأَدمت نظري إليه فكلما أدمت نظري إليه كلَّح وبثَّ أصابعه في يده بحذائي حتى هربت فسألت عنه فقالوا: هذا أشعب.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني إِسحاقُ بنُ إِبراهيمَ بنِ عجلانَ الفهريّ، قال:

إن أَشعب مرَّ برشٍّ قد رُشَّ بالليل في بعض نواحي المدينة، فقال: كأنَّ هذا الرشَّ كِساءٌ بَرْنَكانيٌّ[1] فلما توسطه، قال: أظنني واللَّهِ قد صدقتُ، وجلس يلمس الأَرض.

أَخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني بعض المدنيّين، قال:

كان لأَشعبَ خَرقٌ في بابه، فينام ويُخرج يده منَ الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئاً، منَ الطمع.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عبد الرحمٰن بن عبد اللَّه الزهريّ، قال:

صلّى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بنِ عثمانَ، وكان مروان عظيم الخلْقِ والعجيزة فافلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أَشعب منَ الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أَشعب، فقال له: الدية، فقال: دية ماذا؟ فقال: دية الضرطة التي تحملتها عنك، واللَّهِ وإلا شهرتك. فلم يدعْه حتى أَخذ منه شيئاً صالحاً.

أَخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني إبراهيمُ بنُ الجُنيد، قال: حدثني سوَّار بن عبد اللَّه، قال: حدثنا مهديّ بن سُليمانَ المِنقريّ مولىً لهم.

عن أشعب، قال: دخلت على القاسم بن محمد وكان يُبغضني في اللَّه وأُحبه فيه، فقال: ما أَدخلك عليَّ؟ اُخرجْ عني، فقلت: أسألك باللَّه لما جدَدْت[2] عذْقاً قال: يا غلامُ. جُدَّ له عِذْقاً فإنه سأل بمسألة لا يُفلح من ردَّها أَبداً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني الرياشيّ، قال: حدثني أبو سلمةَ أيوبُ بنُ عمرَ عنِ المحرزيّ، وهو أيوبُ بن عبايةَ أبو سُليمانَ قال:

كان أَشعب يأْخذ مني كل سنة ديناراً، قال: فأتاني يوماً بِبُطحَان[3]: فقال: عجِّل

(١) الكساء البرنكاني: يصنع من صوف، ذو علمين.
(٢) جدّدت: قطعت.
(٣) بُطحان، بضم الباء: وادٍ من أودية المدينة.

لي ذلك الدينار، ثم قال: لقد رأيتني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما آخذ من هذا وهذا وهذا.

بين أشعب وولده:

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني علي بن محمد النوفليّ، قال: سمعت أبي يحكي عن بعض المدنيّين، قال:

كبِرَ أشعب فملَّه الناس وَبَردَ عندَهم، ونشأ ابنه فتغنى وبكى وأَندر[1]، فاشتهى الناس ذلك فأَخصب وأَجدب أبوه، فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه وجاء ابنه وامرأته، فقال له بلغني أنك قد تغنيت وأَندرت وحظِيتَ، وأن الناس قد مالوا إِليك، فهلمَّ حتى أخايرَك، قال: نعم، فتغنى أَشعب فإذا هو قدِ انقطع وأرعد، وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب، فانكسر أشعب ثم أندر فكان الأَمر كذلك ثم خطبا فكان الأَمر كذلك، فاحترق أشعب وقام فألقى ثيابه ثم قال: نعم، فمن أين لك مثل خُلُقي؟ من لك بمثل حديثي؟ قال: فانكسر الفتى، فنَعَرتِ[2] العجوز ومن معَها عليه.

حديث أشعب عن وفاة بنت الحسين بن علي:

أخبرني أحمد، قال: حدثنا عبد اللَّه بن عمرَ بن أَبي سعد، قال: حدثني علي بن الحسن بن هارون، قال: حدثني محمد بن عباد بن موسى، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن جعفر بن سُليمانَ ـ وكان جارنا هنا ـ قال: حدثني محمد بن حرب الهلاليّ ـ وكان على شُرطة محمد بن سُليمانَ ـ قال:

دخلت على جعفر بن سُليمانَ وعنده أشعب يُحدّثه، قال: كانت بنت حسين بن علي عند عائشةَ بنتِ عثمانَ تربيها حتى صارتِ امرأة، وحج الخليفة فلم يبق في المدينة خلق من قريش إلا وافى الخليفة إلا من لا يصلح لشيء، فماتت بنت حسين بن علي، فأرسلت عائشة إِلى محمد بن عمرو بن حزم ـ وهو والي المدينة، وكان عفيفاً حديداً عظيمَ اللحية له جارية موكلة بلحيته إذا اتَّزر لئلا يتَّزر عليها. وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أَدخلها تحت فخذه ـ فأرسلت عائشة ـ يا أخي قد ترى ما دخل عليَّ منَ المصيبة بابنتي ونجيبة أهلي وأهلها، وأنت الوالي، فأمَّا ما يكفي النساءَ منَ النساءِ فأَنا أَكفيكَه بيدي وعيني، وأَما ما يكفي الرجال منَ الرجال فاكفنيه، مُرْ

(١) أندر: أتى بالنادر من الفكاهات وظريف الأقوال.

(٢) نعرت العجوز عليه: صاحت بخيشومها.

بالأسواق أن ترفع وَمُرْ بتجويد عمل نعشها ولا يحملها إلا الفقهاء الأَلبَّاء[١] من قريش، بالوقار والسكينة، وقُم على قبرها فلا يدخله إلا قرابتُها من ذوي الحِجا والفضل. فأَتى ابنَ حزم رسولُها حين تغدّى ودخل ليَقِيل، فدخل عليه فابلغه رسالتها، فقال ابن حزم لرسولها: اقرئ ابنة المظلوم السلامَ، وأَخبرْها أني قد سمعت الواعية وأردت الركوب إليها فأمسكت عنِ الركوب حتى أُبرِد، ثم أُصلِّيَ، ثم أُنفذ كل ما أمرت به. وأمرَ حاجبه وصاحب شرطته برفع الأَسواق، ودعا الحرس وقال: خذوا السياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار، ثم نام وانتبه ثم أُسرِج له واجتمع كل من كان بالمدينة، وأَتى باب عائشةَ حين أُخرج النعش، فلما رأى الناسُ النعشَ التقفوه، فلم يملك ابنُ حزم ولا الحرسُ منه شيئاً، وجعل ابن حزم يركُض خلف النعش ويصيح بالناس منَ السفلة والغوغاء ارْبعوا أي ارفقوا فلم يُسمع منه، حتى بُلغ بالنعش القبرُ، فصلى عليها، ثم وقف على القبر فنادى: مَنْ هاهنا من قريش؟ فلم يحضره إلا مروان بن أبان بنِ عثمان، وكان رجلاً عظيم البطن بادِناً لا يستطيع أن ينثنيَ من بطنه سخيفَ العقل، فطلع وعليه سبعةُ قمصٍ كأنها دَرَج بعضها أقصر من بعض، ورداء عدني بثمن ألفي درهم، فسلَّم فقال له ابن حزم: أنت لعمري قريبها، ولكن القبر ضيق لا يسعك، فقال: أصلح اللَّه الأمير إنما تضيق الأخلاق. فقال ابن حزم: إنا للَّه، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى، فأمر أربعة فأَخذوا بضَبْعِه[٢] حتى أدخلوه في القبر، ثم أتى خراء الزنج وهو عثمانُ بنُ عمرو بنِ عثمانَ، فقال: السلام عليك أيُّها الأميرُ ورحمةُ اللَّه، ثم قال واسيدتاه وابنت أختاه فقال ابن حزم إنا للَّه. لقد كان يبلغني عن هذا أنه مخنث فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله، دَلوه فإنه عورة، هو واللَّهِ أحقُّ بالدفن منها، فلما أدخلا قال مروان لخراء الزنج، تنَحَّ إليكَ شيئاً، فقال له خراء الزنج: الحمدُ للَّه رب العالمين. جاء الكلب الإنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ، فقال لهما ابن حزم: اسكتا قبّحكما اللَّهُ وعليكما لعنته، أيكما الإنسيُّ منَ الوحشيِّ، واللَّهِ لئن لم تسكتا لآمرنَّ بكما تُدفنان، ثم جاء خالٌ للجارية منَ الحاطبيِّين، وهو ناقِهٌ من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال: أصلح اللَّه الأمير، أنا خالُها، وأُمي سودَة وأُمها حفصة، ثم رمى بنفسه في القبر فأصاب ترقوةَ خِراء الزنج، فصاح: (أَوَه، أَصلح اللَّه الأمير دق) واللَّهِ عرقوتي[٣]، فقال ابن حزم دق اللَّه

(١) الألباء، الواحد لبيب: الأذكياء.

(٢) الضبع: هو الإبط، وقيل هي وسط العضد بلحمه.

(٣) العرقوة: الترقوة بلغة أهل اليمن.

عرقوتك وترقوتك اسكتْ ويلك، ثم أقبل على أصحابه، فقال: ويحكم إني خبرت أَن الجارية بادنٌ، ومروان لا يقدر أن ينثنيَ من بطنهِ وخِراء الزنج مخنث لا يَعقِل سُنَّةً ولا دفناً، وهذا الحاطبيُّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه فمن يدفن هذه الجارية؟ واللَّهِ ما أمرتني بهذا بنت المظلوم، فقال له جلساؤه: ولا واللَّهِ ما بالمدينة خلق من قريش، ولو كان في هؤلاء خيرٌ لما بقوا، فقال من هاهنا من مواليهم؟ فإذا أبو هانئ الأعمى وهو ظِئرٌ[1] لها، فقال ابن حزم من أنت رحمَك اللَّه؟ قال أنا أبو هانئ ظئر عبد اللَّه بن عمرو بنِ عثمانَ، وأنا أدفن أحياءَهم وأمواتهم، فقال أنا في طلبك، أدخُلْ رحمك اللَّه فادفن هؤلاء الأحياء حتى يُدلَّى إليك الموتى، ثم أقبل على أصحابه فقال: إنَّا للَّه ـ وهذا أيضاً أعمى لا يُبصر، فنادوا: (من هاهنا من مواليهم) فإذا رجل بربريٌّ يُقال له أبو موسى قد جاء، فقال له ابن حزم: من أنت أيضاً؟ قال: أنا أبو موسى صالمين وأنا ابن أبي السميط سميطين، والسعيد سعيدين، والحمدُ للَّه ربِّ العالمين، فقال ابن حزم واللَّهِ العظيم لتكونن لهم خامساً، رحمَكِ اللَّهُ يا بنتَ رسول اللَّه، فما اجتمع على جيفةِ خنزير ولا كلبٍ ما اجتمع على جُثَّتك، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

أشعب يُرضِعُ جديه لبنَ زوجه:

أخبرني أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني اليعقوبيّ محمد بن عبد اللَّه، قال: حدثني أبو بكر الزلال الزبيريّ، قال حدثني من رأى أَشعب وقد علق رأْس كلبه وهو يضربه ويقول له: تنبح الهدية وتبصبص للضيف.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني عبد اللَّه بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزبيريّ أَبو الطاهر، قال: حدثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال:

غَذَا أشعبُ جدياً بلبن أمه وغيرها حتى بلغ الغاية، قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردانَ إني أُحبُّ أن تُرضعيه بلبنك، قال: ففعلت: قال: ثمَّ جاء به إلى إسماعيلَ بنِ جعفر بن محمد فقال: باللَّه إنه لابْني، قد أرضعته بلبن امرأتي وقد حبوتك[2] به، ولم أرَ أحداً يستأهله سِواك، قال: فنظر إسماعيلُ إلى فتنة منَ الفتن، فأمر به فذُبح وسُمِط، فأقبل عليه أشعب فقال: المكافأة فقال: ما عندي

(١) الظئر: المرضعة التي ترضع غير ولدها بعطف وحنان.
(٢) حبوتك: أعطيتك.

واللَّهِ اليومَ شيء، ونحن من تعرف، وذلك غيرُ فائت لك، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيهِ جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أَخلني، قال: ما معنا أحد يسمع ولا عليك عين، قال: وثب ابنك إِسماعيلُ على ابني فذبحه وأنا أنظر إِليه، قال: فارتاع جعفر وصاح: ويلك وفيم؟ وتُريد ماذا؟ قال: أَما ما أُريد فواللَّهِ ما لي في إِسماعيلَ حِيلةٌ ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدَك، فجزاه خيراً وأدخله منزله وأخرج إِليه مائتي دينار وقال له خذ هذه ولك عندَنا ما تُحبّ، قال: وخرج إِلى إسماعيلَ لا يبصر ما يطأ عليه، فإِذا به مسترسل في مجلسه فلما رأى وجه أبيه نكره وقام إِليه فقال: يا إِسماعيلُ أَوَ فعلتها بأشعبَ؟ قتلت ولده، قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا وأخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه وصار إِليه، قال: فكان جعفر يقول لأشعبَ رُعْتني راعَك اللَّه، فيقول: روعة ابنِك واللَّهِ إِيايَ في الجدي أكبر من روعتي لك في المائتي الدينار.

حزن أَشعَب لوفاة خالد بن عبد اللَّه:

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا عبد اللَّه بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن إِسحاقَ المسيّبي، قال: حدثني عمير بن عبد اللَّه بن أبي بكر بن سُليمانَ بن أَبي خَيْثَمة ـ قال: وعُمير لقبٌ واسمه عبد الرحمٰن.

عن أشعبَ، قال: أتيت خالد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمانَ بنِ عفانَ ليلةً أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أُعطي على مثلها، فقلتُ: بلى جعلت فِداءك، فقال: قم فإِن قُدِر شيءٌ فسيكون، قال: فقمت، فإِني لفي بعض سكك المدينة، إذ لقيني رجل، فقال: يا أشعبُ إن كان اللَّه قد ساق إِليك رزقاً فما أنت صانع؟ قلت: أشكر اللَّه وأشكر من فعله، قال: كم عِيالك؟ فأخبرته، قال: قد أُمرت أن أُجريَ عليك وعلى عِيالك ما دمت حيّاً، قلت: من أمرك؟ قال: لا أُخبرك ما كانت هذه فوقَ هذه، يُريد السماء، وأشار إِليها، قال: قلت: إن هذا معروف يُشكر، قال: الذي أمرني لم يُرِدْ شُكره، وهو يتمرأ[1] بألا يصل مثلك، قال: فمكثت آخذ ذلك إِلى أن توفي خالد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش وحَفل له الناس، قال: فشهدته، فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعبُ انْتِف رأسك ولحيتك، هذا واللَّهِ صاحبُك الذي كان يُجري عليك ما كنتُ أُعطيك، وكان واللَّهِ يتمرأُ بمباعدة مثلك

(١) يتمرّأ: أي يثير في النفوس المرؤة لإسعافه ومساعدته.

قال: فحمله واللَّهِ الكرمُ إِذ سألتَه أن فعل بك ما فعل قال عمير: قال أشعب: فعملت واللَّهِ يومَئذ بنفسي ما حلَّ وحرُم.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبَّض وجهه فصيَّره كالسُّفرة[1] المجموعة ـ وقد كان ملك أعطاه فرآه عامر بن عبد اللَّه بن الزبير فحصبه[2] وناداه يا أشعبُ! إنما تُناجي ربك، فناجه بوجه طلق، قال: فارخى لحييه حتى وقعا على زوره، قال: فاعرض عنه عامر، وقال: ولا كل هذا.

أشعب يجزّ لحيته:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني الزبير قال: حدثني مصعب، قال:

جَزَّ أشعب لِحيته، فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد اللَّه بن الزبير: ألم أقل لك إن البطَّال أمَلح ما يكونُ إِذا طالت لحيته؟ فلا تجزز لحيتك.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا أبو الحسن المدائنيّ، قال:

وقف أشعب على امرأة تعمل طَبَق خُوصٍ فقال: كبِّريه، فقالت: لِمَ؟ أتريد أن تشتريَه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريَه إنسانٌ فيهدي إليَّ فيه فيكون كبيراً خيرٌ من أن يكونَ صغيراً.

أخبرني أحمد بن العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

قالت صديقة أشعب لأَشعب: هبْ لي خاتمك أذكرْك به، قال: اذكري أني منعتُك إِياه فهو أحبُّ إِليَّ.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

قال أشعب مرةً للصبيان: هذا عمرو بن عثمانَ يُقسم مالاً، فمضوا فلما أبطؤوا

(١) السفرة: الغطاء يوضع على المائدة من قماش أو جلد.
(٢) حصبه: رماه بالحصباء.

عنه اتّبعهم يحسب أن الأمر قد صار حقاً كما قال.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

دعا زيادُ بن عبد اللَّه أشعبَ فتغدى معَه، فضرب بيده إلى جدي بين يديه، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام، فغاظه ذلك، فقال لخدمه: أخبروني عن أهل السجن أَلَهُمْ إمام يُصلّي بهم؟ وكان أشعب منَ القراء لكتاب اللَّه تعالى، قالوا: لا، قال: فأدخلوا أشعب فصيروه إماماً لهم، قال أشعب: أَوَ غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف لك أصلحك اللَّه أَلا أذوق جدياً أبداً فخلاّه.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

قال رجل: رأيت أشعب بالمدينة يُقلِّب مالاً كثيراً، فقلت له: ويحك ما هذا الحرص؟ ولعلّك أَنْ تكونَ أيسرَ ممن تطلب منه، قال: إني قد مَهَرت المسألة، فأَنا أَكره أن أدعها فتُفلت مني.

صراحته وطرافته:

أَخبرنا أحمد، قال: حدثنا ابن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

قيل لِأَشعبَ ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت اثنين يتسارّان قطّ إِلا كنت أراهما يأْمران لي بشيء.

أخبرنا أَحمد قال: أخبرنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو مسلم؛ قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل وأنا مطلي بعَذرة، فقالت: يا فاسق، هذا عملُك الخبيث ألبسكَه اللَّه عزّ وجلّ، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال رأيتني ألعطك وأَنتِ تلعطينني، قالت: لعنك اللَّه يا فاسق.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

كان أشعب يتحدّث إِلى امرأة بالمدينة حتى عُرف ذلك، فقالت لها جاراتها يوماً: لو سألتهِ شيئاً فإِنه موسر، فلما جاء، قالت: إِن جاراتي ليقلن لي: ما يصُلك

بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرينِ ثم إنه جاء ذاتَ يوم فجلس على الباب، فأَخرجت إليه قدحاً ملآن ماءً، فقالت: اشرب هذا منَ الفزع، فقال: اشربيه أنتِ منَ الطمع.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحيى، واللفظ لأحمد، قال: أخبرنا المدائنيّ، عن جهم بن خلف، قال:

حدثني رجل قال: قلت لأشعَب لو تحدثت عندي العشية؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل، قال: قلت: ليس غيرُك وغيري، قال: فإذا صليتُ الظهرَ فأَنا عندَك، فصلى وجاء، فلما وضعتِ الجارية الطعام إذا صديقٌ لي يدق الباب، فقال: ألا ترى قد صرتُ إلى ما أكره؟ قال: قلت: إن عندي فيه عشرَ خِصال، قال: فما هي؟ قلت: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: التسع الخصال لك، أدخله ـ قال أبو مسلم: إن كرهت واحدة منها لم أدخله.

أخبرني أحمد، قال: أخبرني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي عليهما السلام وعندَه أَعرابيّ قبيح المنظر مختلف الخلقة، فسبَّح أشعبُ حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأَبي أنتَ وأُمي أَتأْذن لي أن أسلح[1] عليه؟ فقال: الأعرابيّ وما شئتَ، ومعَ الأعرابيّ قوسٌ وكِنانة، ففوَّق نحوه سهماً، وقال: واللَّهِ لئن فعلت لتكونن آخرَ سلحة سلحتَها، قال أشعب للحسين: جُعلت فداءَك قد أخذني القُولَنج[2].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم فقيل له: يا أبا العلاء أتعرف فلاناً؟ قال: ليس هذا منَ الأسماء التي عُرضت على آدم.

وجدت في بعض الكتب عن أحمدَ بنِ الحارث الحزاز، عنِ المدائنيّ قال:

توضّأَ أشعبُ فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى فقيل له: لم تركت غسل اليمنى؟

---

(١) أسلح: أتغوّط.

(٢) القولنج: من الأمراض المعوية المؤلمة، حيث يعسر معه خروج الثفل والريح.

قال: لأن النبي ﷺ قال: «**أمتي غُرٌّ مُحَجَّلون من آثار الوضوء، وأنا أحبُّ أن أكون أغرّ محجلاً من الثلاث مطلق اليمين**».

وأخبرني بهذا الإسناد، قال:

سمعَ أشعب حُبِّي المدينية تقول: اللَّهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقةُ أنتِ لم تسألي اللَّه المغفرة، إنما سألتيه عُمرَ الأبد يُريد أنه لا يغفر لها أبداً.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أَخبرنا أَبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ عن فُليح بنِ سليمانَ قال:

ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية، فقال الرجل لا أنقُصها من دينار، قال أشعب أَعتق ما يملك لَوَ انّها إِذا رُمي بها طائر في جو السماء وقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائني، قال:

أَهدى رجلٌ من بني عامر بن لؤي إِلى إِسماعيلَ الأعرجِ بن جعفر بن محمد فالوذجة، وأشعب حاضر، فقال: كلْ يا أشعبُ، فلما أكل منها قال: كيف تجدها يا أشعب؟ قال: أنا بريء من اللَّه ورسوله إنْ لم تكن عُمِلَتْ قبل أنْ يُوحيَ اللَّهُ عزّ وجلّ إِلى النحل، أي ليس فيها منَ الحلاوة شيء.

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

سأَل سالم بن عبد اللَّه أشعب عن طمعه، قال: قلت لصبياني مرة: هذا سالم قد فتح باب صدقة عُمر فانطلقوا يُعطكم تمراً، فمضوا، فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

بينا أشعب يوماً يتغدّى إذ دخلت جارة له، ومعَ أشعب امرأته تأكل، فدعاها لتتغدى، فجاءتِ الجارة فأَخذتِ العُرقوبَ بما عليه ـ قال: وأهل المدينة يسمونه عرقوب رَبّ البيت ـ قال: فقام أشعب فخرج ثم عاد فدق الباب، فقالت له امرأته: يا

سخينَ العين ما لك؟ قال: أدخل؟ قالت: أتستأذن أنت وأنت ربُّ البيت؟ قال: لو كنت رَبّ البيت ما كانتِ العرقوب بين يدي هذه.

أخبرني بعضُ أصحابنا، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ، قال: حدثني الزبير، قال: حدثني مصعب، قال:

قال لي ابنُ كليب: حدثت أشعب مرة بمُلحة فبكى، فقلت: ما يُبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة الموز، إذا نشأتِ ابنتُها قُطعت، وقد نشأتَ أنتَ في مواليَّ، وأنا الآن أَموت فإنما أَبكي على نفسي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

كان أشعب الطمع يُغنّي وله أصوات قد حُكِيت عنه، وكان ابنه عُبيدةُ يغنّيها، فمن أصواته هذه:

أرونـي مـن يـقـوم لـكـم مـقـامـي ... إذا مـا الأمـر جَـلَّ عـنِ الـخِـطـابِ
إلـى مـن تـفـزعـون إذا حَـثـوتـم ... بـأيـديـكـم عـلـيَّ مـنَ الـتُّـرابِ

[الوافر]

أشعب معَ سُكينةَ بنتِ الحسين وديباجة الحرم:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا شُعيب بن عُبيدةَ بن أشعبَ عن أبيه عن جَدّه، قال:

كانت سكينةُ بنتُ الحسين بن علي عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمانَ بنِ عفانَ، قال: وقد كانت أحلفته أَلَا يمنعَها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً، فقالت له: اخْرجْ بنا إلى حُمران من ناحية عُسفان، فخرج بها فأقامت ثم قالت له: اذهبْ بنا نعتمر، فدخل بها مكة، فأتاني آتٍ، فقال: تقولُ لك ديباجة الحرَم ـ وهي امرأةٌ من ولد عتاب بن أسيد ـ لك عشرون ديناراً إن جئتني بزيد بن عمرو الليلةَ في الأبطح قال أَشعب: وأنا أَعرف سكينة وأعلم ما هي ثم غلب عليَّ طباعُ السوء والشره فقلت لزيد فيما بيني وبينه: إن ديباجة الحرم أرسلت إليَّ بكيت وكيت، فقال عِدها الليلة بالأبطح فأَرسلتُ إليها فواعدتها الأَبطح، وإذا الديباجة قدِ افترشت بساطاً في الأَبطح وطرحتِ النمارِق[1]، ووضعت حشايا وعليها أنماط، فجلسَت عليها، فلما

(١) النمارق الواحدة نمرقة: الوسادة يستند عليها.

طلع زيد قامت إليه فتلقته وسلمت عليه، ثم رجعت إلى مجلسها، فلم نَنشَب[١] إن سمعنا شحيج[٢] بغلةِ سُكينة، فلما استبانها زيدٌ قام فأخذ بركابها، واختبأتُ ناحية، فقامتِ الديباجة إلى سُكينة فتلقتها وقبَّلت بين عينيها، وأجلستها على الفِراش، وجلستْ هي على بعض النمارق، فقالت سكينة: أَشعبُ واللَّهِ صاحبُ هذا الأمر، ولستُ لأبي إن لم يأْتِ يصيح صِياح الهِرَّة أَن يقومَ لي بشيء أبداً فطلعت على أربع أَصيح صِياحَ الهرة ثم دعت جارية معَها مجمر كبير فحفنت[٣] منه وأكثرت، وصبَّت في حِجر الديباجة وحفنت لمن معَها فصبته في حجورهن وركبت وركب زيد وأنا معَهم، فلما صارت إِلى منزلها قالت لي: يا أشعبُ أفعلتها؟ قلت: جُعِلْتُ فداءَك إنها جعلت لي عشرين ديناراً على قتل أبويَّ لقتلتهما، قال: فأَمرت بالرحيل إلى الطائف، فأَقامت بالطائف وحوَّطت[٤] من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل إِليها، قال: ثم قالت لي يوماً: قد أَثِمنا في زيد وعملنا ما لا يحلُّ لنا، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة وأذنت لزيد فجاءها.

قال الزبير وحدثني عبد اللَّه بن محمد بن أبي سلمة، قال:

جاء أَشعب إلى مجلس أَصحابنا فجلس فيه فمرت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمَر، فقال له أشعب: فديتك إنا نحتاج إلى حطب فمُر لي بهذه الحزمة، قال: لا ولكن أُعطيك نصفَها على أن تحدثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أَشعب ثوبه عن استه واستوفز[٥] وجعل يخنس[٦] ويقول: إن لهذا زمناً، أفٍّ لهذا زمناً وجعلت خُصيتاه تخُطان الأَرض، ثم قال: أعطاني واللَّهِ فلانٌ في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عد أموالاً، وأنت الآن تطلبه مني بنصف حُزمة عراجين؟ ثم قام فانصرف.

وفي ديباجة الحرم يقول عمر بن أَبي ربيعةَ.

صـوت

ذهبتَ ولم تُلمم بديباجةِ الحرَمْ وقد كنت منها في عناء وفي سقمْ
جننتَ بها لما سمعت بذكرها وقد كنتَ مجنوناً بجاراتِها القُدُمْ

(١) لم ننشب: لم نلبث.
(٢) الشحيج: صوت البغلة.
(٣) حفنت: أي أمسكت حفنة بكفّها.
(٤) حوّطت: اتّخذت جدراناً.
(٥) استوفز: جلس مستقيماً غير مطمئن، أو وضع ركبتيه ورفع إليتيه.
(٦) يخنس: يتقهقر.

إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى فكن حجراً بالحزْن من حرَّة أصمّ
[الطويل]

غناه مالك بن أبي السمح من رواية يونسَ غير مُجنس.

أشعب يقوقي مثل الدجاجة:

قال الزبير: وحدثني شُعيب بن عُبيدةَ عن أَبيه، قال:

دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأَشعبَ متفحجّ[١] جالس تحتَ السرير، فلما رآني جعل يقوقي[٢] مثل الدجاجة، فجعلت أنظر إليه وأَعجب، فقالت: ما لك تنظر إِلى هذا؟ قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث قد أَفسد علينا أُمورنا بغباوته فحضنتُه بيضَ دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينقب.

وهذا الخبر ها هنا غير مشروح، ولكن هكذا سمعناه وقد نسخته على الشرح من أخبار إبراهيمَ بن المهديّ التي رواها عنه يوسفُ بن إبراهيمَ، وقد ذُكر في أخبار سكَينة.

وروى عن أحمدَ بن الحسن البزاز.

فيما وجدته بخط ابن الوشاء عنِ الكريميّ عنِ ابن عاصم، قال:

قيل لأَشعبَ الطامع: أَرأيت أحداً قطّ أَطمعَ منك؟ قال: نعم كلباً تبعنا أربعةَ أميال على مضغ العِلك[٣].

أَشعب يُغني أمام جارية صريم:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء وعمي وعبد العزيز بن أحمدَ وحبيب بن نصر المهلبيّ، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا مصعب، عن عُثمانَ بن المنذر.

عن عبد اللَّه بن أَبي بِشر بن عُثمانَ بن المغيرةِ، قال: سمعت جَلبة شديدة مقبلة منَ البلاط: فأَسرعت، فإِذا جماعة مقبلة، وإِذا امرأة قد فرَعَتْهُم طولاً، وإِذا أَشعبُ بين أَيديهم بكفه دُفٌّ، وهو يغني به ويرقص ويحرِّف استه ويحركها ويقول:

ألا حيِّ التي خرجت قُبَيل الصبح فاختمرَتْ

(١) تفحج في جلسته: فرج بين رجليه.
(٢) يقوقي: يصدر صوت الدجاجة لحظة إخراجها البيضة.
(٣) العِلك، بكسر العين: المضغة، اللبان.

يُـقـال بـعَـيـنـهـا رَمَـدٌ ولا والـلَّـهِ مـا رَمَـدَتْ

[مجزوء الوافر]

فإذا تجاوز في الرقص الجماعة رجع إليهم حتى يُخالطهم، ويستقبل المرأة ويغني في وجهها وهي تتبسم، وتقول: حسبُك الآن، فسألت عنها فقالوا: هذه جارية صُرَيم المغنية استلحقها صريم عندَ موته، واعترف بأنها بنته فخاصمت وَرَثته إلى السلطان، وقامت لها البينة: فألحقها به وأعطاها الميراثَ منه، وكانت أحسن خلق اللَّه غِناءً، كان يُضربُ بها المثل في الحجاز، فيُقال أَحسن من غناء الصُّرَيميَّة.

أَشعب يبكي على الصريمية ويلعنها!:

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الدمشقيّ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: وحدثني أبي: قال:

اجتازت جنازة الصُّريمية بأَشعبَ، وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها، ثم قال: ذهب اليومَ الغناءُ كله، وعلى أنها الزانية لا رحمَها اللَّهُ كانت شَرّ خلق اللَّه، فقيل له يا أَشعبُ ليس بين بكائك عليها ولعنِك إياها فصلُ يوم في كلامك، فقال: نعم كنا نجيئها الفاجرَة بكبش فيُطبخ لنا في دارها ثم لاتعَشِّينا، ـ يشهد اللَّه ـ إلا بسلق.

أشعب ينتصر على منافسه:

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب، قال:

بلغ أشعب أن الغاضريَّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قدِ استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يُحادثهم ويُضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي وشَغَلتَ عني من كان يألفني، فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غَضَن[1] وجهه وشنَّجه حتى صار عرضه أكثر من طوله وصار في هيئة لم يعرفْه أَحد بها، ثم أرسل وجهه، وقال له: افعل هكذا. وطوَّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيفٍ، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبة كسنام البعيرِ، وصار طوله مقدار شبر أو أكثر، ثم نزع سراويله وجعل يُمدُّ جلد خصييه حتى حكَّ بهما الأرض، ثم خلاهما من يده ومشى وجعل يخنِس وهما يخُطان الأَرض، ثم قام فتطاول وتمدد وتمطى حتى صار كأطول ما يكون منَ الرجال، فضحك واللَّهِ القومُ حتى أُغمى عليهم، وقطع الغاضريَّ فما

(١) غضن وجهه: عبس، قطّب.

تكلم بنادرة، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره، إنما أنا تلميذُك وخرِّيجُك. ثم انصرف أشعب وتركه.

أخبرني رضوان بن أحمدَ الصيدلانيّ، قال: حدثنا يوسفُ بنُ إبراهيمَ، عن إبراهيمَ بنِ المهديّ.

عن عُبيدةَ بن أشعب عن أبيه أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة، وأن أباه كان من مماليك عثمانَ، وأن أُمه كانت تنقل كلام أزواج رسول اللَّه ﷺ ورَحِمِهن بعضهن إلى بعض فتلقي بينهنَ الشرَّ، فتأذّى رسول اللَّه ﷺ بذلك، فدعا اللَّه عزّ وجلّ عليها فأَمَاتها، وعمِّر ابنُها أشعبُ حتى هلك في أيام المهدِيّ.

وكان في أشعب خِلال:

منها أنه كان أطيبَ أهل زمانه عِشرةً، وأكثرهم نادرة.

ومنها أنه كان أحسن الناس أداءً لغناءٍ سمعه.

ومنها أنه أقومُ دهره بحُجج المعتزلة وكان امرأً منهم.

أشعب يطلُب العطاء من عبد اللَّه بن عمرَ ويُغني له:

قال إبراهيمُ بنُ المهديّ: فحدثني عُبيدةُ بنُ أشعب عن أبيه، قال: بلغني مكان عبد اللَّه بن عمرَ في مال له يتصدَّق بثمرته، فركبت ناضحاً[1] ووافيته[2] في ماله، فقلت: يا ابنَ أمير المؤمنين ويا ابنَ الفاروق، أوقِرْ لي بعيري هذا تمراً، فقال لي: أمنَ المهاجرين أنت؟ قلت: اللَّهم لا، قال: فمنَ الأنصار أنت؟ قلت: اللَّهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ قلت: أرجو. قال: إلى أن يُحقَّق رجاؤك، أَفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلامَ أُوقِرُ لك بعيرَك تمراً؟ قلت: لأنني سائل، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أتاك سائل على فرس فلا ترُدَّه**»، فقال: لو شِئنا أن نقولَ لك إنه قال: لو أتاك على فرس، ولم يقل أتاك على بعير لقلنا، ولكني أُمسك عن ذلك لاستغنائي عنه لأني قلت لأبي عمرَ بنِ الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطينه؟ فقال: إني سألت رسول اللَّه ﷺ عما سألتني عنه، فقال لي: «**نعم إذا لم تصِب راجلاً ونحن أيها الرجل نصيب رجالة فعلامَ أُعطيك وأنت على بعير؟**» فقلت له: بحق أبيك الفاروق، وبحق اللَّه عزّ وجلّ، وبحق رسول اللَّه ﷺ لما أوقرته

(١) الناضح من الإبل: البعير الذي تُحمل عليه آنية المياه للسقي.
(٢) وافيته: لحقت به.

لي تمراً. فقال لي عبد اللَّه: أنا موقره لك تمراً، ووحق اللَّه، ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أَبررت لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق أَبي عليَّ في تمرة أُعطيكها لما أنفذت قسمك، لأني سمعت أبي يقول: إِن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تشدُّ الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلَّا إلى المسجد الحرام ومسجدي بيثرب، ولا يُبرُّ امرؤ قسمَ مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق اللَّه وبحق رسوله**»، ثم قال للسودان في ذلك المال: أَوقروا له بعيره تمراً، قال: ولما أَخذ السودان في حشو الغرائر، قلت: إن السودان أهل طرب وإن أَطربتهم أجادوا حَشوَ غرائري، فقلت: يا ابنَ الفاروق أتأذن لي في الغناء فأُغنيَك؟ فقال لي: أنت ورأيُك، فاندفعت في النَّصب[1] فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه، ثم غنيته صوتاً آخر لطوَيس المغني، وهو:

خليليَّ ما أُخفي منَ الحبّ باطلٌ ودمعي بما قلتُ الغداة شَهِيدُ

[الطويل]

فقال لي عبد اللَّه يا هَناهُ لقد حدث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه، قال: ثم غنيته لابن سريج بقوله:

يا عينُ جودي بالدموع السِّفاحْ وابكي على قتلي قُرَيش البطاحْ

[السريع]

فقال: يا أَشعب، ويحَك، هذا يحيقُ الفؤاد أراد يُحرق الفؤاد لأنه كان أَلثَغ لا يُبين بالراء ولا باللام، قال أشعب: وكان بعد ذلك لا يراني إلا استعادني هذا الصوت.

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمّي، قال: لقي أُشعبَ صديقٌ لأبيه فقال له: ويحكَ يا أشعبُ، كان أبوك أَلحى وأنت أثطّ[2]، فإلى من خرجت؟ قال: إلى أُمي.

تحايل أشعب:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: أخبرنا أحمد بن أبي خيثمةَ، قال: حدثنا مصعب بن عبد اللَّه، عن مصعب بن عثمانَ، قال:

لقيَ أشعبُ، سالم بن عبد اللَّه بن عُمرَ، فقال له: هل لك يا أشعبُ في هَريس قد أُعد لنا؟ قال: نعم بأَبي أنت وأمي، قال: فصر إليّ، فمضى إِلى منزله، فقالت له

(١) النصب: ضرب من الغناء شبيه بالحداء.

(٢) الأثط من الرجال: هو الكوسج الذي لم تنبت لحيته، أو هو من كانت لحيته قليلة الشعر.

امرأته: قد وجه إليك عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال: ويحكِ إنَّ لسالم بن عبد اللَّه هريسة قد دعاني إليها وعبد اللَّه بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوتُه للناس فلتة، وليس لي بدّ منَ المَضِيّ إليه، قالت: إذاً يغضب عبد اللَّه، قال: فآكل عندَه ثم أصير إلى عبد اللَّه، فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكل متعالل، فقال له: كلْ يا أشعبُ وابعث ما فضل عنك إلى منزلك، قال: ذلك أردت بأَبي أنت وأُمي، فقال يا غلامٌ احملْ هذا إلى منزله، فحمله ومضى معهُ فجاء به امرأته، فقالت: ثكلتك أُمك قد حلف عبد اللَّه ألّا يُكلمك شهراً، قال: دعيني وَإياه، هاتي شيئاً من زعفران، فأعطَته فأخذه ودخل الحمام فمسحه على وجهه وبدنه وجلس في الحمام حتى صفَّره ثم خرج متوكئاً على عصا يُرعد، حتى أتى دار عبدِ اللَّه بن عمرو بنِ عثمان، فلما رآه حاجبه قال: ويحكَ بلغت بك العلة ما أَرى، ودخل فأَعلم صاحبه فأَذِن له، فلما دخل عليه إذا سالم بن عبد اللَّه عنده، فجعل يزيد في الرعدة، ويُقارب الخطوَ، فجلس وما كاد أن يستقلّ، فقال له عبد اللَّه: ظلمناك يا أشعبُ في غضبنا عليك، فقال له سالم: ما لك ويلك؟ أَلم تكن عندي آنفاً وأكلت هريسة؟ فقال له: وأي أَكل ترى بي؟ قال: ويك أَلم أَقلْ لك كَيْتَ وكيتَ وتقل لي كيت وكيت؟ قال: لعله شُبه لك، قال: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّه إني لا أظنُّ الشيطانَ يتشبَّه بك، ويلك أجادٌ أنت؟ قال: عَليَّ وعَليَّ إن كنت رأيتك منذُ شهر، فقال له عبد اللَّه: اعزبْ ويلَك عن خالي أتبهته لا أُمّ لك؟ قال: ما قلت إلَّا حقاً، قال: بحياتي أُصْدقني وأنت آمن من غضبي، قال: وحياتك لقد صدق، ثم حدثه بالقصة، فضحك حتى استلقى على قفاه.

أشعب يتسوّر البُستان طلباً للطعام:

حدثنا الحسن بن عليّ، قال: أخبرنا أحمد، قال: حدثنا مصعب بن عبد اللَّه عن مصعب بن عُثمانَ، قال:

قال رجل لأَشعَب: إن سالم بن عبد اللَّه قد مضى إلى بُستان فلان، ومعَه طعام كثير فبادره حتى تلحقه، فبادر حتى لحقه، فأَغلق الغلام الباب دونه، فتسوَّر عليه، فصاح به سالم: بناتي ويلَك بناتي، فناداه أشعب ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدَّثنا الزبير بن بكار، قال حدثني عمّي، قال:

بعثت سُكينةُ إِلى أبي الزِّناد، فجاءَها، تستفتيه في شيء، فاطلع أشعب عليه من بيت، وجعل يقوقئ مثل ما تقوقئ الدجاجة، قال: فسبح أبو الزناد، وقال: ما هذا؟ فضحكت، وقالت: إنْ هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرنا، فحلفت أن يحضن بيضاً في هذا البيت ولا يُفارقه حتى يَنقب، فجعل أبو الزناد يعجب من فعلها.

وقد أخبرني محمد بن جعفر النحويّ بخبر سُكينةَ الطويل على غير هذه الرواية، وهو قريب منها، وقد ذكرته في أخبار سُكينةَ بنتِ الحسين مفرداً عن أخبار أشعبَ هذه، في أخبارها معَ زيد بن عمرو بن عثمانَ بنِ عفانَ.

عبد يسلح في يد أشعب:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمةَ، قال: حدثنا مصعب، قال: حدثني بعض المدنيّين، قال:

كان لأشعبَ خَرقٌ في بابه، فكان ينام ثم يخرج يده منَ الخرق يطمع في أن يجيءَ إنسان يطرح في يده شيئاً من شدة الطمع، فبعث إليه بعض من كان يعبث به من مجان آل الزبير بعبدٍ له فسلح في يده، فلم يعد بعدَها إِلى أن يخرج يده.

وأخبرني به الجوهريّ عن ابن مهرويه عن محمد بن الحسن، عن مصعب، عن بعض المدنيّين، فذكر نحوه ولم يذكر ما فعل به الماجن.

حفيد عمرَ يُعطي أشعبَ ليكف عنِ الغناء الماجن:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزبيريُّ أَبو طاهر، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيلةَ، قال: حدثني إِسماعيلُ بن جعفر بن محمد الأعرج.

أن أشعب حدَّثه، قال: جاءني فِتية من قريش، فقالوا: إنَّا نُحبّ أن تُسمع سالم بن عبد اللَّه بن عمرَ صوتاً منَ الغناء وتُعلمنا ما يقول لك، وجعلوا لي على ذلك جُعلاً فَتَنني، فدخلت على سالم، فقلت: يا أبا عمرَ إن لي مجالسةً وحرمةً ومودةً وسِنّاً، وأنا مولع بالترنم، قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء، قال: في أَي وقت؟ قلت: في الخلوة ومعَ الإِخوان في المُنزه، فأَحبُّ أن أُسمِعَك، فإِن كرهته أمسكتُ عنه، وغنيته فقال: ما أَرى بأساً، فخرجت فأعلمتهم، قالوا: وأي شيء غنيته؟ قلت: غنيته:

قَـربـا مـربِـط الـنـعـامـة مـنـي لـقِـحـت حـربُ وائـلٍ عَـن حـيـالـي

[الخفيف]

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيت دفعَهم إياي وخِفت ذهاب ما جعلوه لي رجعت فقلت: يا أبا عمرَ، آخرُ، فقال: ما لي ولك؟ فلم أملكه كلامه حتى غنيت، فقال: ما أَرى بأْساً، فخرجت إِليهم فأعلمتهم، فقالوا: وأيّ شيء غنيته؟ فقلت: غنيته قوله:

لم يُطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب مَنْ أطاق النزالا

[الخفيف]

فقالوا: ليس هذا بشيء، فرجعت إليه فقال: مَهْ، قلت: وآخر، فلم أملكه أمره حتى غنيت قوله:

غَيَّضن من عبراتهنَّ وقُلن لي ماذا لقيت منَ الهوى ولقينا؟!

[الكامل]

فقال: مهلاً مهلاً، فقلت: لا واللَّهِ إِلَّا بذاك السداك، وفيه تمر عجوة من صدقة عمر، فقال: هُوَ لك، فخرجت به عليهم وأنا أخطر، فقالوا: مه، فقلت: غنيت الشيخ.

غيضن من عبراتهم وقلن لي....

فطرب وفرض لي فأَعطاني هذا، وكذبتهم، واللَّهِ ما أعطانيه إلا استكفافاً حتى صمتُّ، قال ابن أبي سعد: السداك الزِّبِّيل الكبير، وفرض لي أي نَقَّطني، يعني ما يهبه الناس للمغنين ويسمونه النقط.

أشعبُ أحسن تأديةً للّحن من معبد:

حدثني الجوهريّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا قعنب بن المحرز عنِ الأصمعيّ، قال: حدثني جعفر بن سُليمانَ، قال:

قدم أشعب أيام أبي جعفر، فأطاف به فِتيان بني هاشم، وسألوه أن يُغنيَهم، فغنى فإِذا ألحانه طرية[1]، وحلقه على حاله: فقال له جعفر بن المنصور: لمن هذا الشعر والغناء.

لمن طللٌ بذات الجيشِ أمسى دارِساً خَلَقا؟!

فقال له: أخذت الغناء عن معبد، وهو للدلال، ولقد كنت آخذ اللحن عن معبد، فإِذا سئل عنه قال: عليكم بأشعبَ فإِنه أحسن تأديةً له مني.

(١) طرية: مطربة.

جرير يعطي أشعب ويُطربُ له:

أخبرني محمد بن مَزْيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ، عن أبيه، عن عبد اللَّه بن مصعب، قال:

قدم جرير المدينة، فاجتمع إليه الناس يستنشدونه ويسألونه عن شعره، فيُنشدهم ويأْخذون عنه، وينصرفون عنه، ولزمه أشعب من بينهم فلم يُفارقه، فقال له جرير: أَراك أَطولهم جلوساً وأكثرهم سؤالاً، وإِني لأَظنك أَلأَمهم حسباً، فقال له: يا أبا حزرةَ، أَنا واللَّهِ أنفعهم لك، قال: وكيف ذلك؟ قال: أَنا آخذ شعرَك فأُحسّنه وأُجوّده، قال: كيف تُحسنه وتُجوّده؟ قال: فاندفع فغناه في شعره، والغناء لابن سُريج:

صـوت

يـا أُخـتَ نـاجـيـة الـسـلام عـلـيـكـمُ قـبْـل الـفِـراق وقـبـل يـوم الـعُـذَّلِ[1]
لـو كـنـت أعـلـم أن آخـرَ عـهـدكـم يـومُ الـرحـيـل فـعـلـتُ مـا لـم أفـعـلِ

[الكامل]

قال: فطرب جرير وبكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبته بركبته وقال: أشهد أنك تُحسّنه وتُجوّده، فأَعطى من شعره ما أراد ووصله بدنانير وكُسوة.

حدثني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني أبي، قال:

قال الهيثم بن عدِيّ: لقيت أشعَب فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديث الملوك ويُعطون إِعطاء العبيد.

أُم عمرَ بنتُ مروان تستحجب أَشعب:

حدثني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا مصعب، قال:

حجّت أُمُّ عمرَ بنتُ مروان، فاستحجبَت أشعب وقالت له: أنت أعرف الناس بأَهل المدينة، فأْذن لهم على مراتبهم، وجلست لهم مليّاً: ثم قامت فدخلت القائلة، فجاء طُويسٌ فقال لأشعب: استأذِن لي على أُم عمر، فقال: ما زالت جالسة حتى

(١) العذّل، الواحد عاذل: اللاّئمون.

دخلت، فقال له: يا أَشعبُ ملكْتَ يومينِ فلم تفُتْ بعرتين ولم تقطع شعرتين. فدَقَّ أشعبُ الباب ودخل إليها فقال لها: أنشدُكِ اللَّهَ يا ابنة مروان، هذا طُويسٌ بالباب فلا تتعرَّضي للسانه، ولا تُعَرِّضيني، فأَذِنت له، فلما دخل، قال لها: واللَّهِ لئن كان بابك غُلُقاً لقد كان باب أَبيك فلقاً. ثم أَخرج دُفَّه ونقر به وتمشى وغنى:

ما تمنعي يَقَظي فقد تؤتَينَهُ ... في النوم غير مُصرَّد[1] محسوبِ
كان المنى بلقائها فلقيتها ... فلهوتُ من لهو امرىءٍ مكذوبِ

[الكامل]

قالت: أَيُّهما أحبُّ إِليك العاجل أمِ الآجل؟ فقال: عاجل وآجل فأمرت له بكسوة.

أخبرني الجوهريّ، قال: حدثني ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عنِ المدائنيّ، قال:

حدّث رجلٌ من أَهل المدينة أَشعبَ بحديث أعجبه، فقال له: في حديثك هذا شيء، قال: وما هو؟ قال: تقليبةٌ على الرأس.

أَشعب بين الوليد بن يزيدَ ومطلقتِه سعدة:

أَخبرني الجوهريّ، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: حدثنا المدائنيّ، قال:

بعث الوليد بن يزيدَ إِلى أشعبَ بعد ما طلّق امرأته سعدة، فقال له: يا أشعبُ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تُبلغ رسالتي سعدةَ، فقال له: أحضِرِ المال حتى أَنظر إليه، فأَحضر الوليدُ بدرةً فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هاتِ رسالتك يا أَميرَ المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

أسعدةُ هل إِليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القِيامةِ من تلاقي
بلى ولعلّ دهراً أن يُواتي ... بموت من حليلكِ أو طلاقِ
فأُصبحَ شامتاً وتقرُّ عيني ... ويُجْمَعُ شَمَلُنا بعدَ افتراقِ

[الوافر]

قال: فأتى أَشعب الباب، فأُخبرت بمكانه، فأَمرت ففُرشت لها فرُشٌ وجلست فأَذنت له، فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسقَ، فقال: يا سيدتي

(١) النوم غير مصرّد: غير مقطّع وغير مزعج.

إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: واللَّهِ لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني، قال: وما تهبين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقامت فطواه ثم قال: هاتي رسالتك جعلت فداءك، قالت: قل له:

أَتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها فقد ذهبت لبنى فما أنت صانعُ؟

[الطويل]

فأَقبل أشعب فدخل على الوليد فأَنشده البيت، فقال أوهً قتلتني واللَّهِ، ما تُراني صانعاً بك يا ابنَ الزانية؟ إختر إمَّا أن أُدليك مُنكساً في بئر، أو أرميَ بك من فوق القصر مُنَكساً، أو أَضرب رأسك بعمودي هذا ضربة، فقال: ما كنتَ فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: ولم؟ قال: لأنك لم تكن لتعذب رأساً فيه عينان قد نظرتا إِلى سعدة، فقال: صدقت يا ابنَ الزانية اُخرجْ عني.

وقد أَخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزيد، عن حماد، عن أبيه، عنه الهيثم بن عديّ أَن سعدة لما أَنشدها أشعب:

أَسعدةُ هل إليك لنا سبيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقي

[الوافر]

قالت: لا واللَّهِ لا يكونُ ذلك أَبداً، فلما أنشدها:

بلى ولعل دهراً أن يواتي بموت من حليلك أو طلاقِ

[الوافر]

قالت: كلا إِن شاء اللَّه، بل يفعل اللَّه ذلك به، فلما أَنشدها:

فأُصبحَ شامتاً وتقَرُّ عيني ويُجمَعُ شملُنا بعدَ افتراقِ

[الوافر]

قالت: بل تكون الشماتة به. وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهريّ عنِ ابن مهرويه.

أخبرني عمّي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكرَّانيُّ، قال: حدثنا العُمريُّ، عنِ الهيثم بن عديّ، قال:

كتب الوليد بن يزيدَ في إِشخاص أشعب منَ الحجاز إليه وحملِه على البريد، فحُمل إِليه، فلما دخل أمر بأَن يلبس تُبَّاناً[1] ويُجعل فيه ذنب قِرْد، وتُشدَّ في رجليه

(١) التبَّان: ضرب من اللباس، وهو سروال قصير.

أَجراس، وفي عنقه جَلاجِل[١]، ففُعل به ذلك، فدخل وهو عجب منَ العجب: فلما رآه ضحك منه وكشف عن أَيره، قال أَشعب: فنظرت إِليه كأَنه نايٌ مدهون، فقال لي: ٱسجد للأَصمّ ويلك، يعني أيره، فسجدت، ثم رفعت رأسي وسجدت أُخرى، فقال: ما هذا؟ فقلت: الأولى للأصمّ، والثانية لخُصيتيك. فضحك وأمر بنزع ما كان أَلبسنيه ووصلني، ولم أَزل في ندمائه حتى قُتل.

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ، عن أبيه، قال:

قال رجل لأَشعب: إِنه أُهدي إلى زياد بن عبد اللَّه الحارثيّ قُبَّة أدم قيمتها عشرة آلاف درهم، فقال: امرأته طالق لو أنها قبة الإِسلام ما ساوت ألف درهم، فقيل له: إن معها جُبَّةَ وشي حشوها قزٌّ قيمتها عشرون ألف دينار، فقال: أمه زانية لو انَّ حشوها زغب أجنحة الملائكة ما ساوت عشرينَ ديناراً.

أَشعب يَبتلي بحاكم بخيل:

أخبرني عمّي، قال: حدثني أبو أيّوب المدائنيّ، قال: حدثني مصعب بن عبد اللَّه الزبيريّ عن أَبيه، قال:

حدثني أَشعب، قال: وليَ المدينةَ رجلٌ من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل الناس وأَنكدَهم. وأَغراه اللَّه بي يطلبني في ليلهِ ونهاره، فإن هربت منه هجم على منزلي بالشُّرَط، وإن كنت في موضع بعث إلى من أكونُ معَه أو عنده يطلبني منه، فيطالبني بأَن أُحدّثَه وأُضحكَه، ثم لا أَسكت ولا ينام، ولا يُطعمني ولا يُعطيني شيئاً، فلقيت منه جُهداً عظيماً وبلاء شديداً، وحضر الحجُّ فقال لي: يا أَشعُب، كُن معي، فقلت: بأَبي أنت وأُمي أنا عليل وليست لي نيَّةٌ في الحج، فقال: عليه وعليه، وقال: إن الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لأودِعنَّك الحبس حتى أقدم، فخرجت معَه مكرَهاً، فلما نزلنا المنزل أَظهر أَنه صائم ونام حتى تشاغلت، ثم أَكل ما في سفرته، وأَمر غلامه أن يُطعمني رغيفين بملح، فجئت وعندي أنه صائم، ولم أزل أنتظر المغرب أتوقع إفطاره، فلما صُلِّيتِ المغربُ قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أوَ لم يكن صائماً؟ قال: لا، قلت: أَفأطوي[٢] أنا؟ قال: قد أعدَّ لك ما تأكله فكُل، وأخرج إليَّ الرغيفين والملح فأكلتهما ميتاً جوعاً، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابتعِ لنا لحماً بدرهم، فابتاعه، فقال كبِّب لي

(١) جلاجل، الواحد جلجل: الأجراس الصغيرة.
(٢) أطوي: أنام جائعاً، خالي المعدة.

قطعاً، ففعل، فأكله ونصب القِدر، فلما اغبرَّت قال: أغرف لي منها قِطعاً، ففعل، فأكلها، ثم قال اطرح فيها دُقَّة وأَطعمني منها، ففعل، ثم قال: القِ توابلها وأَطعمني منها، ففعل، وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني، فلما استوفى اللحم كلَّه قال: يا غلامُ، اطعم أشعبَ، ورمى إليَّ برغيفين، فجئت إلى القِدر وإذا ليس فيها إلا مرقٌ وعظامٌ، فأكلت الرغيفين، وأخرج له جِراباً فيه فاكهةٌ يابسة، فأَخذ منها حَفنة فأكلها، وبقي في كفه كفُّ لوز بقشره، ولم يكن له فيه حيلة، فرمى به إليَّ وقال: كُل هذا يا أَشعبُ، فذهبت أكسِر واحدة منها فإذا بضرسي قدِ انكسرت منه قطعة، فسقطت بين يديَّ، وتباعدتُ أَطلب حجراً اكسرهُ به، فوجدته، فضربتُ به لوزة فطفَرت ـ يعلم اللَّه ـ مقدار رَمية حجر، وعدوت في طلبها، فبينا أنا في ذلك إذ أَقبل بَنو مصعب ـ يعني ابنَ ثابت وأخوته ـ يُلبّون بتلك الحلوق الجَهْورية، فصحت بهم: الغوثَ الغوثَ، العِياذُ باللَّه وبكم يا آل الزبير، الحقوني أَدركوني، فركضوا إليَّ، فلما رأوني قالوا: أَشعبُ، مالك ويلك؟ قلت: خذوني معَكم تخلصوني منَ الموت، فحملوني معَهم، فجعلت أُرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزَّقَّ من أَبويه، فقالوا: ما لك ويلك؟ قلت: ليس هذا وقتَ الحديث، زُقوني مما معكم، فقد متُّ ضرّاً وجوعاً منذ ثلاث، قال: فأطعموني حتى تراجعت نفسي، وحملوني معَهم في محمل، ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأَريتهم ضرسيَ المكسورة، فجعلوا يضحكون ويُصَفقون، وقالوا: ويلك من أَين وقعتَ على هذا؟ هذا من أبخل خلق اللَّه وأدنئهم نفساً، فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان فلم أدخلها حتى عُزل.

الغاضريّ وأَشعب:

أخبرني رضوان بن أحمدَ الصيدلانيّ، قال: حدثنا يوسفُ بنُ إبراهيمَ، قال: حدثنا إبراهيمُ بنُ المهديّ، قال: حدثني عُبيدة بن أشعبَ، قال:

كان الغاضريّ مُندِرَ[1] أَهل المدينة ومضحِكَهم قبل أبي، فأَسقطه أبي واطُّرح، وكان الغاضريّ حسنَ الوجه مادَّ القامة عبلاً[2] فخماً وكان أبي قصيراً دميماً قليل اللحم، إلا أنه كان يتضرّم ويتوقَّد ذكاءً وحِدَّة وخِفَّة روح، وكان الغاضريّ لقيطاً منبوذاً لا يُعرف له أَب، فمرَّ يوماً ـ ومعَه فِتيةٌ من قريش ـ بأَبي في المسجد وقد تأذى بثيابه فنزعها، وتجرَّد وجلس عرياناً، فقال لهمُ الغاضري: نشدتكم اللَّه، هل رأيتم أَعجب

(١) مندر أهل المدينة: أي يتحفهم بنوادره الطريفة والغريبة.

(٢) العبل من الرجال: الضخم الجثَّة، المبطان.

من هذه الخِلقة؟ يُريد خِلقة أبي، فقال له أبي: إن خلقتي لعجيبة، وأعجب منها أنه زَقّني اثنانِ فصرت نِضواً[١]، وزقَّك واحد فصرتَ بُختِيّاً[٢]. قال: وأَهل المدينة يسمون المهلوس[٣] منَ الفراخ النَّضو، والمسروَل البُختيّ، فغضب الغاضريّ عند ذلك وشتمه، فسقط واستُبرد، وترك النوادر بعدَ ذلك، وغلب أبي على أهل المدينة واستطابوه، وكان هذا سبَبه.

جدْي زياد بن عبد اللَّه الحارثيّ:

أخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ عن أَبيه، قال:

كان زياد بن عبد اللَّه الحارثيّ أَبخلَ خلق اللَّه، فأَولم وليمة لطُهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرن ويقدم الطعام فلا يأكلون منه إلا تعللاً وتشعُّثاً[٤]، لعلمهم به، فقُدِّم فيما قدِّم جَديٌ مشويٌ، فلم يعرِض له أحد، وجعل يُردده على المائدة ثلاثة أيام، والناس يجتنبونه، إلى أنِ انقضتِ الوليمة، فأَصغى أشعبُ إلى بعض من كان هناك، فقال: امرأته طالق إن لم يكن هذا الجدي بعد أن ذُبح وشُويَ أَطول عُمراً وأَمدَّ حياةً منه قبل أن يُذبح، فضحك الرجل، وسمعَها زياد فتغافل.

سكينة تأمر بحلق لحيته ثم تعفو عنه:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك، عن إسحاقَ، قال: حدثني إبراهيمُ بنُ المهديّ:

عن عبيدةَ بن أشعب، قال:

غضبت سُكينة على أبي في شيء خالفها فيه، فحلفت لتحلِقَن لحيته، ودعت بالحجَّام[٥] فقالت له: احلق لحيته، فقال له الحجام: انفخ شِدقيك أَتمكَّن منك، فقال له: يا ابنَ البظراء، أَمرتك أن تحلق لحيتي أو تعلمني الزَّمر. أَخبرني عنِ امرأتك إذا أردت أن تحلق حَرِها تنتفخُ أَشداقه؟ فغضب الحجام وحلف ألا يحلق لحيته، وانصرف، وبلغ سكينةَ الخبرُ وما جرى بينهما، فضحكت وعفت عنه.

---

(١) النضو من الرجال: الهزيل، النحيل.
(٢) بُختيّاً: نسبة إلى ضرب من الإبل العظيمة التي تشتهر بها بلاد فارس.
(٣) المهلوس: هو الهزيل الذي يُكثر من الأكل ولا يبدو عليه أثر ذلك.
(٤) تشعث من الطعام: أكل منه قليلاً.
(٥) الحجَّام: هو من اتّخذ الحجامة مهنة له.

بخل زياد بن عبد اللَّه الحارثيّ:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العيناء، عنِ الأصمعيّ، قال:

أهدى كاتبٌ لزياد بن عبد اللَّه الحارثيّ إليه طعاماً، فأتى به وقد تَغدّى، فغضب وقال: ما أصنع به وقد أكلت؟ ادعوا أهل الصُّفَّة[١] يأكلونه، فبعث إليهم، وسأل كاتبَهُ: فيمَ دعا أهلَ الصفة؟ فعرف، فقال الكاتب: عرفوه أن في السلال أخبصة[٢] وحلواء، ودجاجاً وفراخاً، فأخبر بذلك فأمر بكشفها، فلما رآها أمر برفعها فرُفعت، وجاء أَهل الصفة فأعلم، فقال: اضربوهم عشرين عشرين دِرّة واحبسوهم فإنهم يفسون في مسجد رسول اللَّه ﷺ ويؤذون المُصلين، فكُلِّم فيهم، فقال: حلفوهم ألا يعاودوا وأطلقوهم.

هزل أبان بنِ عثمانَ:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا عمرُ بن شَبَّةَ، قال: حدثنا ابن زبالة، قال: حدثنا ابن زَبَنَّج روايةَ ابن هِرمةَ عن أبيه، قال:

كان أبان بن عثمانَ من أَهزل الناس وأعبثهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أَعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له: أنا فلان بن فلان ثم يهتف بلقبه، فيشتمه أَقبح شتم، وأَبان يضحك، فبينا نحن ذاتَ يوم عندَه وعنده أشعب إذ أَقبل أعرابيّ ومعه جمل له، والأعرابي أشقر أزرق أَزعر[٣] غضوب يتلظى كأنه أَفعى ويتبين الشرّ في وجهه، ما يدنو منه أحدٌ إلا شتمه ونهره، فقال أشعب لأبان: هذا واللَّهِ منَ البابة[٤] أدعوه، فدعيَ وقيل له: إن الأمير أبان بن عثمانَ يدعوك، فأتاه فسلّم عليه، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له، فقال: حياك اللَّه يا خالي، حبيبٌ ازداد حباً، فجلس، فقال له: إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة، وهذه القامة، واللون والصدر، والورك والأخفاف، فالحمدُ للَّه الذي جعل ظَفري به من عند من أُحبه، أتبيعه؟ قال: نعم أيُّها الأمير، فقال: فإني قد بذلت لك به مائة دينار، وكان الجمل يساوي عشرة دنانير، فطمع

(١) أهل الصُّفّة: هم فقراء المهاجرين الأول إلى المدينة المنوّرة في عهد رسول اللَّه ﷺ.
(٢) الأخبصة، الواحد خبيص: ضرب من الحلويات.
(٣) الأزعر من الرجال: الفاسد الأخلاق لشراسته.
(٤) البابة من الرجال: هو من تنطبق عليه صفات الملهين ممن يتّخذون السخرية رزقاً لهم ومسلكاً.

الأعرابيُّ وسُر وانتفخ، وبان السرور والطمع في وجهه فأقبل أَبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب إن خالي هذا من أَهلك وأَقاربك ـ يعني الطمع ـ فأَوسِعْ له مما عندَك، فقال له: نعم بأبي أنت وزيادة، فقال له أَبان: يا خالي إِنما زدتك في الثمن على بصيرة وإِنما الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكن بذلتُ لك مائة لقلة النقد عندنا، وإِني أعطيك به عروضاً تساوي مائة، فزاد طمع الأَعرابيّ، وقال: قد قبلت ذلك أَيّها الأَمير، فأسرَّ إلى أشعب فأخرج شيئاً مُغطى، فقال له: أَخرج ما جئتَ به، فأَخرج جرْدَ[1] عِمامة خَزٍّ خَلقٍ تُساوي أربعة دراهم، فقال له: قوِّمها يا أشعب، فقال له: عِمامة الأمير تُعرف به، ويشهد فيها الأعياد والجُمع ويلقى فيها الخلفاء. خمسون ديناراً، فقال: ضعها بين يديه، فقال لابن زَبنّج: اثبت قيمتها، فكتب ذلك.

ووضعت العمامة بين يدي الأعرابيّ، فكاد يدخل بعضُه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هاتِ[2] قَلنسوتي فأَخرج قلنسوة طويلة خَلقة[3]، قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت، تُساوي نصف درهم، فقال: قَوِّم، فقال: قلنسوة الأمير تعلو هامَته، ويُصلِّي فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم، ثلاثون ديناراً، قال: أثبت فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابيّ، فَتربَّد وجهُه وجحظت عيناه، وهمّ بالوثوب ثم تماسك وهو متقلقل، ثم قال لأشعبَ: هاتِ ما عندَك، فأَخرج خُفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا، فقال له: قوِّم، فقال: خُفا الأمير، يطأُ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي ﷺ، أربعون ديناراً، فقال: ضعهما بين يديه، فوضعهما، ثم قال للأعرابيّ: اضمُم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض معَ الأعرابيّ فاقبض منه ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون ديناراً، فوثب الأعرابيّ فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي به، ثم قال: أتدري أصلحك اللَّه من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمانَ فأشترك واللَّهِ في دمه إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون حتى أَخذ برأس بعيره. وضحك أَبان حتى سقط، وضحك كل من كان معَه، وكان الأعرابيّ بعد ذلك إذا لقى أشعب يقول له: هلم إليَّ يا ابنَ الخبيثة حتى أُكافئك على تقويمك[4] المتاعَ يوم قُوّم، فيهرب أشعب منه.

---

(١) جرد عمامة خزّ: البالي الخرق.

(٢) هات: اسم فعل أمر بمعنى أعطني.

(٣) الخلقة: البالية.

(٤) تقويمك المتاع: إعطاؤك قيمة له.

أشعب يخاف أن يُحسدَ على خفة موته وسهولة نزعه:

أخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث عنِ المدائنيّ قال: حدثني شيخ من أهل المدينة، قال:

كانت بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إِلى شيء تستحسنه إلَّا عانته[١]، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لبنته: يا بنيةُ إِذا مِتّ فلا تندبيني والناس يسمعونك، فتقولين: واأَبتاه أندبك للصوم والصلوات، واأَبتاه أُندبك للفقه والقِراءة، فيكذبك الناس ويلعنوني. والتفت أَشعب فرأى المرأة، فغظى وجهه بكمه وقال لها: يا فلانةُ باللَّهِ إِن كنتِ استحسنت شيئاً مما أَنا فيه فصلّي على النبي ﷺ لا تُهلكيني، فغضبتِ المرأة، وقالت: سخنت عينُك في أي شيء أنت مما يُستحسن، أنت في آخر رمق، قال: قد علمت ولكن قلتُ لئلا تكوني قدِ استحسنتِ خفة الموت عليَّ وسهولة النزع، فيشتدّ ما أنا فيه، وخرجت من عنده وهي تشتمه، وضحك كل من كان حولَه من كلامه، ثم مات.

الضرطة بنقطة:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثنا أَبو أيوبَ المدينيّ عن مصعب، قال:

لاعب أشعب رجلاً بالنرد، فأَشرف على أن يقمره إلا بضرب دويكَين، ووقع الفصان في يد ملاعبه فأصابه زَمَع[٢] وجزع فضرب يكين وضرط معَ الضربة، فقال له أشعب: امرأته طالق إِن لم أحسب لك الضرطة بنقطة حتى تصير لك اليكان دوويك وتَقمُرُ وسلم له القَمْر بسبب الضرطة.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أَحمد، قال: حدثني أبو أَيوبَ عن حماد عن إسحاقَ عن أَبيه، قال: قال رجل لأَشعبَ: كان أبوك أَلحى وأنت أثطُّ فإِلى من خرجت؟ قال: إِلى أُمّي، فمرَّ الرجل، وهو يعجب من جوابه وكان رجلاً صالحاً.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني الرياشيّ، قال:

سمعت أبا عاصم النبيل يقول: رأَيت أشعبَ وسأَله رجل: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زُفّت عروس بالمدينة إِلى زوجها قطّ إلا فتحت بابي رجاء أن تُهدى إِليّ.

---

(١) عانته: نظرت إليه بعين الحسد، مما أدَّى إلى تلفه.

(٢) الزمع: الخوف الشديد والهلع لشدّة الدهشة.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه، قال:

تظلمتِ امرأة أشعبَ منه إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم وقالت: لا يدعني أَهدأ من كثرة الجماع، فقال له أشعب: أتُراني أَعلف ولا أَركب، لتكف ضِرسها لأكفَّ أَيري.

قال: وشكا خال لأَشعبَ إليه امرأته وأنها تخونه في ماله، فقال له: فديتك لا تأمَنن قحبةً ولو أنها أُمّك، فانصرف عنه وهو يشتمه.

أخبرني عمّي، قال: حدثني عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني قعنب بن المحرز عنِ الأَصمعيّ.

عن جعفر بن سليمانَ، قال: قدم علينا أشعب أيام أبي جعفر، فأَطاف به فِتيان بني هاشم وسألوه أن يُغنيَ، فغناهم فإذا ألحانه طَريَّة وحلقه على حاله، فسألوه لمن هذا اللحن:

لمن طَللٌ بذات الجيش أَمسى دارساً خَلَقا[1]

فقال للدلال: وأَخذته عن معبد، ولقد كنت آخذ عنه الصوت، فإذا سئل عنه، قال: عليكم بأشعَب فإنه أحسن أداءً له مني.

الحسن بن الحسن بن عليّ يعبث بأشعَب:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: ذكر الزبير بن بكار.

عن شُعيب بن عُبيدة بن أشعب عن أبيه، قال:

كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعبث بأَبي أَشدَّ عبث، وربما أَراه في عبثه أنه قد ثَمل وأنه يُعربد عليه، ثم يخرج إليه بسيف مسلول ويُريه أنه يُريد قتله، فيجري بينهما في ذلك كل مُستمَع، فهجره أبي مدة طويلة، ثم لقيه يوماً فقال له: يا أشعبُ، هجرتني وقطعتني ونَسيتَ عهدي، فقال له: بأَبي أنت وأُمي، لو كنت تُعربد بغير السيف ما هجرتك، ولكن ليس معَ السيف لعب، فقال له فأَنا أُعفيك من هذا، فلا تراه مني أبداً، وهذه عشرة دنانير، ولك حِماري الذي تحتي أحملك عليه، وصر إليَّ ولك الشرط ألا ترى في داري سيفاً، قال: لا واللَّهِ أو تخرج كل سيف في دارك قبل أن نأكل، قال: ذلك لك، قال: فجاءه أبي ووفى له بما قال

(١) خلقاً: بالياً، دارساً.

منَ الهبة وإخراج السيوف وخلَّف عنده سيفاً في الدار، فلما توسط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيف مشهوراً ثم قال: يا أشعبُ إنما أخرجت هذا السيف لخير أُريده بك، قال: بأَبي أنت وأُمّي وأَي خير يكون معَ السيف؟ أَلست تذكر الشرط بيننا؟ قال له: فاسمعْ ما أقول لك، لست أضربك به، ولا يلحقك منه شيء تكرهه، وإنما أريد أن أضجعك وأجلسَ على صدرك، ثم آخذ جلدة حلقك بأصبعي من غير أن أقبض على عصب ولا وَدِج[1]. ولا مقتل، فأَحزَّها بالسيف، ثم أقوم عن صدرك وأُعطيك عشرين ديناراً، فقال: نشدتك اللَّه يا ابنَ رسول اللَّه أَلَا تفعل بي هذا، وجعل يصرخ ويبكي ويستغيث، والحسن لا يزيده على الحلف له أنه لا يقتله ولا يتجاوز به أَن يحزَّ جلده فقط، ويتوعّد معَ ذلك بأَنه إن لم يفعله طائعاً فعله كارهاً، حتى إذا طال الخطبُ بينهما، واكتفى الحسن من المزْح معَه أَراه أنه يتغافل عنه، وقال له: أَنت لا تفعل هذا طائعاً، ولكن أَجيء بحبل فأُكتفك به، ومضى كأنه يجيء بحبل، فهرب أشعب وتسوّر حائطاً بينه وبين عبد اللَّه بن حسن أخيه، فسقط إلى داره فانفكَّت رجله وأُغمى عليه، فخرج عبد اللَّه فزعاً، فسأله عن قصته فأخبره، فضحك منه وأمر له بعشرينَ ديناراً. وأَقام في منزله يُعالجه ويَعوله إلى أن صلحت حاله، قال: وما رآه الحسن بن الحسن بعدها.

وأَخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي قال:

دعا حسن بن حسن بن علي عليهم السلام أشعبَ، فأَقام عندَه، فقال لأَشعبَ يوماً: أنا أشتهي كبد هذه الشاة، لشاة عنده عزيزة عليه فارهة، فقال له أَشعب: بأَبي أنت وأُمي أعطِنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال أُخبرك أني أشتهي كبد هذه وتقول لي: أَسمن شاة بالمدينة، اذبح يا غلامُ، فذبحها وشوى له من كبدها وأَطايبها، فأَكل ثم قال لأَشعَبَ منَ الغد: يا أشعبُ أنا أشتهي من كبد نجيبي هذا، لنجيب كان عنده ثمنه ألوف دراهم، فقال له أشعب: يا سيدي في ثمن هذا واللَّه غناي، فأَعطنيه وأنا واللَّهِ أُطعمك من كبد كل جزور بالمدينة، فقال: أُخبرك أني أشتهي من كبد هذا وتُطعمني من غيره، يا غلامُ انحر: فنُحر النجيب وشوى كبده فأَكلا، فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أَشعبُ أنا واللَّهِ أشتهي أن آكل من كبدك، فقال له: سبحانَ اللَّه، أَتأكل من أكباد الناس؟ قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله، فقيل له: ويلك أظننت أنه يذبحك؟ فقال: واللَّهِ لو أن كبدي وجميع

(١) الودج، بكسر الدال: العِرق في العنق ينتفخ عند الغضب.

أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها، وإنما فعل حسن بالشاة والنجيب ما فعل توطئة للعبث بأَشعَب.

تمت أخباره.

صـــوت

أَلَـــمَّـــتْ خُـــنـــاسُ وإِلـــمـــامُـــهـــا أَحـــاديـــثُ نـــفـــسٍ وأَحـــلامُـــهـــا
يَـــمـــانـــيـــة مـــن بـــنـــي مـــالـــكٍ تـــطـــاوَلَ فـــي الـــمـــجـــد أعـــمـــامُـــهـــا

[المتقارب]

الشعر لعُويف القوافي الفزَاريّ، والغناء للهذليّ رمل بالوسطى عن عمرو، وذكر حماد بن إِسحاقَ عن أبيه أن فيه لحناً لجميلة، ولم يذكر طريقته، وفيه لأبي العُبيس بن حمدون خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

أخبار عُويف ونسبه

اسمه ونسبه:

هو: عُوَيف بن معاويةَ بن عُقبةَ بن حِصن، وقيل ابن عقبةَ بن عُيينةَ بن حِصن بن حُذيفةَ بن بدر بن عمرو بن جُؤيَّةَ بن لوْذانَ بن ثعلبةَ بن عديّ بن فزارةَ بن ذُبيانَ بن بَغيض بن رَيث بن غطفانَ بن سعد بن قيس بن عيلانَ بن مُضرَ بنِ نزار.

وعُويف القوافي شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية، من ساكني الكوفة، وبيته أحد البيوتات المقدمة الفاخرة في العرب.

قال أبو عُبيدةَ: حدثني أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعُدُّ البيوتاتِ المشهورةَ بالكِبر والشرف منَ القبائل بعدَ بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثةَ بيوت، ومنهم من يقول أربعة، أولها بيت آل حذيفةَ بن بدر الفزاريّ بيتُ قيس، وبيت آل زرارةَ بن عُدس الدارميين بيتُ تميم، وبيت آل ذي الجَدِّين بن عبد اللَّه بن همام بيتُ شيبان، وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب بيتُ اليمن، وأما كِندة فلا يُعدُّون من أهل البيوتات، إنما كانوا ملوكاً.

فخار قبائل:

وقال ابن الكلبيّ: قال كسرى للنعمان: هل في العرب قبيلة تشرُف على قبيلة؟ قال: نعم، قال: بأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، والبيتُ من قبيلته فيه، قال: فاطلب لي ذلك، فطلبه فلم يُصبه إلا في آل حذيفةَ بن بدر بيتِ قيس به عيلان، وآل حاجب بن زرارةَ بيتِ تميم وآل ذي الجَدّين بيتِ شيبان. وآل الأشعث بن قيس بيتِ كِندةَ، قال: فجمع هؤلاء الرَهط ومن تبعهم من عشائرهم، فأَقعد لهمُ الحكَّام العدول، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم وقال لهم ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وفعالهم، وليقل شاعرهم فيصدق، فقام حذيفة بن بدر وكان أَسنَّ القوم وأَجرأهم مُقْدَماً، فقال: لقد علمت معدٌّ أن منّا الشرف الأقدم، والعز الأعظم، ومأثُرة الصنيع الأكرم، فقال من حوله: ولِمَ ذاك يا أخا فزارة؟ فقال: أَلسنا الدعائم التي لا تُرام، والعِزَّ الذي لا يُضام؟ قيل له: صدقت، ثم قام شاعرهم فقال:

فـزارةُ بـيـتُ الـعـزِّ والـعـزُّ فـيـهـمُ ... فـزارةُ قـيـسٍ حـسـبُ قـيـسٍ نِـضـالُـهـا
لـهـا العِزَّةُ الـقـعـساءُ[1] والـحـسـب الـذي ... بـنـاه لـقـيـسٍ فـي الـقـديـم رجـالُـهـا
فـمـن ذا إذا مُـدّ الأَكُـفُّ إلـى الـعـلا ... يَـمُـدّ بـأُخـرى مـثـلـهـا فـيـنـالُـهـا
فهيهاتَ[2] قد أعيا القرونَ التي مضت ... مـآثـرُ قـيـسٍ مـجـدُهـا وَفـعـالُـهـا
وهـل أحـدٌ أن مَـدّ يـومـاً بـكـفّـه ... إلى الشمس في مجرى النجوم ينالُها
فـإن يَـصـلـحـوا يـصـلـح لـذاك جـمـيـعـنـا ... وإن يـفـسُـدوا يـفـسـد عـلـى الـنـاس حـالُـهـا

[الطويل]

ثم قال الأشعث بن قيس، وإنما أذن له أن يقومَ قبل ربيعةَ وتميم لقرابته بالنعمان، فقال: لقد علمتِ العرب أنَّا نقاتل عديدَها الأكثر، وقديم زحفها الأكبر، وأنَّا غياثُ اللَّزبات[3]، فقالوا: لِمَ يا أخا كِندة؟ قال: لأنَّا ورثنا مُلك كِندةَ فاستظللنا بأفيائه، وتقلدنا منكبه الأَعظم وتوسطنا بُحبوحه الأكرم، ثم قام شاعرهم، فقال:

إذا قِـسـت أبـيـات الـرجـال بـبـيـتـنـا ... وجـدت لـه فـضـلاً عـلـى مـن يُـفـاخـرُ
فـمـن قـال كـلا أو أتـانـا بـخُـطـةٍ ... يُـنـافـرنـا يـومـاً فـنـحـنُ نـخـاطـرُ
تـعـالـوا فـعُـدوا يـعـلـم الـنـاس أيُّـنـا ... لـه الـفـضـلُ فـيـمـا أورثـتـه الأكـابـرُ

[الطويل]

ثم قام بِسطامُ بن قيس، فقال: لقد علمت ربيعةُ أنَّا بناةُ بيتها الذي لا يزول، ومغرس عزها الذي لا يُنقل، قالوا: ولم يا أخا شيبانَ؟ قال: لِأنَّا أدركهُم للثأر، وأقتلهم للملك الجبار، وأقولهم للحق، وألدُّهم للخَصم، ثم قام شاعرهم، فقال:

لـعـمـري لـبـسـطـامٌ أَحـقُّ بـفـضـلـهـا ... وأَولـى بـبـيـت الـعـزِّ عـزّ الـقـبـائـلِ
فـسـائـل أَبـيـتُ الـلّـعـنَ عـن عِـزّ قـومـنـا ... إذا جَـدَّ يـوم الـفـخـر كـلُّ مـنـاضـلِ
أَلـسـنـا أَعـزَّ الـنـاس قـومـاً وأُسـرةً ... وأَضـربـهـم لـلـكـبـش[4] بـيـن الـقـبـائـلِ
فـيُـخـبـرَك الأقـوام عـنـهـا فـإنـهـا ... وقـائـعُ لـيـسـت نُـهـزةً[5] لـلـقـبـائـلِ
وقـائـع عـزّ كـلـهـا رَبَـعِـيَّـةٌ ... تـذلُّ لـهـم فـيـهـا رقـاب الـمـحـافـلِ
إذا ذكـرت لـم يُـنـكـر الـنـاس فـضـلـهـا ... وعـاذبـهـا مـن شـرهـا كـل قـائـلِ

(١) العزَّة القعساء: الثابتة.
(٢) هيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى بعُد.
(٣) اللزبات، الواحدة لزبة: الشدَّة والقحط.
(٤) الكبش: سيد القوم الشجاع.
(٥) النُّهزة، بضم النون: الفرصة.

وإِنَّـا مـلـوك الـنـاس فـي كـل بـلـدة إذا نـزلـت بـالـنـاس إِحـدى الـزلازِلِ

[الطويل]

ثم قام حاجب بن زُرارةَ، فقال: لقد علمت معدٌّ أَنّا فرعُ دِعامتها، وقادة زحفها، فقالوا له: بِمَ ذاك يا أَخَا بني تميم؟ قال: لأنّا أكثر الناس إِذا نسبنا عدداً، وأنجبهم ولداً، وأَنا أعطاهم للجزيل، وأَحملُهم للثقيل، ثم قام شاعرهم فقال:

لـقـد عـلـمـت أبـنـاءُ خِـنِـدفَ أَنَّـنـا لـنا العزُّ قِدماً في الخطوب[1] الأوائلِ

وأنـا هِـجـانٌ[2] أهـل مـجـد وثـروةٍ وعـزّ قـديـمٍ لـيـس بـالـمـتـضـائـلِ

فـكـم فـيـهـم مـن سـيـد وابـن سـيـد أغـرَّ نـجـيـبٍ ذي فَـعـال ونـائـلِ

فـسـائـل أَبـيـتَ الـلـعـن عـنـا فـإِنـنـا دعـائـمُ هـذا الـنـاس عـنـدَ الـجـلائـلِ

[الطويل]

ثم قام قيس بن عاصم فقال: لقد علم هؤلاء أَنا أَرفعهم في المكرُمات دعائم، وأَثبتهم في النائبات مَقاوِم، قالوا: ولِمَ ذاك يا أَخا بني سعد؟ قال: لأَنّا أمنَعهم للجار، وأدركهم للثأر، وأَنَّا لا نتكل إِذا حملنا، ولا نُرام إذا حللنا، ثم قام شاعرهم، فقال:

لـقـد عـلـمـت قـيـسٌ وخِـنـدفُ كـلُّـهـا وجـلُّ تـمـيـم والـجـمـوع الـتـي تَـرى

بـأَنّـا عـمـادٌ فـي الأمـور وأنـنـا لنا الشرفُ الضخم المركب في الندى

وأنّـا لـيـوثُ الـنـاس فـي كـل مـأْزِقٍ إِذا ما اختلى البيضُ الجماجم والطُّلى[3]

وأَنّـا إِذا داعٍ دعـانـا لـنـجـدةٍ أَجـبـنـا سِـراعـاً فـي الـعُـلا ثَـمَّ مـن دعـا

فـمـن ذا لـيـوم الـفـخـر يـعـدِلُ عـاصـمـاً وقـيـسـاً إذا مُـد الأكـف إلـى الـعـلا؟!

[الطويل]

فـهـيـهـاتَ قـد أعـيـا الـجـمـيـع فـعَـالُـهـم وفـاتـوا بـيـوم الـفـخـر مـسـعـاةَ مـن سـعـى

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال: ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، فأثنى حِباءهم[4].

عود إلى عويف:

وإنما قيل لعويف عويف القوافي لبيت قاله:

---

(١) الخطوب، الواحد خطب: المصائب والويلات.

(٢) الهِجان، بكسر الهاء: الخالص من كلّ شيء، المميّز.

(٣) الطُّلى، بضم الطاء، الواحدة طُلية: الرقبة.

(٤) الحِباء، بكسر الحاء: العطاء، الهبة.

نسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دريد، ولم أسمعه منه، قال: أخبرنا السَّكن بن سعيد، عن محمد بن عباد. عنِ ابن الكلبيّ، قال:

أقَبل عُويف القوافي، وهو عويف بن معاويةَ بن عقبةَ بن حصن بن حديفةَ الفزاريّ، وإنما قيل له عُويف القوافي كما حدثني عمار بن أَبان بن سعيد بن عيينةَ ببيت قاله:

سأكذب من قد كان يزعم أنني إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيا

[الطويل]

قال: فوقف على جرير بن عبد اللَّه البجليّ، وهوفي مسجده، فقال:

أَصُبُّ على بجيلةَ مِن شقاها هجائي حين أدركني المشيبُ

[الوافر]

فقال له جرير: ألا أشتري منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى، قال: قل، قال: بأَلف درهم وبرذون، فأَمر له بما طلب، فقال:

لولا جريرٌ هلكت بجيلهْ نِعم الفتى وبئستِ القبيلهْ

[الرجز]

فقال جرير: ما أراهم نجوا منك بعد.

نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ في كتاب «من قال بيتاً فلقب به» قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال:

وإنما قِيل لعويفٍ عويفُ القوافي لقوله، وقد كان بعض الشعراء عَيَّره بأنه لا يُجيدُ الشعر، فقال أبياتاً منها:

سأكذِب من قد كان يزعم أنني إذا قلت شعراً لا أجيد القوافيا

[الطويل]

فسُمي عُويفَ القوافي.

قصته مع الوليد بن عبد الملك وسببها:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني حماد بن إسحاقَ عن أبيه قال: حدثني عزيز بن طلحةَ بن عبد اللَّه بن عثمانَ بن الأرقم المخزوميّ قال: حدثني غير واحد من مشيخة قريش، قالوا:

لم يكن رجل من وُلاة أَولاد عبد الملك بن مروان كان أنفسَ على قومه ولا

أَحسد لهم منَ الوليد بن عبد الملك، فأُذن يوماً للناس فدخلوا عليه، وأَذن للشعراء، فكان أول من بدر بين يديه عويف القوافي الفزاريّ فاستأذنه في الإنشاد، فقال، ما بقَّيت لِي بعد ما قلت لأخي بني زُهرة، قال: وما قلتُ له معَ ما قلتُ لأمير المؤمنين؟ قال: أَلست الذي يقول:

يا طلحَ أَنت أَخو الندى وحليفه ... إِن الندى من بعد طلحةَ ماتا
إن الفَعال إِليك أَطلق رحلَه ... فبحيث بِت منَ المنازل باتا

[الكامل]

أَولَست الذي تقول:

إذا ما جاء يومُك يا ابنَ عوفٍ ... فلا مطرت على الأرض السماءُ
ولا سار البشير بغُنمِ جيشٍ ... ولا حملت على الطهر النساءُ
تساقى الناسُ بعدَك يا ابنَ عوفٍ ... ذريعَ الموت ليس له شِفاءُ

[الوافر]

أَلم تقم علينا الساعة يومَ قامت عليه؟ لا واللَّهِ لا أسمع منك شيئاً، ولا أنفعك بنافعة أبداً، أَخرجوه عني، فلما أُخرج قال له القرشيون والشاميون: وما الذي أعطاك طلحةُ حين استخرج هذا منك؟ قال: أَما واللَّهِ لقد أعطاني غيرُه أكثر من عطيته ولكن لا واللَّهِ ما أَعطاني أحدٌ قطّ أحلى في قلبي ولا أَبقى شُكراً ولا أَجدر إِلا أنساها ما عرفتُ الصِّلاتِ من عطيته، قالوا: وما أعطاك؟ قال: قدمت المدينة ومعي بضيعة[1] لي لا تبلغ عشرة دنانير أريد أن أبتاع قَعُوداً[2] من قِعدان الصدقة، فإِذا برجل في صحن السوق على طِنفسة[3] قد طُرحت له، وإذا الناس حوله، وإِذا بين يديه إبل معقولة له فظننت أنه عامل السوق فسلّمت عليه فأثبتني وجهلته، فقلت: أَي رحمك اللَّه، هل أنت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعه لي؟ فقال: نعم: أَوَ معك ثمنه؟ قلت: نعم، فأهوى بيده إليَّ فأعطيته بُضَيِّعتي فرفع طنفسته وألقاها تحتها، ومكث طويلاً، ثم قمت إِليه فقلت: أي رحمك اللَّه انظر في حاجتي، فقال: ما منعني منك إِلا النسيان، أَمعَك حبل؟ قلت: نعم، قال: هكذا أَفرجوا، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإِبل التي بين يديه فقال: اقرِن هذه وهذه وهذه، فما برحت حتى أمر لي بثلاثين بكرة، أدنى بكرةٍ منها ـ ولا دَنية فيها ـ خيرٌ من بضاعتي، ثم رفع طنفسته

(١) البضيعة: تصغير بضاعة.
(٢) القعود من الجمال: ما يركبه الراعي في كل حاجة.
(٣) الطِّنفسة، بكسر الطاء: البساط، الحصير.

فقال: وشأنَك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع إليه، فقلت: أي رحمك اللَّه، أَتدري ما تقول؟ فما بقي عنده إلا من نهرني وشتمني، ثم بعث معي نفراً فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثَّنِيَّة، فواللَّهِ لا أَنساه ما دمت حيّاً أبداً.

وهذا الصوت المذكور تمثل به إبراهيمُ بن عبد اللَّه بن حسن بن حسن بن عليٍّ يومَ مقتله.

حدثني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثني مَيسرة بن حسان أبو محمد، قال: حدثني إبراهيمُ بن عليّ الرافقيّ عنِ المفضل الضبيّ. وحدثنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حدثنا عمر بن شَبَّةَ، قال: حدثني عبد الملك بن سليمانَ، عن علي بن الحسن عن المفضل الضبيّ، ورواية ابن عمار أَتَمُّ من هذه الرواية. ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب عن أبي حاتم السِّجستانيّ، عن أبي عثمانَ اليَقطُريِّ عن أَبيه، عنِ المفضل، وهو أتمُّ الروايات، وأكثر اللفظ له، قال:

قال المفضلُ: خرجت معَ إبراهيمَ بن عبد اللَّه بن حسن بن حسن، فلما صار بالمِربَد وقف على رأس سليمانَ بن عليٍّ فأخرج إِليه صِبْيَانٌ من ولده، فضمّهم إِليه وقال: هؤلاء واللَّهِ منا ونحن منهم، إلا إِن آباءهم فعلوا بنا وصنعوا، وذكر كلاماً يعتَدُّ عليهم فيه بالإِساءة، ثم توجه لوَجهه وتمثّل:

مهلاً بني عمِّنا ظلامَتنا ... إن بنا سورَةً[1] منَ القَلَقِ
لمثلكم نحمِل السيوف ولا ... تغمَز أحسابنا منَ الرِّفَقِ[2]
إني لأنمى إذا انتميت إِلى ... عزٍّ عزيز ومعشرٍ صدُقِ
بيضٍ سِباطٍ كأَن أَعينهم ... تكحَل يومَ الهِياج بالزَّرَقِ[3]

[المنسرح]

فقلت: ما أفحل هذه الأبيات! فلمن هي؟ قال: لضِرار بن الخطاب الفِهريّ قالها يومَ الخندق، وتمثل بها عليٌّ بن أَبي طالب عليه السلام يومَ صِفين والحسينُ بن علي يوم قُتِل وزيدُ بن علي عليهم السلام. ولحق القومَ، ثم مضى إِلى باخَمْرَي، فلما قرب منها أَتاه نَعيُ أَخيه محمد، فتمثل:

نُبئتُ أَن بني ربيعةَ أَجمعوا ... أَمراً خَلالهُمُ لِيقتلَ خالِدا
إن يقتلوني لا تُصِب أَرماحهُمْ ... ثأْري ويسعى القومُ سعياً جاهِدا

(١) السورة: الحدّة والسلطان.
(٢) الرفق: الجماعة من الرفاق.
(٣) الزرق: حدّة النظر.

أَرمـي الـطـريـق وإن صُـدِدتُ بـضـيْـقـةٍ وأُنـازل الـبـطـل الـكـمـيَّ[١] الـجـاحِـدا

[الكامل]

فقلت لمن هذه الأَبيات؟ فقال: للأَحوص بن جعفر بن كِلاب، تمثل بها يومَ شِعب جَبَلة، وهوَ اليوم الذي لقيت فيه قيسٌ تميماً. قال: وأَقبلت عساكر أبي جعفر، فقتل من أَصحابه وقُتل منَ القوم، وكاد أنْ يكون الظفرُ له.

قال ابن عمار في حديثه، قال المفضل: فقال لي: حَرِّكني بشيء، فأَنشدته هذه الأبيات:

ألا أَيُّـهـا الـنـاهـي فـزارَةَ بـعـدَمـا أَجـدَّت بَـسـيـرٍ إنـمـا أنـت حـالـمُ

أَبـى كـلُّ حُـرٍّ أن يـبـيـتَ بـوِتـره ويـمـنـعَ مـنـه الـنـوم إذ أَنـت نـائـمُ

أَقـولُ لـفِـتـيـان الـعَـشـيِّ تـروَّحـوا على الجرْدِ[٢] في أفواههن الشكائمُ[٣]

قِـفـوا وقـفـةَ مـن يَـحـيَ لا يـخـزَ بـعـدهـا ومـن يُـخْـتـرَم[٤] لا تَـتَّـبـعـهُ الـلـوائـمُ

وهـل أَنـت إن بـاعـدت نـفـسَـك مـنـهـمُ لـتـسـلـم فـيـمـا بـعـد ذلـك سـالِـمُ؟!

[الطويل]

فقال لي: أَعِدْ، فتنبهت ونَدِمْت، فقلت: أَوَ غير ذلك؟ فقال: لا، أَعِدْها، فأَعدتها، فتمطَّى في ركابيه حتى خلته قد قطعهما، ثم حمل فكان آخر العهد به.

هذه رواية ابن عمار، وفي الرواية الأُخرى فحُمل فطعن رجلاً وطعنه آخر، فقلت: أَتباشر الحربَ بنفسك والعسكر مَنوط بك؟ فقال: إليك يا أَخا بني ضَبَّةَ، كأَنَّ عُويفاً أخا بني فزارةَ نظر إلينا في يومنا هذا حيث يقول:

ألـمَّـت خُـنـاسُ وإلـمـامُـهـا أَحـاديـثُ نـفـس وأَسـقـامُـهـا

يَـمـانـيـة مـن بـنـي مـالـكٍ تَـطـاول فـي الـمـجـد أَعْـمَـامُـهـا

وإنّ لـنـا أصـلَ جُـرثـومـةٍ تـردُّ الـحـوادثَ أيَّـامُـهـا

تـردُّ الـكـتـيـبـةَ مـغـلـولـةً بـهـا أَفْـنُـهـا[٥] وبـهـا ذامُـهـا[٦]

[المتقارب]

---

(١) الكمي: البطل الشاكي السلاح.

(٢) الجرد من الخيول: القصيرة الشعر، والعرب يحمدون ذلك في خيولهم.

(٣) الشكائم، الواحدة شكيمة، من اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٤) يُخترم: يمت، يهلك. (٥) الأفن: ضعف الرأي.

(٦) الذام: المذمة والعيب.

قال وجاءه السهم العاثر[١] فشغله عني.

عُويف وعمر بن عبد العزيز:

أَخبرني محمد بن عمرانَ الصيرفيّ، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثني محمد بن معاويةَ الأسديّ، قال: حدثني أصحابنا الأسديون.

عن أَبي بُردةَ بن أَبي موسى الأشعريّ، قال: حضرت معَ عمرَ بنِ عبد العزيز جنازة، فلما انصرف انصرفتُ معَه وعليه عِمامة قد سَدَلها من خلفه، فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به.

أَجبني أَبا حفص لقيتَ محمَّداً ... على حَوْضِه مُستبْشِراً ورآكا

[الطويل]

فقال له عمر: لبيك، ووقف ووقف الناس معَه، ثم قال له: فمه، فقال:

فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدةٌ ... شِمالُك خيرٌ من يمين سِواكا

[الطويل]

قال: ثم مه، فقال:

بلغت مَدى المُجرين قبلكَ إِذ جَرَوا ... ولم يبلغِ المُجرون بعدُ مداكا

فجدَّاك لا جَدَّينِ أَكرمُ منهما ... هُناك تَنَاهى المجدُ ثم هُناكا

[الطويل]

فقال له عمر: أَلا أراك شاعراً؟ ما لك عندي من حق، قال: لا، ولكني سائل وابنُ سبيل وذو سُهْمةٍ[٢]، فالتفت عمرُ إلى قهرمانِهِ[٣] فقال: أعطه فَضل نفقتي، قال: وإذا هو عُويف القوافي الفزاريّ.

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أَبي عُبيدةَ، قال:

لما كان يوم ابنِ جُرْح، واقتتلت بنو مُرَّةَ وبنو حُنّ بن عُذرةَ قال عويف القوافي لبني مُرة يهجوهم ويُوبخهم بتركهم نصرَهم:

كنَّا لكم يا مُرَّ أُمّاً حَفيَّةً ... وكنتم لنا يا مُرَّ بَوّاً[٤] مُجَلَّدا

---

(١) السهم العاثر: الذي لا يعرف راميه. (٢) السهمة: القرابة والنصيب والقسمة.

(٣) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج. فارسي معرّب.

(٤) البوّ: ولد الناقة أو جلد الحوار أي ولد الناقة يُحشى تبناً فيقرّب من أم الفصيل لذا تدرّ عليه لبنها.

وكـنـتـم لـنـا سـيـفـاً وكـنـا وعـاءه إذا نـحـن خِـفـنـا أن يَـكِـلَّ فـيُـغـمـدا
[الطويل]

فأَجابه عقيل بن عُلَّفةَ بقصيدته التي أولها:

أَمـاوِيَّ إن الـركـب مـرتـحـلٌ غـدا وحـق ثـويّ[١] نـازلٍ أن يُـزَوَّدا
[الطويل]

يقول فيها يُخاطب عُويفاً:

إذا قـلـت قـد سـامـحـت شـمـخـاً ومـازنـاً أَبـي الـنـسـب الـداني وكـفـرُهُـم الـيـدا
وقـد أسـلـمـوا أسـتـاهـهـم لـقـبـيـلـةٍ قـضـاعـيَّـةٍ يـدعـونَ حَـنّـاً[٢] وأَصـيَـدا
فـمـا كـنـتَ أَمّـاً بـل جـعـلـتـك لـي أَخـاً وقـد كـنـتَ في الـنـاس الـطَّـريـد الـمـشـردا
عُـوَيـف استِـهـا قـد رُمـتَ ويـلـك مـجـدنـا قـديـمـاً فـلـم تـعْـدُ الـحـمـار الـمـقَـيَّـدا
ولـو أَنـنـي يـومَ ابـنِ جُـرحٍ لـقـيـتـهـمْ لـجـرَّدت فـي الأعـداء عـضـبـاً مَـهـنَّـدا[٣]
[الطويل]

وأبيات عويف هذه يقولها يومَ مرج راهط، وهي الحرب التي كانت بين قيس وكلب.

يوم مرج راهط:

أخبرني بالسبب فيه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: أخبرني سليمانُ بنُ أيوبَ بن أعينَ أبو أيوبَ المدينيّ، قال: حدثنا المدائنيّ، قال:

كان بدءُ حرب قيس وكلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط، وكان من قصة المرج أَن مروان بن الحكم بن أبي العاص قدِم بعد هلاك يزيدَ بن معاويةَ والناس يموجون، وكان سعيدُ بن بَحدَل الكلبيُّ على قِنَّسرين، فَوثب عليه زُفر بن الحارث فأَخرجه منها وبايع لابن الزبير، فلما قعد زفر على المنبر، قال: الحمد للَّه الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر، وحَصِر[٤]، فضحك الناس من قوله. وكان النعمان بن بشير على حمصَ، فبايع لابن الزبير. وكان حسان بن بحدل على فِلسطين والأردُن فاستعمل على فلسطين روحَ بن زنباع الجذاميّ، ونزل هوَ الأردنَ، فوثب نابل بن قيس الجُذاميّ على روح بن زنباع فأخرجه من فلسطينَ وبايع لابن الزبير.

(١) الثويّ: الضيف. (٢) حنّ: من بطون عُذرة.
(٣) العضب المهنّد: السيف القاطع المصنوع في بلاد الهند.
(٤) حَصِر: صعب عليه النطق، فسكت عجزاً.

موقف الضحاك بن قيس الفهريّ:

وكان الضحاك بن قيس الفهريّ عاملاً ليزيدَ بنِ معاويةَ على دِمشقَ حتى هلك، فجعل يُقدِّم رجلاً ويؤخر أُخرى. إذا جاءته اليمانية وشيعة بني أُميةَ أخبرهم أنه أُمويّ، وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير، فلما قدم مروان قال له الضحاك: هل لك أن تَقدَم على ابن الزبير ببيعة أَهل الشام؟ قال: نعم، وخرج من عنده، فلقيه عمرو بن سعيد بن العاص، ومالك بن هُبيرة، وحصين بن نمير الكِنديان، وعبيد اللَّه بن زياد، فسألوه عما أخبره به الضحاكُ، فأَخبرهم، فقالوا له: أنت شيخ بني أمية، وأنت عمّ الخليفة، هَلمَ نبايعْك، فلما فشا ذلك أَرسل الضحاكُ إلى بني أُمية يعتذر إِليهم ويذكر حسن بلائهم عندَه، وأَنه لم يُرد شيئاً يكرهونه، فاجتمع مروان بن الحكم، وعمرو بن سعيد بن العاص، وخالد وعبد اللَّه ابنا يزيدَ بنِ مُعاوية، وقال لهم: اكتبوا إِلى حسان بن بحدل فليَسر منَ الأردن حتى ينزل الجابية، ونسير من هاهنا حتى نلقاه، فيستخلف رجلاً ترضونه، فكتبوا إلى حسان، فأَقبل في أهل الأردن، وسار الضحاك بن قيس وبنو أُمية في أهل دمشق، فلما استقلَّتِ الراياتُ من جهة دمشقَ قالتِ القيسية للضحاك: دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأُمة، فلما تابعناك خرجتَ تابعاً لهذا الأعرابيّ من كلب تُبايع لابن أُخته تابعاً له، قال: فتقولون ماذا؟ قالوا: نقول أن تنصرف وتُظهر بيعة ابنِ الزبير ونظهرها معَك، فأجابهم إلى ذلك، وسار حتى نزل مَرج راهط، وأقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم، فسار حتى دخل دمشق، فأَتته اليمانية تشكر بلاء بني أُمية، فساروا معَ مروان حتى نزلوا المرج على الضحاك، وهم نحو سبعة آلاف، والضحاكُ في نحو من ثلاثين أَلفاً، فلقُوا الضحاك، فقُتل الضحاك، وقُتل معَه أشرافٌ من قيس، فأقبل زُفرُ هارباً من وجهه ذاك حتى قَرْقِيسيا[1]، وأقام عمير بن الحُباب شيئاً على طاعة بني مروان، ثم أقبل حتى دخل قَرْقَيسيا على زُفرَ فأَقام معَه، وذلك بعدَ يوم خازر حين قُتل عبيدُ اللَّه بن زيادٍ.

ما قيل في يوم المرج وقتلاه:

وأقبل زفرُ يبكي على قتلى المرج، ويقول:

لعمري لقد أبقت وقيعةُ راهطٍ ... بمروانَ صدْعاً بيننا مُتنائِيَا

أَتذهب كلبٌ لم تنلها رماحُنا ... وتُتركُ قتلى راهطٍ هيَ ماهيَا؟!

(١) قرقيسيا: مدينة في بلاد الشام على ملتقى الخابور والفرات، كانت محطّة تجارية بين العراق والشام.

فقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى[١] وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيَا
أبعَد ابنِ صقر وابن عمرو تتابعا ومصرِع همَّام أُمنَّى الأمانيَا
[الطويل]

فقال ابن المِخلاة الكلبي يُجيبه:

لعمري لقد أَبقتْ وقيعةُ راهطٍ على زُفرٍ داءً منَ الداءِ باقيَا
تُبكِّي على قتلى سُليمٍ وعامرٍ وذبيانَ مغروراً وتُبكي البواكيَا
[الطويل]

وقال ابن المُهلاة في يوم المرج:

ويومٍ ترى الراياتِ فيه كأَنها حوائمُ طيرٍ مُستديرٌ وواقعُ
مضى أَربعٌ بعدَ اللقاء وأَربعٌ وبالمرج باقٍ من دم الجوف ناقعُ[٢]
طعنَّا زياداً في استه وهو مدبر وثورٌ أصابته السيوف القواطعُ
ونجى حُبَيشاً ملهِبٌ[٣] ذو عُلالةٍ وقد جُذّ[٤] من يُمنى يديه الأصابعُ
وقد شهد الصَّفَّين عمرو بن محرزٍ فضاق عليه المرجُ والمرجُ واسعُ
[الطويل]

وقال رجل من بني عُذرةَ:

سائِل بني مروانَ أَهلَ العَجِّ[٥] رَهطَ النبيِّ وولاةَ الحجّ
عنا وعن قيسٍ غداةَ المرج إذ يُثقفون ثقَفاً بنجٍّ[٦]
تسديس[٧] أطرافِ القنا المعوج إذ أخلف الضحَّاكَ ما يُرجِّي
مُذ تركوا من بعد طول هرْج لحمَ ابن قيسٍ للضِّباع العُرج
[الرجز]

وقال جواسُ بنُ قعطلٍ الكلابيّ في يوم المرج:

هُمُ قتلوا براهِطَ جُلّ قيس سُلَيماً والقبائلَ من كِلابِ

(١) دمن الثرى: حيث تسقط أبعار الإبل أو الغنم في الأرض.
(٢) الدم الناقع: الجامد.
(٣) الملهب من الجياد: السريع العدو الذي يُثير الغبار لشدّة جريه.
(٤) جُذّ: قُطع.
(٥) العجّ: رفع الصوت والصياح.
(٦) النجّ: سيل الجراح بما فيها.
(٧) التسديس: أي أن تلك القنا المعوجة تخترق الأعداء فتجرّحهم من ستة جوانب.

وهم قتلوا بني بَدرٍ وعبساً وأَلصق حُرَّ وجهك بالترابِ
تذكرتَ الذُّحُولَ[١] فلن تُقضَّى ذُحولك أو تُساقَ إلى الحسابِ
إذا سارت قبائل من جَنابٍ وعوفٍ أَشحنوا[٢] شمّ الهضابِ
وقد حارَبْتنا فوجدت حرْباً تُغِصُّك حين تشرب بالشَّرابِ
[الوافر]

أهل البادية ينتصفون من أهل القرار:

فأَقبل عمير يخطر، فخرج من قرقيسيا يتطرف بوادي كلب فيُغير عليها وعلى من أَصاب من قُضاعةَ وأَهل اليمن، ويخص كلباً ومعَه تغلب قبلَ أن تقعَ الحرب بين قيس وتغلب، فجعل أهل البادية ينتصفون من أَهل القرار[٣] كلهم، فلما رأَت كلب ما لقي أَصحابهم وأنهم لا يمتنعون من خيل الحاضرة، اجتمعوا إلى حُميد بن حُريث بن بحدل فسار بهم حتى نزل تدمر، وبه بنو نُمير، وقد كان بين النميريين خاصةً وبين الكلبيين الذين بتدمرَ عقدٌ ومعَ ابن بحدلٍ ابنُ بَعَّاج الكلبيّ، فأَرسلت بنو نُمير رُسُلاً إلى حُميد يُناشدونه الحُرمة، فوثب عليهم ابن بعاج الكلبيّ، فذبحهم، وأرسلوا إليهم: إنا قد قطعنا الذي بينا وبينكم، فالحقوا بما يسعكم منَ الأرض، فالتقوا فقتل ابن بَعَّاج، وظُفر بالنميريين فقتلوا قتلاً ذريعاً، وأُسروا فقال راعي الإِبل في قتل ابن بَعَّاج ولم يذكر غيره منَ الكلبيين:

يجيء ابنَ بعاجٍ نسورٌ كأنها مجالس تبغي بَيعةً عندَ تاجرِ
تُطيف[٤] بكَلْبيٍّ عليه جَدِيَّةٌ[٥] طويل القُرَا[٦] يقذفنه في الحناجرِ
يقول له مَنْ كان يعلم علمه كذاك انتقام اللَّه من كل فاجرِ
[الطويل]

وقد كان زفرُ بنُ الحارث لما أغار عمير بن الحُباب على الكلبيين، قال يُعَيّرهم بقوله:

يا كلبُ قد كلِبَ الزمانُ عليكُمُ وأَصابكم مني عذابٌ مرسلُ

(١) الذحول، الواحد ذحل: الثارات. (٢) أشحنوا: ملؤوا.
(٣) أهل القرار: سكّان المدن الذين اتّخذوا من البيوت استقراراً لهم.
(٤) تُطيف: تُحيط.
(٥) الجديَّة من الدماء: ما التصق بالجسد من الدماء وتجمّد.
(٦) القرا: الظهر.

إن الـسـمـاوة لا سـمَـاوَةَ[١] فـالـحـقـي بـمـنـابـت الـزيـتـون وابْـنَـي بـحـدلِ[٢]
وبـأرض عَـكٍّ والـسـواحـلِ إنَّـهـا أرضٌ تَـذوب بـهـا الـلـقـاحُ وتُـهـزَلُ
[الكامل]

حميد بن بحدل يشن الغارة على بوادي قيس:

فجمع لهم حُميد بن الحريث بن بحدل. ثم خرج يُريد الغارة على بوادي قيس، فانتهى إلى ماء لبني تغلب، فإذا النساءُ والصبيان يبكون. فقالت لهمُ النساء وهن يحسبنهم قيساً: ويحكم، ما ردكم إلينا، فقد فعلتم بنا بالأمس ما فعلتم، فقالت لهم كلب: ومالكم؟ فقالوا: أَغار علينا بالأمسِ عمير بن الحباب فقتل رجالنا واستاق أَموالنا، ولم يَشكُكن أن الخيلَ خيلُ قيس، وأَن عُميراً عاد إليهن، فقال بعضُ كلب لحميد: ما تُريد من نِسوة قد أُغير عليهن وحُربن، وصبية يتامى، وتدع عُميراً، فاتبعوه، فبينا هم يسيرون إذ أخذوا رجلاً ربيئة[٣] للقوم، فسألوه فقال لهم: هذا الجيش هاهنا والأموال، وقد خرج عُمير في فوارسَ يُريد الغارة على أهل بيت من بني زهير بن جَناب، أَخبر عنهم مخبر، فأَقام حميدٌ حتى جَنَّ عليه الليل[٤]، ثم بيّت القوم بَياتاً، وقال حُميد لأَصحابه: شعاركم: نحن عبادُ اللَّه حقاً، فأَصابوا عامة ذلك العسكر، ونجا فيمن نجا رجلٌ عريانُ قذف ثوبه وجلس على فرس عُري، فلما انتهى إلى عمير قال عمير؟ قد كنت أسمع بالمدينة بلاءَ نذير العُريان فلم أره، فهو هذا، ويلك ما لك؟ قال: لا أدري غير أنه لقينا قومٌ فقتلوا من قتلوا وأَخذوا العسكر، فقال: أَتعرفهم؟ قال: لا، فقصد عميرٌ القوم، وقال لأَصحابه: إن كانوا الأعاريبَ فسيسارعون إلينا إذا رأَوْنا، وإن كانت خيول أَهل الشأم فستقف، وأَقبل عُمير فقال حميد لأَصحابه: لا يتحرَّكنَّ منكم أحد وانصبوا القنا، فحمل عمير حملةً لم تحركهم، ثم حمل فلم يتحركوا، فنادى مراراً: ويحكم، من أنتم؟ فلم يتكلموا، فنادى عمير أصحابه: ويلكم خيلُ بني بحدل والأمانةِ، وانصرَف على حاميته، فحمل عليه فوارس من كلب يطلبونه، ولحقه مولىً لكلب يقال له شقرون، فاطَّعنا، فجُرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسيا إلى زفر، ورجع حميدٌ إلى من ظفر به منَ الأسرى والقتلى، فقطع سِبالهم[٥] وأُنُفهم، فجعلها في خيط، ثم ذهب بها إلى الشام. وقال قائل: بل بعث

(١) السماوة: موضع بين الكوفة والشام، وهي ديار بني كلب.
(٢) في البيت: إقواء، روي القصيدة مرفوع، واللام هنا مكسورة.
(٣) ربيئة القوم: طليعة الجيش. (٤) جنّ عليه الليل: أدركته ظلمته.
(٥) السبال، بكسر السين، الواحدة سبلة: ما على الشارب من شعر ومقدّمة اللحية.

بها إلى عمير، وقال: كيف ترى؟ أَوقعي أم وَقعُك؟ فقال في ذلك سِنان بن جابرٍ الجُهَنيُّ:

لقد طار في الآفاق أنّ ابن بحدلٍ ... حميداً شفى كلْباً فقرَّت عيونُها
وعرَّف قيساً بالهوان ولم تكن ... لِتنزعَ إلَّا عندَ أَمرٍ يُهينُها
فقلتُ له: قيسُ بن عيلانَ إنَّها ... سريع ـ إذا ما عضَّتِ الحربُ ـ لينُها
سما بالعِتاق الجردِ[١] من مرجِ راهطٍ ... وتدمُرَ يَنوي بذلها لا يصونُها[٢]
فكان لها عرضُ السماوة ليلةً ... سواءٌ عليها سَهلها وحزُونُها[٣]
فمن يحتمِلْ في شأن كلبٍ ضغينةً ... علينا إذا ما حان في الحربِ حينُها[٤]
فإنّا وكلباً كاليدين متى تَضَعْ ... شِمالكَ في شيء تُعنها يَمينُها
لقد تُركت قَتلى حُميدِ بن بحدل ... كثيراً ضواحيها قليلاً دَفينُها
وقيسيَّةٍ قد طلَّقتها رماحنا ... تلفَّتُ كالصيداء[٥] أَودَى جنينُها[٦]

[الطويل]

وقال سِنان أَيضاً في هذا الأمر بعد ما أوقع ببني فزارةَ:

يا أُختَ قيسٍ سلي عنَّا علانيةً ... كي تُخبري من بيانِ العِلم تبيانا
إنّا ذوو حسبٍ مالٍ ومكرُمةٍ ... يومَ الفخارِ وخيرُ الناسِ فُرسانا
منا ابنُ مُرَّة عمروٌ قد سمعتِ به ... غَيث الأَرامل لا يؤذَينَ ما كانا
والبحدليُّ الذي أرْدت فوارُسه ... قيساً غداةَ اللِّوي[٧] من رمل عَدْنانا
فغادرَت حلبَساً[٨] منها بمعترَكٍ[٩] ... والجدعَ مُنعفراً لم يُكس أَكفانا
كائِن تركنا غداةَ الفاه من جَزرٍ[١٠] ... للطير منهم ومن ثَكلى[١١] وثَكلانا

---

(١) الجرد العتاق: القصيرة الشعر، والعرب يحمدون ذلك في خيولهم ذوات الأصول الكريمة.
(٢) يصونها: يحفظها.
(٣) الحزون، الواحد حزن: ما ارتفع من الأرض وصلب من منحدرات.
(٤) الحين: الوقت.
(٥) الصيداء من النساء: التي لا تُحسن الالتفات من داء أصابها.
(٦) الجنين: ما في بطن الأم من مخلوق.
(٧) اللوى: موضع.
(٨) الحلبس من الرجال: الشجاع البطل.
(٩) المعترك: ميدان المعركة.
(١٠) الجزر: المذبوح.
(١١) الثكلى من النساء: من فقدت عزيزاً عليها كالزوج والأخ والولد.

ومـن غـوانٍ[١] تُـبـكّـي لا حـمـيـمَ[٢] لـهـا بـالـفـاهِ تـبـكـي بـنـي عـمٍّ وإِخـوانـا

[البسيط]

فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان وعبد اللَّه ومصعبٌ يومئذٍ حيَّان، وعند عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل وعبدُ اللَّه بن مَسعَدةَ بن حَكم الفزاريّ وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدةَ: ادنُ فقال ابن مسعدة: لا واللَّهِ، لقد أوقع حُميد بسُليم وعامر وقعةً لا ينفعني بعدَها طعامٌ حتى يكون لها غِيَرٌ، فقال له حسان: أَجزعت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية، فأَصبنا منكم يوم المرج وأَغار أهل قرقيسياء بالحاضرة على البادية بغير ذنب؟ فلما رأَى حُميد ذلك طلب بثأر قومه، فأَصاب بعض ما أصابهم، فجزعت من ذلك، وبلغ حُميداً قولُ ابن مسعدةَ، فقال: واللَّهِ لأشْغلنه بمن هو أقرب إِليه من سليم وعامر.

حميد ينتقم من عبد اللَّه بن مسعدة:

فخرج حُميد في نحو من مائتي فارس ومعَه رجلان من كلب دليلان حتى انتهى إلى بني فزارةَ أهل العمود لخمسَ عشرةَ مضت من شهر رمضانَ، فقال: بعثني عبدُ الملك بن مروان مصدِّقاً فابعثوا لي كل من يُطيق أن يلقانا، ففعلوا، فقتلهم أو منِ استطاع منهم، وأَخذ أَموالهم فبلغ قتلاهم نحواً من مائة ونيّف، فقال عُويف القوافي:

مَـنَـا الـلَّـهُ أَن أَلـقـى حـمـيـد بـن بـحـدلٍ بـمـنـزلـة فـيـهـا إلـى الـنّـصـف مُـعـلـمـا

لـكـيـمـا نُـعـاطـيـه ونَـبـلـو بـيـنـنـا سُـريـجـيَّـة[٣] يُـعـجـمّـن في الـهـام مـعـجـمـا

ألا لـيـت أَنـي صـادفـتـنـي مَـنـيّـتـي ولـم أرَ قـتـلـى الـعـام يـا أُمَّ أَسـلـمـا

ولـم أرَ قـتـلـى لـم تـدَع لـي بـعـدَهـا يَـديـن فـمـا أرجـو مـنَ الـعـيـش أَجـذَمـا[٤]

وأُقـسِـم مـا لـيـث بـخَـفَّـانَ خـادرٌ بـأَشـجَـع مـن جـعـدٍ جَـنـانـا ومُـقـدَمـا

[الطويل]

يعني الجعد بن عمرانَ بن عُيينةَ وقُتل يومئذٍ.

أسماءُ بن خارجةَ يشكو حميداً إِلى عبد الملك:

فلما رجع عبدُ الملك منَ الكوفة وقُتِل مصعبٌ لحقهُ أسماءُ بن خارجةَ بالنَّخيلة

(١) غوان، الواحدة غانية: التي اغتنت بزوجها عن الرجال، أو التي اغتنت بجمالها عن التزيين.
(٢) الحميم: الحبيب، العاشق.
(٣) السريجية من السيوف: هي المنسوبة إلى سُريج، وهو حدّاد كان يقوم بصناعتها.
(٤) الأجذم: المقطوع.

فكلَّمه فيما أتى حميدٌ به إلى أهل العمود من فزارةَ وقال: حدَّثنا أنه مصدِّقك وعاملك، فأجبناك، وبك عُذنا، فعليك وفي ذِمتك ما على الحرِّ في ذمته، فأَقِدْنا على قضاعيٍّ سكَّير، فأَبى عبد الملك، وقال: ٱنظر في ذلك ٱستشِر. وحُميد يَجحد[١] وليست لهم بَيِّنة فوداه[٢] ألف ألف ومائتي ألف، وقال: إِني حاسِبها في أَعطيات قُضاعة، فقال في ذلك عمرو بن مِخلاةَ الكلبيُّ.

خُذوها يا بني ذُبيان عقلاً ... على الأجياد واعتقدوا الخداما[٣]
دراهم من بني مروان بيضاً ... يُنجِّمها لكم عاماً فعاما
وأَيقنَ أنه يومٌ طويل ... على قيسٍ يُذيقهمُ السِّماما
ومُختَبٌّ أمام القوم يسعى ... كسِرحان[٤] التَّنوفة[٥] حين ساما[٦]
رأَى شخصاً على بلد بعيد ... فكبَّر حين أبصره وقاما
وأَقبل يَسأل: اليُسرى إلينا ... فقال: رأيت إِنساً أو نعاما
وقال لخيله سيري، حميدٌ ... فإِن لكل ذي أَجل حِماما[٧]
فما لاقيتُ من شمخ وبَدر ... ومُرَّة فاتركي خَطباً حُطاما
بكل مقلَّص[٨] عبلٍ[٩] شواه[١٠] ... يدقُّ بوَقع نابيه اللجاما
وكل طِمِرَّة[١١] مَرَطى[١٢] سَبوحٍ[١٣] ... إذا ما شدَّ فارسُها الجِزاما
وقائلةٍ على دَهَش وحُزن ... وقد بلَّت مدامعُها اللِّثاما
كأَن بني فزارةَ لم يكونوا ... ولم يرعَوْا بأَرضهمُ الثُّماما[١٤]
ولم أرَ حاضراً منهم بِشاءٍ ... ولا مَن يملك النّعم[١٥] الرُّكاما[١٦]

[الوافر]

---

(١) يجحد: ينكر.
(٢) وداهم: دفع ديتهم.
(٣) الخدام، الواحدة خدمة: الخلخال.
(٤) السرحان: الذئب.
(٥) التنوفة: المفازة حيث لا أنيس ولا ماء.
(٦) سام: خرج قاصداً الصيد.
(٧) الحِمام، بكسر الحاء: الموت.
(٨) المقلّص: المشرف الطويل القوائم.
(٩) العبل: الضخم والسمين.
(١٠) الشوى: اليدان والرجلان.
(١١) الطمرة من الخيول: المتوثبة للعدو.
(١٢) المرطى: السريعة في عدوها.
(١٣) السبوح من الخيول: التي كأنها تسبح في عدوها.
(١٤) الثمام، بضم الثاء: ضرب من النباتات ضعيف.
(١٥) النعم: الماشية.
(١٦) الركام: الكثير العدد.

فزارةُ تشتري بالدية سِلاحاً وتنتقم لنفسها:

قال: فلما أخذوا الدية انطلقت فزارةُ فاشترت خيلاً وسِلاحاً، ثم استتبعت سائر قبائل قيس، ثم أغارت على ماء يُدعى بناتِ قَيْن، يجمع بطوناً من بطون كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبد وُدّ وبنو عُليم بن جناب. وعلى قيس يومَئذٍ سعيد بن عيينةَ بن حصن بن حذيفةَ بن بدر، وحلحلة بن قيس بن الأشيم بن يَسار أحد بني العُشراء، فلما أَغاروا نادوا بني عُليم: إنَّا لا نطلبكم بشيء، وإنما نطلب بني عبدِ وُدٍّ بما صنع الدليلانِ اللّذانِ حملا حميداً وهما المأمورُ ورجل آخر (نسى) ـ اسمه أبو أيوب ـ فقتل منَ العَبديينَ تسعةَ عشرَ رجلاً، ثم مالوا على العُلييمين فقتلوا منهم خمسين رجلاً، وساقوا أموالاً، فبلغ الخبرُ عبد الملك، فأَمهل حتى إذا وَليَ الحجاجُ العراقَ كتب إليه فبعث إليه سعيد بن عيينةَ وحلحلة بن قيس معَهما نفر منَ الحرس، فلما قدم بهما عليه قذفهما في السجن وقال لكلب: واللَّهِ لئن قتلتم رجلاً لأُهرِيقنَّ دماءكم، فقدم عليه من بني عبد ودّ عياض ومعاوية ابنا ورد ونعمان بن سُويد وكان سويدٌ أبوه ـ ابنُ مالك ـ يومَئذٍ أشرفَ من قُتل يومَ بنات قين، وكان شيخ بني عبد ود فقال له النعمان: دماؤُنا يا أميرَ المؤمنين، فقال له عبد الملك: إنما قُتل منكم الصبيُّ الصغيرُ والشيخ الفاني، فقال النعمان: قُتل منا من لو كان أخاً لأبيك لاختير عليك في الخلافة، فغضب عبد الملك غضباً شديداً، فقال له معاوية وعياض، ابنا وزر يا أَميرَ المؤمنينَ: شيخٌ كبيرٌ موتور.

عبد الملك يعرض الدية:

فأَعرض عنه عبد الملك وعرض الدِّية، وجعل خالدُ بن يزيدَ بن معاويةَ ومن وَلدته كلبٌ يقولون: القتل، ومن كانت أمُّه قيسية من بني أميةَ يقولون: لا، بل الدية كما فُعِل بالقوم، حتى ارتفع الكلام بينهم في المقصورة فأَخرجهم عبد الملك ودفع حَلحَلةَ إلى بعض بني عبد ودّ، ودفع سعيد بن عُيينةَ إلى بعض بني عليم وأقبل عليهما عبد الملك فقال: أَلم تأْتياني تستعدياني فأَعديتكما وأَعطيتكما الديّة ثم انطلقتما فأخفرْتما ذِمّتي وصنعتما ما صنعتما؟ فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويرَقِّقه فضرب حَلحلةُ صدره وقال: أَترى خضوعَك لابن الزرقاء نافعَك عنده، فغضب عبد الملك، وقال: اصبرْ حلحلةُ. فقال له: أصبرُ من عَودٍ بجنبَيهِ جُلَب[1].

(١) الجُلب، بضم الجيم، الواحدة جُلبة: عيدان الرحل.

فقُتلا، وشقَّ ذلك على قيس، وأعظمَه أَهلُ البادية منهم والحاضرة، فقال في ذلك عليُّ بن الغدير الغَنويُّ:

لحلحَلةَ القتيلِ ولابن بدرٍ ... وأهل دمشقَ أَنجيةِ[1] تبينُ[2]
فبعد اليوم أَيامٌ طِوال ... وبعد خمود فتنتكمْ فتونُ
وكلُّ صنيعة رصدٌ لِيومٍ ... تحلُّ به لصاحبه الدُّيون
خليفةُ أمّةٍ قُسِرت عليه ... تخمَّط[3] واستخفَّ بمن يَدينُ
فقد لقِيا حميدَين المنايا ... وكل فتًى ستشعَبه[4] المنونُ

[الوافر]

وقال رجل من بني عبد ودّ:

نحن قتلنا سيِّدَيهم بشخينا ... سُويدٍ فما كانا وفاءً به دما

[الطويل]

وقال حَلحلةُ، وهو في السجن:

لعمري لئن شيخا فزارةَ أُسلِما ... لقد خَزيت قيسٌ وما ظفِرت كلبُ

[الطويل]

وقال أَرطاة بن سُهيَّةَ يحرّض قيساً:

أَيقتلُ شيخُنا ويُرى حُميدٌ ... رَخيَّ البال مُنتشياً خُمُورا؟!
فإِن دُمنا بذاك وطال عمرٌ ... بنا وبكم ولم نسمع نَكيرا
فناكت أُمَّها قيسٌ جِهاراً ... وعَضَّت بعدَها مُضَرُ الأُيورا

[الوافر]

وقالت عُميرةُ بنت حسان الكلبية بفعل حميد في قيس:

سَمت كلبٌ إلى قيس بجمع ... يهدُّ مناكبَ الأَكَم الصِّعابِ
بذي لَجَبٍ[5] يدق الأرض حتى ... تُضايق من دعا بِهلا وهابِ[6]
نَفين إِلى الجزيرة فَلَّ قيس ... إلى بَقٍّ بها وإِلى ذُبابِ

(١) الأنجية، الواحد نجيّ: هم الجمع من الناس يتسارون همساً.
(٢) تبين: تظهر. (٣) تخمّط: تكبّر.
(٤) ستشعبه المنون: سيخطفه الموت.
(٥) اللجب: ضجيج أصوات المتقالين، عدا عن أصوات الخيول.
(٦) هلا: زجر للخيول، وهاب: زجر للإبل عند انطلاق عدوها.

وأَلـفـيـنـا هَـجـيـن بـنـي سُـلـيـم يُـفـدي الـمُـهْـرَ مـن حُـب الإِيـابِ
فـلـولا عُـدْوةُ الـمـهـر الـمـفـدَّى لأَبَـت وأَنـت مـنـخـرقُ الإِهـابِ
ونـجَّـاه حـثـيـثُ الـركـضِ مـنـا أُصـيـلاناً ولـونُ الـوجـه كـابـي[١]
وآضَ[٢] كـأَنـه يُـطـلـى بِـورسٍ[٣] ودُق هُـوِيَّ كـاسـرةٍ عُـقـابِ
حـمِـدتُ الـلَّـه إذ لـقَّـي سُـلـيـمـاً عـلـى دهـمـان صـقـرِ بـنـي جـنـابِ
تـركـن الـرُّوق[٤] مـن فـتـيـات قـيـسٍ أَيـامـى[٥] قـد يـئـسـن مـنَ الـخـضـابِ
فـهـن إِذا ذكـرن حُـمـيـدَ كـلـبٍ نَـعـقـن بـرنَّـة بـعـد انـتـخـابِ
مـتـى تـذكـر فـتـى كـلـب حـمـيـداً تَـر الـقـيـسـيَّ يـشـرَق بـالـشـرابِ

[الوافر]

عُويف القوافي يمدح عُيينةَ رغم حقدِه عليه:

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن ابن أَخي الأصمعيّ عن عمه، قال:

أَنشدني رجل من بني فزارةَ لعُويف القوافي ـ وهو عُويف بن مُعاوِيةَ بن عُقبة بن حِصن بن حُذيفةَ الفزاريّ: وكانت أخته عند عُيينةَ بن أَسماءَ بن خارجةَ فطلّقها، فكان عُويف مراغماً لعُيينةَ، وقال: الحُرة لا تُطلق لغير ما بأس، فلما حَبس الحجاجُ عيينةَ وقيده، قال عُويف:

مـنـع الـرُّقـادَ فـمـا يُـحـسُّ رُقـادُ خـبـرٌ أَتـاك ونـامـتِ الـعـوَّادُ
خـبـرٌ أَتـانـي عـن عُـيـيـنـةَ مُـوجـع ولـمـثـلـه تـتـصـدَّع الأكـبـادُ
بـلـغ الـنـفـوسَ بـلاؤهـا فـكـأنـنـا مـوتـى وفـيـنـا الـروح والأجـسـادُ
سـاء الأقـاربَ يـومَ ذاك فـأَصـبـحـوا بـهـجـيـن قـد سُـروا بـه الـحُـسـادُ
يـرجـونَ عـثـرة جَـدّنـا[٦] ولـوَ انّـهـم لا يـدفـعـون بـنـا الـمـكـارهَ بـادوا
لـمـا أَتـانـي عـن عُـيـيـنـةَ أَنـه عـانٍ[٧] تَـظـاهـرُ فـوقـه الأقـيـادُ

(١) اللون الكابي: الشاحب الكئيب. (٢) آضَ: صار.
(٣) الورس: نبات كالسمسم أصفر يُصبغ به وتتَّخذ منه الغمرة أي الزعفران.
(٤) الروق: الجميلات.
(٥) الأيامى: اللواتي فقدن أزواجهن أو الأعزاء عليهن.
(٦) الجَدّ، بفتح الجيم: الحظّ.
(٧) العاني: الأسير المقيَّد بالسلاسل.

نَخَلت[١] له نفسي النصيحةَ إنه عند الشدائد تذهبُ الأحقادُ
وذكرت أيّ فتًى يَسد مكانه بالرِّفد حين تقاصرُ الأَرفادُ
أَمْ من يُهين لنا كرائمَ ماله ولنا إذا عدْنا إليه مَعادُ
لو كان من حضنٍ[٢] تضاءل رُكنُهُ أَو من نَضادَ بكت عليه نضادُ[٣]

[الكامل]

عُويف يمدح عبد الرحمٰن بن محمد بن مروان:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عمرُ بن شَبَّةَ، قال: قال العتبيّ.

سأَل عويف القوافي في حَمالةٍ، فمر به عبد الرحمٰن بن محمد بن مروان وهو حديث السن، فقال له: لا تسأل أحداً وصِرْ إليَّ أَكْفِك، فأَتاه فاحتملها جمعاء له، فقال عُويف يمدحه:

غلامٌ رماه اللَّه بالخير يافعاً له سيمياءٌ[٤] لا تشقُّ على البصرْ
كأَنّ الثّريا عُلقت في جبينه وفي خده الشِّعرى وفي جيده القمرْ
ولما رأَى المجد استُعيرت ثيابُه تردى رداءً واسع الذيل واتّزرْ
إذا قيلتِ العوراءُ[٥] ولَّى كأَنه ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصرْ
رآني فآساني ولو صدَّ لم أَلُمْ على حين لا بادٍ يرجَّى ولا حضرْ

[الطويل]

قال أبو زيد: هذه الأبيات لابن عنقاء الفزاريّ، يقولها في ابن أخ له كان قومٌ منَ العرب أغاروا على نَعَم ابن عنقاءَ فاستاقوها، حتى لم يبق منها شيء، فأَتى ابن أخيه فقال له: يا ابن أَخي، إنه قد نزل بعمك ما ترى، فهل من حلوبة؟ قال: نعم يا عمّ، يروح المالُ وابلغْ مرادَك، فلما راح ماله قاسمه إِياه وأَعطاه شطره، فقال ابن عنقاء:

رآني على ما بي عميلةُ فاشتكى إِلى ماله حالي أَسرَّ كما جهرْ

[الطويل]

---

(١) نخلت له النصيحة: أخلصت.
(٢) حضن: جبل بأعلى نجد.
(٣) نضاد: جبل في العالية وجبل لغنى.
(٤) السيمياء: العلامة، البهجة والحسن، الخلق الحسن.
(٥) العوراء: الفاحش من القول.

وذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات، قال أبو زيد: وإنما تمثل بها عويف.

رثاؤه لسليمانَ ومدحه لعمرَ بنِ عبد العزيز:

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن عليّ، قالا: حدثنا الغلابيّ قال: حدثنا محمد بن عُبيد اللَّه، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان، قال:

لما مات سليمانُ بن عبد الملك وولي عمرُ بنُ عبد العزيز الخِلافة، وفد إليه عُويف القوافي وقال شعراً رثى فيه سليمانَ ومدح عمرَ فيه، فلما دخل إليه أنشده:

لاح سحابٌ فرأينا برقَهُ ... ثم تدانى فسمعنا صَعقَهُ
وراحتِ الريح تُزجِّي[1] بُلقَهُ[2] ... ودُهمه ثم تُزجي وُرقَهُ
ذاك سقى قبراً فَروَّى وَدْقَهُ[3] ... قبر امرئ عظَّم ربِّي حقَّهُ
قبر سليمانَ الذي من عَقَّهُ ... وجحد الخَير الذي قد بقَّهُ[4]
في المسلمين وجِلَّهُ وَدِقَّهُ ... فارَق في الجحود منه صدقَهُ
قدِ ابتلى اللَّه بخيرٍ خلقَهُ ... أَلقى إلى خير قريش وسْقَهُ
يا عمرَ الخيرِ المُلقَّى وَفقَهُ ... سُميت بالفاروق فافرُقْ فرقَهُ
وأرزقْ عِيال المسلمين رِزقَهُ ... واقصد إلى الجود ولا تَوَقَّهُ
بحرُك عذبُ الماء ما أَعقَّهُ[5] ... ريُّك فالمحروم من لم يُسقَهُ

[الرجز]

فقال له عمر: لسنا منَ الشعر في شيء، وما لَك في بيت المال حقٌ، فألحّ عُويف يسأله فقال: يا مُزاحم، انظر فيما بقي من أَرزاقنا فشاطِره إياه، ولنصبرْ على المضيق إلى وقت العطاء، فقال له عبد الرحمٰن بن سليمانَ بن عبد الملك: بل توفر يا أَميرَ المؤمنين، وعليَّ رضا الرجل، فقال: ما أولاك بذلك، فأَخذ بيده وانصرف به إلى منزله، وأَعطاه حتى رضي.

صـوت

صفراء يطويها الضجيع لصُلْبها ... طَيَّ الحِمالةِ ليِّنٌ مَثناها

(١) تُزجي: تسوق.
(٢) بُلقه: سواده وبياضه.
(٣) ودقه: مطره.
(٤) بقّ العطاء: أوسعه.
(٥) أعقّ الماء: استدرَّه.

نعم الضجيعُ إذا النجوم تغوَّرت بالغَور أُولاها على أُخراها
عذبٌ مُقبَّلها[١] وثِير ردفها عبْلٌ[٢] شَواها[٣] طيِّبٌ مَجناها
يا دارَ صهباءَ التي لا أنتهي عن حُبها أَبداً ولا أنساها

[الكامل]

الشعر لعبد اللَّه بن جحشٍ الصعاليك، والغناء فيه لعليّ بن هشام ثقيل أَول بالوسطى من كتاب أَحمدَ بنِ المكيّ.

(١) مقبَّلها: فمها.
(٢) عبل: ضخم، سمين.
(٣) الشوى: اليدان والرجلان.

أَخبار عبد اللَّه بن جحش

خبر زواجه بصهباء:

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ، قال: حدثنا عمر بنُ شَبَّةَ، قال: حدثني محمد بن يحيى أَبو غسان، عن غسان بن عبد الحميد، قال:

كان بالمدينة امرأة يقال لها صهباءُ من أحسن الناس وجهاً: وكانت من هُذيل فتزوجها ابن عم لها، فمكث حيناً مَعها لا يقدر عليها من شدة ارتتاقها[١]، فأَبغضته وطالبته بالطلاق، فطلقها، ثم أَصاب الناسَ مطرٌ شديد في الخريف، فسال العقيقُ سيلاً عظيماً، وخرج أَهل المدينة، وخرجت صهباء معَهم، فصادفت عبد اللَّه بن جحش وأَصحابَه في نزهة، فرآها وافترقا، ثم مضت إِلى أقصى الوادي فاستنقعت[٢] في الماء وقد تفرق الناس، وخفُّوا فاجتاز بها ابن جحش فرآها، فتهالك عليها وهام بها، وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يُقال لها قُطْنة، كانت تداخل القرشيات وغيرهن، فلقيها ابن جحش فقال لها: اخطبي عليَّ صهباء، فقالت: قد خطبها عيسى بن طلحةَ بن عبيد اللَّه وأَجابوه، ولا أراهم يختارونك عليه، فشتمها ابن جحش وقال لها: كل مملوك له فهو حرّ لئن لم تحتالي فيها حتى أَتزوجها لأَضربنّكِ ضربة بالسيف، وكان مِقداماً جريئاً جسوراً ففرِقت[٣] منه فدخلت على صهباءَ وأَهلِها، فتحدثت معهم، ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء: ما باله فارقها؟ فأخبرتها خبرها، وقالت: لم يقدر عليها وعجز عنها، فقالت لها ـ وأسمعت صهباء ـ إن هذا ليعتري كثيراً منَ الرجال فلا ينبغي أن تتقدموا في أمرها إلا على من تختبرونه، وأَما واللَّهِ لو كان ابن جحش لصهباءَ لثقبها ثقب اللؤلؤ، ولو رُتقت بحجر، ثم خرجت من عندهم، فأَرسلت إِليها صهباء: مُري ابن جحش فليخطبْني، فلقيته قطنة فأَخبرته الخبر، فمضى فخطبها، فأَنعمت له، وأَبَى أَهلها إلا عيسى بن طلحةَ، وأبت هي إلا ابن جحش، فتزوجته ودخل بها وافتضّها، وأَحبّ كل واحد منهما صاحبه فقال فيها:

---

(١) ارتتاقها: التآمها، يصعب فضّها، وفضها: التزوُّج منها.

(٢) استنقعت في الماء: استبردت عارية.

(٣) فرقت: خافت، أرعبت.

نِعْمَ الضجيعُ إذا النجومُ تغوّرت ... بالغور أولاها على أُخراها
عذبٌ مُقبّلها وثيرٌ ردفها ... عبلٌ شواها طيب مَجناها
صفراءُ يطويها الضجيع لجنبها ... طيّ الحِمالة[1] ليِّنٌ مثناها
لو يستطيع ضجيعها لأجنَّها ... في الجوف حُبّ نسيمها ونشاها[2]
يا دارَ صهباءَ التي لا أنتهي ... عن ذكرها أبداً ولا أنساها

[الكامل]

عبد الملك يعجب بشعر عبد اللّه ويطرد ابنه لأنه ضيّع كتاب أبيه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدثني عبد الرحمن بن أَحمدَ بنِ زيد بن الفرج، قال: حدثني محمد بن عبد اللّه، قال:

كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعر عبد اللّه بن جحش، فكتب إليه يأْمره بالقدوم عليه، فورد كتابه وقد تُوفي، فقال إخوانه لابنه: لو شخصت إلى أمير المؤمنين عن إِذنه لأبيك لعله كان ينفعك، ففعل، فبينا هو في طريقه إِذ ضاع منه كتاب الإذن، فهمّ بالرجوع، ثم مضى لوجهه، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أَبيه فأَخبره بوفاته، ثم سأله عن كتابه فأَخبره بضياعه، فقال له: أَنشدني قول أَبيك:

صوت

هل يُبْلغَنها السلام أَربعةٌ؟ ... مني وإن يفعلوا فقد نفعُوا
على مِصكَّيْن[3] من جمالهمُ ... وعنتريَسين[4] فيهما سطعُ[5]
قرَّب جيرانُنا جمالَهمُ ... صبحاً فأَضحوا بها قدِ انتجعُوا[6]
ما كنت أدري بوشْكِ بينِهمُ ... حتى رأَيت الحُداة قد طلعُوا
قد كان قلبي ـ والعينُ تُبصرهمْ ... لما تولى بالقوم ـ يَنصدعُ[7]

(١) الحمالة: علاقة السيف.
(٢) النشا: النسيم الرقيق الطيب الرائحة.
(٣) المصك من الإبل: القوي الشديد.
(٤) العنتريس: من النياق، الصلبة القوية.
(٥) السطع: العنق الطويل الممدود.
(٦) إنتجعوا: إنتقلوا للسكن والاستفادة من الكلإ والماء.
(٧) ينصدع: يتشقق.

ساروا وخُلِّفت بعدَهمْ دنفاً[١] أَليس باللَّه بئس ما صنعُوا؟!

[المنسرح]

قال: لا واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ما أَرويه، قال: لا عليك، فأَنشدني قول أَبيك:

صوت

أَجدَّ اليومَ جيرتُك الغِيارا رواحاً أَم أَرادوه ابتكارا
بعينك كان ذاك وإن يبينوا[٢] يزدْك البينُ صدْعاً مُستطارا
بلى أَبقتْ منَ الجيران عندي أُناساً ما أُوافقُهم كُثارا
وماذا كثرةُ الجيرانِ تُغني إذا ما بان[٣] من أَهوى فَسَارا

[الوافر]

قال: لا واللَّهِ ما أرويه يا أميرَ المؤمنين، قال: ولا عليك، فأَنشدني قول أَبيك:

دارٌ لصهباءَ التي لا ينْثني عن ذكرها قلبي ولا أَنساها
صفراءُ يطويها الضجيع لصُلبها طيَّ الحِمالة لينٌ مثناها
لو يستطيعُ ضجيعُها لأجنَّها في القلب شهوةَ ريحها ونشاها

[الكامل]

قال: لا واللَّهِ يا أَميرَ المؤمنين ما أرويه، وإن صهباءَ هذه لأُمّي: قال: ولا عليك، قد يُبغض الرجل أن يُشَّببَ بأُمه، ولكن إذا نسب بها غيرُ أبيه، فأُفٍّ لك، ورحم اللَّه أباك، فقد ضيَّعت أدبه وعققته، إِذ لم ترو شعره، أخرج فلا شيء لك عندنا.

صوت

أَماطت كساء الخزِّ عن حُرِّ وجهها وأَدنت على الخدين بُرْداً مُهلهلا
منَ اللّاءِ لم يحجُجن يبغينَ حِسْبةً ولكن ليقتلن البريءَ المغفلا
رأَتني خضيبَ الرأس شمرتُ مِئزري وقد عهدتني أَسودَ الرأس مُسبَلا
خطوطاً إلى اللذات أجررتُ مئزري كإجرارك الحبلَ الجواد المحجَّلا

(١) الدنف: الضنى من شدّة الحُب.
(٢) يبينوا: يرتحلوا بعيداً.
(٣) بان: رحل وبعُد.

صريعَ الهوى لا يبرح الحبُّ قائدي لشرٍّ ولم أَعدِل عن الشرِّ مَعْدلا
لدى الجمرة القُصوى فريعت وهلَّلت ومَن ريعَ في حجٍّ منَ الناس هلَّلا

[الطويل]

الشعر للعرجيّ، والغناء لعبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، ثقيل أول في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات، وهو من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ويقال: إنه أول غناء صنعه ولغرار المكيّ في الثالث وما بعدَه ثاني ثقيل عن يحيى المكي وغيره، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى معبد وإلى ابن سُريج وإلى الغريض، وفيه لإبراهيمَ لحن من كتابه غير مجنّس، وأنا ذاكر هاهنا أَخباراً لهذا الشعر من أخبار العرجيّ إذ كان أكثرُ أخباره قد مضى سوى هذه.

أَخبار العرجي

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا إسماعيلُ بن مجمِّع، عنِ المدائنيّ، عن عبيد اللَّه سليم، قال:

قال عبد اللَّه بن عمر العمريّ: خرجت حاجّاً فرأيت امرأة جميلة تتكلّم بكلام رَفَثَتْ[١] فيه، فأدنيت ناقتي منها ثم قلت لها: يا أمةَ اللَّه، أَلَستِ حاجَّة؟ أما تخافينَ اللَّه؟ فسَفَرَتْ[٢] عن وجه يبهر الشمس حُسناً ثم قالت: تأمّل يا عمّي فإِني ممن عنى العرجيُّ بقوله:

مـنَ الـلاّءِ لـم يـحـجُـجـن يـبـغـيـنَ حِـسْـبـة ولـكـن لـيـقـتـلـن الـبـريءَ الـمـغـفَّـلا

[الطويل]

قال: فقلت لها: فإِني أسأل اللَّه ألَّا يعذب هذا الوجه بالنار، قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيّب فقال: أما واللَّهِ لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اعزُبي قبحَك اللَّهُ. ولكنه ظرف عُبَّاد الحجاز.

وقد رُوِيت هذه الحكايةُ عن أبي حازم بن دينار.

أخبرني به وكيع، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب الزبيريّ، قال: حدثني عبد اللَّه بن أبي حبيش ـ وقد روى عنه ابن أبي ذئب ـ قال: بينا أبو حازم يرمي الجِمار إذ هو بامرأة مُتشعبذة يعني حاسرة، فقال لها: أيتها المرأةُ استتري، فقالت: إني واللَّهِ منَ اللواتي قال فيهن الشاعر قوله:

مـنَ الـلاءِ لـم يـحـجُـجـن يـبـغـيـنَ حِـسْـبـةً ولـكـن لـيـقـتـلـن الـبـريءَ الـمـغـفّـلا

وتـرمـي بـعـيـنـيـهـا الـقـلـوبَ ولا تَـرى لـهـا رَمـيـة لـم تُـصـم[٣] مـنـهـنّ مـقـتـلا

[الطويل]

فقال أبو حازم لأصحابه: أدعو اللَّه لهذه الصورة الحسنة ألَّا يعذِّبها بالنار.

وأبو حازم هذا هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين، قد روى عن سهل بن

(١) رفثت: نطقت ببذئ الكلام.
(٢) سفرت عن وجهها: كشفت.
(٣) لم تُصمِ مقتلاً: لم تصب مقتلاً.

سعد وأبي هُريرة وروى عنه مالك وابن أبي ذئب ونظراؤهما.

حدثني عمي: قال: حدثني الكرانيّ، قال: حدثني العمريّ، عنِ العتبيّ.

عنِ الحكم بن صخر، قال: انصرفت من منًى فسمعت زفناً[1] من بعض المحامل ثم ترنمت جارية فتغنّت:

منَ اللاءِ لم يحججن يبغينَ حِسْبةً ولكن ليقتلن البريء المغفّلا

[الطويل]

فقلت لها: أَهذا مكان هذا يرحمْكِ اللَّه؟ فقالت: نعم وإياك أن تكونه.

(١) الزفن: اللهو من رقص وغناء.

أخبار عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ

اسمه ونسبه:

عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع. والربيع ـ على ما يدّعيه أهله ـ ابنُ يونسَ بن أبي فرْوةَ، وقيل: إنه ليس ابنه، وآلُ أبي فروةَ يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط، وُجد منبوذاً، فكفله يونسُ بن أبي فروةَ وربَّاه، فلما خدم المنصور ادَّعى إِليه، وأخباره مذكورة معَ أخبار ابنه الفضل في شعر يغني به من شعر الفضل، وهو:

كنت صَبّاً وقلبيَ اليوم سالي.

ويكنى عبد اللَّه بن العباس أبا العباس.

منزلة شعره:

وكان شاعراً مطبوعاً، ومُغنياً مُحسناً، جيدَ الصنعة نادرَها، حسن الرواية، حلوَ الشعر ظريفَه، ليس منَ الشعر الجيد الجزل، ولا منَ المرذول، ولكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب من أشعار المُترفين وأَولاد النعم.

حدثني أبو القاسم الشير بابكي وكان نديماً لجدي يحيى بن محمد عن يحيى بن حازم، قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، قال: دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بين يديه أُغنيه وقدِ استعادني صوتاً فاستحسنه، فقال له محمد بن عبد الملك: هذا واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين أَولى الناس بإِقبالك عليه واستحسانك له واصطناعك إيَّاه، فقال: أجلْ، هذا مولاي وابن مولاي وابن مواليّ لا يُعرفون غير ذلك، فقال له: ليس كلّ مولىً يا أَميرَ المؤمنين بوليٍّ لمواليه، ولا كل مولىً متجمِّل بولائه يجمع ما جمع عبد اللَّه من ظرف وأدب وصِحَّة عقل وجودة شعر، فقال الحسن له: صدقت يا محمد، فلما كان منَ الغد جئت محمد بن عبد الملك شاكراً لحسن محضره، فقلت له في أضعاف كلامي: وأفرط الوزير أعزه اللَّه في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودة الشعر، وليس ذلك عندي، وإِنما أعبث بالبيتينِ والثلاثة، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير، ومحلّه في

هذا الباب المحل الرفيع المشهور، فقال: واللَّهِ يا أخي لو عرفت مقدار شعرك وقولك:

يـــــا شـــــادِنـــــاً رام إذ مـرَّ فـي الـسَّـعـانـيـن[1] قـتـلـي
يـقـول لـي: كـيـف أَصـبـحـ ـتَ كـيـف يُـصـبـح مـثـلـي

[المجتث]

لما قُلتَ هذا القول، واللَّهِ لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك: كيف يصبح مثلي، لكنت شاعراً مجيداً.

حدثني جحظة، قال: حدثني أَحمد بن الطيب، قال: حدثني حماد بن إِسحاقَ قال:

سمعت عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، يقول: أنا أول من غنّى بالكَنكَلة في الإِسلام ووضعت هذا الصوت عليها.

أَتـانـي يـؤَامـرنـي فـي الـصـبـو ح لـيـلاً فـقـلـت لـه: غـادِهـا

[المتقارب]

سبب دخوله في الغناء:

حدثني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثنا عليّ بن يحيى المنجم، قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، قال: كان سبب دخولي في الغناء وتعلُّمي إياه أني كنت أهوى جاريةً لعمتي رُقية بنت الفضل بن الربيع، فكنت لا أَقدر على ملازمتها والجلوس معَها خوفاً من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سبب منعي منها، فأَظهرت لعمتي أنني أشتهي أن أتعلم الغناء، ويكون ذلك في ستر عن جدي، وكان جدّي وعمتي في حال منَ الرقة عليَّ والمحبة لا نهايةَ وراءَها، لأن أبي تُوفي في حياة جديَ الفضل، فقالت: يا بُني وما دعاك إلى ذلك؟ فقلت: شهوةٌ غلبت على قلبي إن منِعت منها مِتُّ غَمّاً، وكان لي في الغناء طبع قويٌّ فقالت لي: أنت أعلم وما تختاره، واللَّهِ ما أُحبّ منعَك من شيء، وإني لكارهةٌ أَن تحذق ذلك وتُشهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك، فقلت: لا تخافي ذلك، فإِنما آخذ مقدار ما ألهو به، ولازمتُ الجارية لمحبتي إياها بعلّةِ الغناء، فكنت آخذ عنها وعن صواحباتها حتى تقدمت الجماعة حِذقاً، وأَقررنَ لي بذلك، وبلغت ما كنت أريد من أمر الجارية، وصرت ألازم مجلس

(١) السَّعانين: من أعياد النصارى بعد صيامهم، وهو ما يعرف بالشعانين.

جَدّي فكان يسرّ بذلك ويظنه تقرُّباً مني إليه، وإنما كان وَكْدي[1] فيه أخذَ الغناء، فلم يكن يمرُّ لإسحاقَ ولا لابن جامع ولا للزُّبير بن دحمانَ ولا لغيرهم صوتٌ إلا أخذته، فكنت سريع الأخذ، وإنما كنت أسمعه مرتين أو ثلاثاً، وقد صحَّ لي وأَحسست من نفسي قوة في الصناعة، فصنعت أول صوت صنعته في شعر العَرجِيّ:

أَماطت كِساءَ الخزّ عن حُرّ وجهها وأَدنت على الخدّين بُرداً مُهلهلا

[الطويل]

ثم صنعت في:

أَقفرَ من بعد خُلَّةٍ سَرفُ فالمنحَنَى فالعقيق فالجرفُ

[المنسرح]

وعرضتهما على الجارية التي كنت أهواها، وسألتها عمَّا عندَها فيهما، فقالت: لا يجوز أن يكون في الصنعة شيء فوق هذا، وكان جواري الحارث بن بسخُنر وجواري ابنه محمد يدخلْن إلى دارنا، فيطرحن على جواري عمتي وجواري جدي، ويأخذن أيضاً مني ما ليس عندهن من غناء دارنا، فسمعنني أُلقي هذين الصوتين على الجارية، فأَخذنهما مني، وسألن الجارية عنهما، فأخبرتهن أنهما من صنعتي، فسألنها أن تصححهما لهن ففعلت، فأخذنهما عنها، ثم اشتهر حتى غُنِّيَ الرشيدُ بهما يوماً فاستطرفهما، وسأل إسحاق هل تعرفهما؟ فقال: لا، وإنهما لمن حسَن الصنعةِ وجيِّدها ومتقنِها، ثم سأَلَ الجارية عنهما، فتوقفت خوفاً من عمتي، وحذر أن يبلغ جدي أنها ذكرتني، فانتهرها الرشيد فأخبرته بالقصة، فوجّه من وقته فدعا بجدّي فلما أحضره قال له: يا فضل، أَيكونُ لك ابنٌ يُغني ثم يبلغ في الغناء المبلغَ الذي يُمكنه مَعه أن يصنع صوتينِ يستحسنهما إسحاقُ وسائر المغنين، ويتداولهما جواري القِيان ولا تُعلمني بذلك؟ كأنك رفعت قدره عن خِدمتي في هذا الشأن، فقال له جدي: وحقِّ ولائك يا أميرَ المؤمنين ونعمتك، وإلا فأَنا نَفِيٌّ منهما بريءٌ من بيعتك وعلى العهد والميثاق والعِتق والطلاق إن كنت علمت بشيء من هذا قطّ إلا منك الساعة، فمن هذا من ولدي؟ قال: عبد اللَّه بن العباس هو، فأَحضرنيه الساعة.

موقف جَدِّه منه:

فجاء جَدي وهو يكاد ينشقُّ غيظاً: فدعاني، فلما خرجت إليه شتمني وقال: يا كلب، بلغ من أمرك ومِقدارك أن تجسر على أن تتعلم الغناء بغير إِذني، ثم زاد ذلك

(١) الوكد: القصد.

حتى صنعت، ولم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجواري في داري، ثم تجاوزتهن إلى جواري الحارث بن بسخنر، فاشتهرت وبلغ أمرُك أميرَ المؤمنين فتنكّر لي ولامني، وفضحت آباءك في قبورهم، وسقطت الأبد إلا منَ المغنيين وطبقة الخنياكرين، فبكيت غمّاً بما جرى، وعلمت أنه قد صدق، فرحمني وضمّني إليه وقال: قد صارتِ الآن مصيبتي في أَبيك مصيبتين، إحداهما به وقد مضى وفات، والأخرى بك وهي موصولة بحياتي، ومصيبةٌ باقيةُ العار عليَّ وعلى أَهلي بعدي، وبكى، وقال: عزَّ علي يا بنيَّ أن أَراك أبداً ما بقيت على غير ما أحبّ، وليست لي في هذا الأمر حيلة، لأنه أمر قد خرج عن يدي، ثم قال: جئني بعود حتى أَسمعك وأَنظر كيف أنت، فإن كنت تصلح للخدمة في هذه الفضيحة، وإلا جئته بك منفرداً وعرَّفته خبرك واستعفيته لك، فأَتيته بعود وغنيته غِناء قديماً، فقال: لا بل عن صوتيك اللّذينِ صنعتهما، فغنيته إياهما فاستحسنهما وبكى ثم قال: بطلت واللَّهِ يا بنيّ وخاب أَملي فيك، فواحزني عليك وعلى أبيك، فقلت له: يا سيدي ليتني مِتّ من قبل ما أَنكرته أَو خرست، ومالي حيلة، ولكني وحياتك يا سيدي، وإلا فعليَّ عهدُ اللَّه وميثاقُه والعِتقُ والطلاق وكل يمين يَحلِف بها حالف لازمةٌ لي لا غنيت أبداً إلا لخليفة أَو ولي عهد، فقال: قد أحسنت فيما نبَّهت عليه من هذا.

بين يدي الرشيد:

ثم ركب وأَمرني فأُحضرت فوقفت بين يدي الرشيد، وأنا أُرعَد فاستدناني حتى صرت أَقرب الجماعة إليه ومازحني، وأَقبل عليَّ وسكَّن منّي، وأَمر جَدي بالانصراف وأَومأَ إلى الجماعة فحدثوني، وسقيت أقداحاً وغنى المغنون جميعاً، فأَومأ إليَّ إسحاقُ الموصليّ بعينيه أَنِ أبدأ فغنِ إذا بلغت النوبةُ إليك قبل أن تُؤْمر بذلك، ليكونَ ذلك أَصلح وأَجود بك، فلما جاءتِ النوبة إليَّ أَخذت عوداً ممن كان إلى جنبي وقمت قائماً، واستأذنت في الغناء، فضحك الرشيد، وقال: غنِّ جالساً، فجلست وغنيت لحنيَ الأول، فطرِب واستعاده ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أنصاف، ثم غنيت الثاني، فكانت هذه حاله، وسكر فدعا بمسرور فقال له: احملِ الساعة معَ عبد اللَّه عشرة آلاف دينار، وثلاثينَ ثوباً من فاخر ثيابي، وعَيْبَةً مَملوءة طِيباً، فحمل ذلك أَجمع معي.

المعتصم يأمره أَن يعممَ الغِناء ويُكفّرَ يمينه:

قال عبد اللَّه: ولم أزل كلما أراد وليُّ عهد أن يعلم مَن الخليفة بعد الخليفة

الوالي أهو أم غيره دعاني فأَمرني بأَن أُغنِّيَ، فأَعرفه بيميني، فيستأذن الخليفة في ذلك، فإن أَذن لي في الغناء عندَه عرف أنه وليُّ عهد وإِلا عرف أنه غيره، حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أَيام المعتصم وسأله أن يأذن لي في الغناء، فأَذن لي، ثم دعاني منَ الغد فقال: ما كان غناؤك إلا سبباً لظهور سرّي وسرّ الخلفاء قبلي، ولقد هممت أن آمر بضرب رقبتك، لا يبلغني أنك امتنعت منَ الغناء عند أحد، فواللَّهِ لئن بلغني لأقتلنك فأَعتِق من كنت تملكه يومَ حلفت، وطلق من كان يُوجد عندَك منَ الحرائر واستبدل بهن، وعليَّ العوض من ذلك وأرحنا من يمينك هذه المشؤومة، فقمت وأنا لا أعقل خوفاً منه ومن غضبه فأعتقت جميع من كان بقي عندي من مماليكيَ الذين حلفت يومَئذٍ وهم في ملكي، وتصدَّقت بجملة، واستفتيت في يميني أبا يوسفَ القاضي حتى خرجت منها، وغنيت بعدَ ذلك إِخواني جميعاً، حتى اشتهر أمري وبلغ المعتصمَ خبري، فتخلّصت منه، ثم غضب عليَّ الواثق لشيء أَنكره، وولي الخلافة وهو ساخط عليَّ فكتبت إليه:

أذكـر أَمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ وسـائـلـي أَيـام أرهـب سـطـوة الـسـيـفِ
أدعـو إلـهـي أن أراك خـلـيـفـة بـيـن الـمـقـام ومـسـجـد الـخـيْـفِ

[الكامل]

فدعاني ورضي عني.

نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ، بخطه.

غيظ أبيه منه:

حدثني سليمانُ بن أبي شيخ، قال: دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذاتَ يوم، وهو مُختلط مغتاظ، وابنه عبد اللَّه عندَه، فقلت له: مالك أَمتع اللَّه بك؟ قال: لا يُفلح واللَّهِ ابني عبد اللَّه أبداً، فظننته قد جني جِناية، وجعلت أَعتذر إِليه، فقال: ذنبه أَعظم من ذلك وأَشنع، قلت: وما ذنبه؟ قال: جاءني بعض غِلماني فحدثني أنه رآه بقطربُّل يشرب نبيذاً لذَّاذيّاً بغير غناء، فهل هذا فعل من يُفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سهَّلت عليَّ القصة، قال: لا تقل ذاك، فإن هذا من ضعة النفس وسقوط الهمة، فكنت إذا رأَيت عبد اللَّه بعدَ ذلك في جملة المغنين، وشاهدت تبذله في هذه الحال وانخفاضه عن مراتب أهله، تذكرت قول أبيه فيه.

قال: وسمعته يوماً يُغني بصنعته في شعر أبي العتاهية.

صـــوت

أنـــا عـــبـــدٌ لـــهـــا مُـــقـــرٌّ ومـــا يـــمـــ ـــلـــك لـــي غـــيـــرُهـــا مـــنَ الـــنـــاس رِقـــا
نـــاصـــحٌ مُـــشـــفـــق وإن كـــنـــتُ مـــا أُر زقُ مـــنـــهـــا والـــحـــمـــدُ لـــلَّـــهِ عـــتـــقـــا
لـــيـــتـــنـــي مِـــتّ فـــاســـتـــرحـــت فـــإِنـــي أَبـــداً مـــا حـــيـــيـــت مـــنـــهـــا مُـــلـــقَّـــى

[الخفيف]

لحن عبد اللَّه بن العباس في هذا الشعر رمل.

إِسحاقُ الموصليّ يصنع له لحناً:

أخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني عليُّ بن يحيى وأحمد بن حمدون عن أبيه وأخبرني جحظةُ عن أبي عبد اللَّه الهاشميّ.

أن إسحاق الموصليّ دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبد اللَّه بن العباس في حِجره قد أُخرج إليه وله نحو السنتين، وأبوه العباس واقف بين يديه، فقال إسحاق للوقت:

مـــد لـــك الـــلَّـــهُ الـــحـــيـــاة مَـــدَّا حـــتـــى يـــكـــون ابـــنـــك هـــذا جِـــدَّا
مـــؤزراً بـــمـــجـــدهِ مـــردَّى ثـــم يـــفـــدى مـــثـــل مـــا تـــفـــدَّى
أشـــبـــه مـــنـــك ســـنـــة[1] وخَـــدَا وشِـــيـــمـــاً مـــحـــمـــودةً ومَـــجْـــدَا
كـــأَنـــه أنـــت إذا تـــبـــدَّى

[الرجز]

قال: فاستحسن الفضل الأَبيات وصنع فيها إسحاق لحنه المشهور، وقال جحظة في خبره عنِ الهاشميّ: وهو رمل ظريف من حسَن الأرمال ومختارها، فأمَر له الفضل بثلاثينَ ألفَ درهم.

العباس بن الفضل يصبح مهموماً ثم ينشطه الشعر والشرب:

أخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني عبد اللَّه بن عمرَ، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك، قال:

حدثني بعض ندماء الفضل بن الربيع، قال: كنا عند العباس بن الفضل بن الربيع في يوم دجن[2]، والسماء تطش[3]، وهو أحسن يوم وأطيبه، وكان العباس

(١) السنة: السحنة والوجه.
(٢) يوم دجن: شديد المطر لكثافة الغيوم السوداء.
(٣) السماء تطش: تمطر مطراً خفيفاً ضعيفاً.

يومَئذ قد أصبح مهموماً، فجهدنا أن ينشط، فلم تكن لنا في ذلك حيلة، فبينا نحن كذلك إذ دخل عليه بعض الشعراء، إما الرقاشي وإِما غيره من طبقته، فسلّم ثم أخذ بعِضادتي الباب ثم قال:

ألا ٱنعم صَباحاً يا أَبا الفضل وٱربِعِ[١] على مربع القطر بُليّ[٢] المُشعشعِ
وعُلّ نداماك العِطاش بقهوةٍ[٣] لها مصرعٌ في القوم غيرُ مروّعِ
فإنك لاقٍ كلما شِئْتَ ليلةً ويوماً يُغصانِ الجفون بأدمعِ

[الطويل]

قال: فبكى العباس وقال: صدقت واللَّهِ إِن الإنسان ليلقى ذلك متى شاء، ثم دعا بالطعام فأكل، ثم دعا بالشراب فشرب ونشط، ومرَّ لنا يوم حسن طيب.

عبد اللَّه بن العباس يُوسِّط ابن المرزبان لدى المنتصر:

حدثني عمّي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال:

جاءني عبد اللَّه بن العباس في خِلافة المنتصر، وقد سألني عرضَ رقعةٍ عليه، فأُعلم أَني نائم، وقد كنتُ شربتُ بالليل شرباً كثيراً، فصليت الغدَاة ونمت، فلما انتبهت إِذا رقعة عند رأسي وفيها مكتوب:

أنا بالباب واقفٌ منذ أَصبحـ ـتُ على السرجِ ممسكٌ بعِناني
وبعين البوَّاب كلُّ الذي بي ويراني كأَنه لا يراني

[الخفيف]

فأَمرت بإِدخاله، فدخل، فعرفته خبري واعتذرت إِليه وعرضت رقعته على المنتصر، وكلمته حتى قضى حاجته.

غناؤه معَ إِسحاقَ:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ، قال:

دعا عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ يوماً أَبي، وسأله أن يُبكّر إِليه، ففعل، فلما دخل بادر إِليه عبد اللَّه بن العباس مُلتقياً وفي يده العود وغناه:

قم نصطبحْ يفديك كلُّ مُبخّلٍ عابَ الصبوحَ لحبّه للمالِ

(١) اربع: قف وانظر.
(٢) القطربّلي: المنسوب إلى قطربّل التي تشتهر بصناعة الخمرة في العراق.
(٣) القهوة: من أسماء الخمرة.

مــن قــهــوةٍ صــفــراءَ صِــرفٍ[١] مُــزة قــد عُــتِّــقَــت فــي الــدنّ[٢] مُـذْ أحـوالِ[٣]

[الكامل]

قال: وقُدم الطعام فأَكلنا واصطبحنا، واقترح أبي هذا الصوتَ عليه بقية يومه.

قال: وأَتيته في داره بالمطيرة عائداً، فوجدته في عافية، فجلسنا نتحدث فأنشدته لذي الرمة:

إذا مــا امــرؤ حــاولــن أن يــقــتــتــلــنــه بــلا إحــنــة بــيــن الــنــفــوس ولا ذحــلِ[٤]
تَـبَـسّـمْـنَ عـن نَـوْر الأقـاحـيّ فـي الـثـرى وفـتّـرن عـن أَبـصـار مـكـحـولـةٍ نُـجـلِ
وكـشّـفـن عـن أجـيـاد غـزلان رمْـلـةٍ هِـجـان فـكـان الـقـتـل أَو شـبـهُ الـقـتـلِ
وإنَّـا لـنـرضـى حـيـن نـشـكـو بـخـلـوةٍ إِلـيـهـن حـاجـاتِ الـنـفـوس بـلا بـذلِ
ومـا الـفـقـرُ أَزرى عـنـدَهـن بـوصْـلـنـا ولـكـنْ جـرت أخـلاقـهـنَّ عـلـى الـبـخـلِ

[الطويل]

قال: فأَنشدني هو:

أنّـى اهـتـدت لـمـنـاخـنـا جـمـلُ ومِـنَ الـكـرى[٥] لـعـيـونـنـا كُـحـلُ
طـرقـتْ أخـا سَـفـرٍ ونـاجـيـةً[٦] خـرقـاءَ[٧] عـرَّق نـيـهـا[٨] الـرحـلُ[٩]
فـي مـهـمـهٍ[١٠] هـجـعَ[١١] الـدلـيـل بـه وتـعـلَّـلـت بـصَـريـفـهـا[١٢] الـبـزلُ[١٣]
فـكـأنَّ أَحـدَثَ مـن أَلـمَّ بـه دَرجـت عـلـى آثـاره الـنـمـلُ

[الكامل]

قال إسحاق: فقال لي عبد اللّه بن العباس كلّ ما أملك في سبيل اللّه إن فارقتك ولم نصطبح على هذينِ الشّعرينِ، وأُنشدك وتُنشدني، ففعلنا ذلك وغَنَّينا ولا غُنينا.

---

(١) صِرف: خالص.
(٢) الدنّ: وعاء الخمرة، يتّخذ من جلود الأغنام.
(٣) الأحوال، الواحد حول: الأعوام والسنين.
(٤) الذحل: العداوة والحقد.
(٥) الكرى: النعاس والنوم.
(٦) الناجية من النياق: السريعة العدو.
(٧) الخرقاء: الخفيفة الحركة في عدوها الرشيق.
(٨) النيّ: السمن.
(٩) الرحل: ما يجعل على ظهر البعير كالسرج.
(١٠) المهمه: المفازة لا أنيس فيها ولا ماء.
(١١) هجع الدليل: ضاع، تاه.
(١٢) الصريف: صرير ناب البعير.
(١٣) البزل: الجمال التي انشق نابها، وفي التاسعة من العمر.

يقيم على لواط ويشرب على زنا:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ عن أبيه، قال:

لقيت عبد اللَّه بن العباس يوماً في الطريق فقلت له: ما كان خبرُك أمس؟ فقال إصطبحت، فقلت: على ماذا ومعَ من؟ فقال: مع خادم صالح بن عُجيف وأنت به عارف، وبخبري معَه ومحبتي له عالم، فاصطبحنا على زِنا بنت الخسّ لما حَملت من زناً وقد سُئلت ممن حملت فقالت:

أشمُّ كغصن البانِ جعدٌ مرجَّلٌ[١] شُغِفتُ به لو كان شيئاً مُدَانِيا
ثكلتُ أبي إن كنتُ ذقتُ كريقِه سُلافاً[٢] ولا عذباً منَ الماء صافيا
وأُقسم لو خُيّرت بين فِراقه وبين أبي لاخترت أن لا أَبا ليا
فإن لم أُوسِّد ساعِدي بعدَ هجعةٍ[٣] غُلاماً هِلالياً فشُلَّت بنانِيا

[الطويل]

فقلت له: أَقمتَ على لِواط وشربت على زنا، واللَّهِ ما سبقك إلى هذا أحد.

فائز يغني لعبد اللَّه حتى يسكر:

أَخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرني ميمون بن هارون قال:

كان محمد بن راشد الخنَّاق عند عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع على القاطول[٤] في أيام المعتصم، وكان لمحمد بن راشد غلام يقال له فائز؛ يُغنِّي غِناء حسناً، فأظلَّتهم سحابةٌ وهم يشربون، فقال عبد اللَّه بن العباس:

محمدُ قد جادت علينا بمائها سحابةُ مزنٍ برقُها يتهلَّلُ
ونحن منَ القاطول في متربَّعٍ ومنزلنا فيه المنابتُ مبقِلُ
فمرْ فائزاً يشدو إذا ما سقيتني أَعن ظعن الحيّ الأُلى كنت تسألُ؟
ولا تسقني إلا حلالاً فإنني أَعاف منَ الأشياء ما لا يحلَّلُ

[الطويل]

قال: فأَمر محمد بن راشد غلامه فائزاً فغناه بهذا الصوت، وشرب عليه حتى سكر.

---

(١) المرجّل: الممشّط الشعر الجعد.
(٢) السلاف، بضم السين: من أسماء الخمرة.
(٣) الهجعة: النوم الخفيف.
(٤) القاطول: موضع.

أبو أحمدَ بن الرشيد يشتري فائزاً بثلاثمائة ألف درهم:

قال: وكان أبو أحمدَ بن الرشيد قد عشق فائزاً، فاشتراه من محمد بن راشد بثلاثمائة ألف درهم فبلغ ذلك المأمونَ فأَمر بأَن يُضرب محمدُ بن راشد ألف سوط ثم سئل فيه فكفَّ عنه، وارتجع منه نصف المال وكان طالبه بأكثرَ من ذلك فوجده قد أنفقه وقضى به ديونه ثم حجَر على أبي أحمدَ بنِ الرشيد، فلم يزل محجوراً عليه طول أيام المأمون، وكان ماله مردوداً إلى مَخلد بن أبان.

عبد اللّه يشرب في ليلة من رمضان حتى الفجر:

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني ابن الجرجراني، قال:

اتفق يوم النيروز في شهر رمضان، فشرب عبد اللّه بن العباس بن الفضل بن الربيع في تلك الليلة إلى أَن قارب الفجرُ أَن يطلع، وقال في ذلك وغنى فيه قوله:

إِسقني صفراءَ صافيةً ... ليلةَ النَّيروز والأحدِ
حرَّم الصَّومُ اصطباحكها ... فتزوَّد شربها لغدِ

[المديد]

الواثق يأمر له بثلاثينَ أَلف درهم على لحن غناه به:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني إبراهيمُ بن المدبّر، قال:

قال لي محمد بن الفضل الجرجانيّ: أنشدت عبد اللّه بن العباس الربيعيّ لِلمُعَلى الطائي شاعِرنا.

باكِرْ صبوحَك صَبحَةَ النَّيروز ... واشرَب بكأسٍ مُترعٍ وبكوزِ
ضحِك الربيعُ إليك عن نوَّاره ... آسٍ ونسرين ومَرْ ما حُوزِ

[الكامل]

فاستعادنيهما فأَعدتهما عليه، وسأَلني أن أُمليهما ففعلت، وصنع فيهما لحناً غنى به الواثق في يوم نيروز فلم يستعد غيره يومَئذٍ، وأَمر له بثلاثينَ أَلفَ درهم.

أَخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني عليُّ بن يحيى، قال:

أَنشدني عبد اللّه بن العباس بن الفضل بن الربيع لجميل، وأَنشدنيه وهو يبكي ودموعهُ تنحدر على لحيته.

صـوت

فـمـا لـكِ لـمـا خـبَّـر الـنـاسُ أنـنـي غـدرتُ بـظـهـر الـغـيـب لـم تَـسَـلـيـنـي
فـأَحـلِـفُ بـتّـاً أو أجـيء بـشـاهـد مـنَ الـنـاس عَـدلٍ إنـهـم ظـلـمـونـي
[الطويل]

قال: وله فيه صنعة من خفيف الثقيل وخفيف الرمل.

إكثارُه من مدح الصبوح ودوامُه عليه:

أخبرني عمّي، قال: حدثني عبيدُ اللَّه بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا نافذ مولانا، قال:

كان عبد اللَّه بن العباس صديقاً لأبيك، وكان يُعاشره كثيراً، وكان عبد اللَّه بن العباس مصطبحاً دهرَه لا يفوته ذلك إلا في يوم جمعة أو صوم شهر رمضان، وكان يُكثر المدح للصبوح، ويقول الشعر فيه، ويُغني فيما يقوله، قال عبيد اللَّه: فأَنشدني نافذٌ مولانا وغيرُه من أصحابنا له، في ذلك، منهم حماد بن إِسحاقَ.

صـوت

ومُستطيلٍ على الصهباءِ[1] باكَرها في فِتيةٍ باصطباح الرَّاح حُذَّاقِ
فكل شيءٍ رآه خاله قدَحاً وكل شخصٍ رآه خاله الساقي
[البسيط]

قال: ولحنه فيه خفيف رمل ثقيل، قال حماد: وكان أبي يستجيد هذا الصوت من صنعته ويستحسن شعره ويُعجب من قوله:

فكلّ شيء رآه خاله قدحاً وكلُّ شخص رآه خاله الساقي
[البسيط]

ويُعجب من قوله:

ومستطيلٍ على الصهباء باكرها

ويقول: وأَيّ شيء تحته منَ المعاني الظريفة؟

قال: وسمعه أبي يُغنيه، فقال له: كأَنك واللَّهِ يا عبدَ اللَّه خطيب يخطب على

(١) الصهباء: من أسماء الخمرة.

المنبر، قال عُبيد اللَّه بن محمد: فأَنشدني حماد له في الصبوح:

لا تَعذِلا في صبوحي فالعيشُ شُربُ الصّبوحِ
ما عاب مصطبحاً قطّ غيرَ وَغدٍ شَحيحِ[1]

[المجتث]

قال عمّي: قال عبيد اللَّه:

دخل يوماً عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ على أَبي مُسلِّماً، فلما استقرَّ بهِ المجلس وتحادثا ساعة، قال له: أنشدني شيئاً من شعرك، فقال: إنما أَعبث ولست ممن يُقدِم عليك بإِنشاد شعره، فقال: أتقول هذا وأَنت القائل؟

يا شادِناً رام إِذ مرَّ في السعانين قَتْلِي
تقول لي: كيف أَصبحت كيف يُصبح مثلي؟

[المجتث]

أنت واللَّهِ أعزَّك اللَّهُ أغزلُ الناس وأَرقّهم شعراً، ولو لم تقل غير هذا البيت الواحد لكفاك ولكنت شاعراً.

استلهامه منَ القمر:

أخبرني عمّي والحسين بن القاسم الكَوكبيّ، قالا: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أحمد بن الحسين الهاشميّ أبو عبد اللَّه، قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال: كنت جالساً على دِجلةَ في ليلة منَ الليالي، وأخذت دواةً وقِرطاساً وكتبت شعراً حضرني وقلته في ذلك الوقت:

صوت

أَخلَفك الدَّهرُ ما تنظّرُه فاصْبِرْ فهذي جرائر القدرِ
لعلّنا أن نُدالَ من زَمن فرَّقنا والزمانُ ذو غِيَرِ

[المنسرح]

قال: ثم أُرتج عليَّ فلم أَدرِ ما أقول، حتى يئست من أن يجيئني شيء، فالتفت فرأيت القمر وكانت ليلة تتمته، فقلت:

---

(١) شحيح: بخيل.

فـانـظـر إلـى الـبـدر فـهـو يُـشـبـهـه إن كـان قـد ضَـنَّ[١] عـنـك بـالـنّـظـرِ
[المنسرح]

ثم صنعت فيه لحناً منَ الثقيل الثاني. قال أبو عبد اللَّه الهاشميّ: وهو واللَّهِ صوت حسن.

وصفه للبرق:

أخبرني جحظة عنِ ابن حمدون، وأَخبرني به الكوكبيّ عن علي بن محمد بن نَصر عن خاله ابن حمدون، قال:

كنا عند الواثق في يوم دَجنٍ[٢]، فلاح برقٌ واستطار، فقال: قولوا في هذا شيئاً فبدَرهم عبدُ اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع، فقال هذين البيتين:

أَعـنِّـي عـلـى لامـعٍ بـارقٍ خـفـيٍّ كـلـمـحـك بـالـحـاجِـبِ
كـأَنَّ تـألُّـقـه فـي الـسـمـاء يَـدا كـاتـبٍ أو يـدا حـاسـبِ
[المتقارب]

وصنع فيه لحناً شرب فيه الواثق بقية يومه، واستحسن شعره ومعناه وصنعته، ووصل عبد اللَّه بصِلةٍ سنيَّة.

حدثني عمّي، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان، قال:

حدثني الحسين بن الضحاك، قال: كنت عند عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع، وهو مصطبح[٣]، وخادم له قائم يسقيه، فقال لي: يا أبا عليّ، قدِ استحسنتُ سقيَ هذا الخادم، فإن حضرك شيءٌ في قصتنا هذه فقُل، فقلت:

أحـيَـت صـبـوحـي فـكـاهـةُ الـلاهـي وطـاب يـومـي بـقُـرب أَشـبـاهـي
فـاسـتَـثـر الـلـهـوَ مـن مـكـامـنِـهِ مـن قـبـل يـومٍ مُـنَـغِّـصٍ نـاهـي
بـابـنـةِ كـرمٍ مـن كـفِّ مـنـتـطـقٍ مـؤتـزر بـالـمُـجـونِ تـيَّـاهِ
يـسـقـيـك مـن طـرفـه[٤] ومـن يـده سـقْـيَ لـطـيـف مـجـرب داهـي
طـاسـاً وكـاسـاً كـأنَّ شـاربـهـا حـيـرانُ بـيـن الـذَّكـور والـسَّـاهـي
[المنسرح]

---

(١) ضنّ: بخل.
(٢) يوم دجن: يوم ماطر.
(٣) مصطبح: شارب الخمرة في الصباح.
(٤) الطرْف، بسكون الراء: النظر.

فاستحسنه عبد اللَّه وغنى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقية يومنا.

عبد اللَّه يصف لقاءَه معَ جارية يحبها:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا أَبو عبد اللَّه أحمد بن المرزبان بن الفيرزان، قال: حدثني شيبة بن هشام، قال:

كان عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع قد علق جارية نصرانية، وقد رآها في بعض أعياد النصارى، فكان لا يُفارق البَيع في أعيادهم شغفاً بها، فخرج في عيد ماسَرْجيس، فظفر بها في بستان إِلى جانب البيعة، وقد كان قبل ذلك يُراسلها ويعَرّفها حبّه لها، فلا تقدر على مواصلتهِ ولا على لقائه إلا على الطريق، فلما ظفر بها التَوَت عليه، وأبَت بعضَ الإِباء، ثم ظهرت له وجلست معَه، وأكلوا وشربوا وأقام معَها، ومع نسوة كنَّ معَها أُسبوعاً، ثم انصرفت في يوم خميس، فقال عبد اللَّه بن العباس في ذلك وغنى فيه:

رُبَّ صهباءَ من شراب المجوسِ ... قهوةٍ بابليّة خَندريسِ[١]
قد تجَلَّيتُها بناي وعودٍ ... قبل ضرب الشمَّاس[٢] بالناقوسِ
وغزالٍ مكحَّلٍ ذي دلالٍ ... ساحرِ الطرفِ سامريٍّ عروسِ
قد خلوْنا بطِيبه نجتليه ... يوم سبتٍ إلى صباح الخميسِ
بين ورد وبين آسٍ جَنيٍّ ... وسط بستان دير ماسَرجِيسِ
يتثنى بحُسنِ جيد غزالٍ ... وصليبٍ مُفضَّض آبَنوسي[٣]
كم لثمتُ الصليبَ في الجيد منها ... كهلالٍ مكَلَّلٍ بشموسِ

[الخفيف]

عبد اللَّه بين الغراب والهدهد:

أخبرني عمّي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، عن شيبةَ بنِ هِشام قال:

كان عبد اللَّه بن العباس يوماً جالساً ينتظر هذه النصرانية التي كان يهواها، وقد وعدته بالزيارة، فهو جالس ينتظرها ويتفقَّدها إذ سقط غراب على برَّادة داره[٤] فنعب

(١) الخندريس: من أسماء الخمرة وصفاتها.
(٢) الشماس: من رجال الدّين النصارى.
(٣) آبنوسي: متّخذ من الأبنوس، والأبنوس من الأشجار الصلبة.
(٤) برادة داره: الموضع الذي يُبرّد فيه أنواع السوائل، والآنية التي تستعمل للتبريد.

مرة واحدة ثم طار، فتطيَّر عبد اللَّه من ذلك ولم يزل ينتظرها يومَه فلم يرها، فوجَّه برسوله عشيّاً يسأل عنها، فعُرّف أنها قد انحدرت معَ أخيها إلى بغدادَ، فتنغّص عليه يومُه وتفرَّق من كان عنده، ومكث مدة لا يعرف لها خبراً، فبينا هو جالس ذات يوم معَ أصحابه إذ سقط هُدهد على برَّادته، فصاح ثلاثة أصوات وطار، فقال عبد اللَّه بن العباس: وأيُّ شيء أَبقى الغراب للهدهد علينا؟ وهل ترك لنا أحداً يؤذينا بفراقه؟ وتطيّر من ذلك، فما فرغ من كلامه حتى دخل رسولها يعلمه أنها قد قدمت منذ ثلاثة أيام، وأنها قد جاءته زائرة على أثر رسولها، فقال في ذلك من وقته:

سقاكَ اللَّهُ يا هدهدُ وَسْمِيّاً[1] منَ القَطرِ
كما بشَّرتَ بالوَصلِ وما أَنذرت بالهَجرِ
فكم ذا لَكَ من بُشرى أَتتني منك في سِترِ
كما جاءت سليمانَ فأَوفت منه بِالنّذرِ
ولا زالَ غرابُ الـ ـبين فيَ قُفَّاعة[2] الأَسرِ
كما صَرَّح بالبينِ وما كنتُ به أَدري

[الهزج]

ولحنه في هذا الشعر هزج.

أين هذا الغناء من ذاك؟

حدثني عمّي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

قال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بن مصعب: قال لي عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ: لما صنعت لَحني في شعري:

أَلا اصْبَحاني يومَ السعانينِ من قهوةٍ عُتِّقت بِكُركينِ[3]
عند أُناسٍ قلبي بهم كَلِفٌ[4] وإِن تَولوا ديناً سوى ديني
قد زَيَّن المُلكَ جعفرٌ وحكى جودَ أَبيه وبأْسَ هارونِ
وآمَن الخائف البريءَ كما أَخافَ أَهل الإلحاد في الدينِ

[المنسرح]

(١) الوسميّ: أول مطر الربيع.
(٢) القفاعة: ضرب من الجريد يُلقى على الطير فيصاد بواسطته.
(٣) كركين: من قرى بغداد قرب البردان. (٤) الكلف: المعلّق عشقاً.

دعاني المتوكل، فلما جلست في مجلس المنادمة غنيت هذا الصوت، فقال لي: يا عبدَ اللَّه، أين غِناؤك في هذا الشعر في أيامي هذه، من غنائك؟ في:

أَمَاطت كِساء الخزّ عن حُرّ وجهها وأدنت على الخدَّين بُرداً مُهلهلا

[الطويل]

ومن غنائك في:

أَقفر من بعدِ خُلَّة سرفُ فالمنحنى فالعقيق فالجُرفُ[1]

[المنسرح]

ومن سائر صنعتك المتقدمة التي استفرغْتَ محاسنَك فيها، فقلت له: يا أَميرَ المؤمنين إِني كنت أتغنى في هذه الأصوات ولي شباب وطرب وعِشق، ولو رُدَّ عليَّ لغنَّيت مثل ذلك الغناء، فأَمر لي بجائزة واستحسن قولي.

عبد اللَّه يُغني للمنتصر شعراً لا يُريده فلا يصله بشيء:

حدثني عمّي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال:

ذكر المنتصرُ يوماً عبد اللَّه بن العباس وهو في قَراح[2] النَرجس مصطَبح، فأَحضره وقال له: يا عبدَ اللَّه، اصنعْ لحناً في شعري الفلاني وغنني به، وكان عبد اللَّه حلف لا يغني في شعره فأَطرق ملياً ثم غنى في شعر قاله للوقت، وهو:

يا طيبَ يومي في قَراح النرجسِ في مجلسٍ ما مثله من مَجلسِ
نُسْقى مشعشعةً كأَنَّ شُعاعها نارٌ تُشبُّ لبائس مُستقبِسِ[3]

[الكامل]

قال: فجهِد أبي بالمنتصر يومَئذٍ واحتال عليه بكل حيلة أن يصله بشيء فلم يفعل.

المتوكل يطرب له ويمنحه عشرينَ ألف درهم:

حدثني عمّي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال:

غضبتْ قَبيحةُ على المتوكل وهاجرته، فجلس ودخل الجلساء والمغنون، وكان فيهم عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، وكان قد عرف الخبر، فقال هذا الشعر وغنّى فيه:

(١) سرف، المنحنى، العقيق، الجرف: مواضع.
(٢) القراح: الأرض المخصصة للزرع والغرس.
(٣) المستقبس: طالب الدفء والضوء.

لـسـتَ مـنـي ولـسـت مـنـك فـدعـنـي يـا حـبـيـبـي مُـصـاحَـبـاً بـسـلامِ
لـم تَـجِـد عِـلّـة تَـجـنّـى بـهـا الـذنـ ـبَ فـصـارت تـعـتـلُّ بـالأحـلامِ
فـإذا مـا شـكـوت مـا بـيَ قـالـت قـد رأيـنـا خِـلاف ذا فـي الـمـنـامِ
[الخفيف]

قال: فطرب المتوكل وأَمر له بعشرينَ أَلفَ درهم، وقال له: إن في حياتك يا عبدَ اللَّه لَأُنساً وجمالاً وبقاءً للمروءَة والظرف.

الجِنُّ تنقل عنه:

أخبرني عمّي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، قال: كنت في بعض العساكر فأَصابتنا السماء حتى تأذينا، فضُربت لي قُبة تُركية، وطُرح لي فيها سريران، فخطر بقلبي قول السُليك:

صـوت

قَـرِّب الـنـحَّـامَ[1] واعْـجَـل يـا غـلامْ واطْـرحِ الـسـرج عـلـيـه والـلـجـامْ
أبـلـغِ الـفِـتـيـان أنـي خـائـض غـمـرةَ الـضـرب فـمـن شـاء أَقـامْ
[الرمل]

فغنيت فيه لحنيِ المعروف، وغدونا فدخلت مدينةً: فإذا أَنا برجل يُغني به، ووالله ما سبقني إليه أَحد ولا سمعه مني أحد، فما أدري مَنِ الرجلُ ولا من أين كان له، وما أُرى إلا أن الجِنَّ أوقعته في لسانه.

ابن الجهم يحتمل خراج عبد اللَّه عطيةً له:

حدثني عمّي، قال: حدثني أَحمد بن المرزبان، قال: حدثني أبي، قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، قال: كنت عند محمد بن الجهم البرمكيّ بالأَهواز، وكانت ضيعتي في يده، فغنيته في يوم مهرجان، وقد دعانا للشرب:

صـوت

ألـمـهـرَجـانُ يـومُ الاثـنـيْـنِ يـومُ سـرورٍ طَـيِّـب زَيـنِ

(١) النحّام: اسم جواد.

ينقل من حَرّ مصيف إلى بَرد شتاءٍ بين فَصلينِ
محمدُ بنَ الجهم يا من بنا ه المجدُ من أَكرم بَيتينِ
عِشْ أَلف نيروزٍ ومَهرِج بنا مُغتبطاً في قرةِ العينِ
[السريع]

قال: فسُر بذلك واحتمل خراجي في تلك السنة، وكان مبلغه ثلاثينَ ألفَ درهم.

رُبّ جِدّ جرّه اللّعب:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثني أبو توبة عنِ القَطِرانيّ، عن محمد بن جبر، قال:

كنا عند أَبي عيسى بن الرشيد في زمن الربيع، ومَعنا مخارق وعلُّويه وعبد اللّه بن العباس الربيعيّ ومحمد بن الحارث بن بسخنَّر ونحن مصطبحون في طارمةٍ[١] مضروبة على بُستانه، وقد تفتح فيه وردٌ وياسمين وشقائق، والسماء متغيمة غيماً مُطبقاً، وقد بدأت ترشّ رشاً ساكباً فنحن في أَكمل نشاط وأَحسن يوم، إذ خرجتْ قيِّمةُ دار أبي عيسى فقالت: يا سيدي قد جاءت عساليجُ[٢]، فقال: لتخرج إلينا فليس بحضرتنا من تحتشمه، فخرجت إلينا جارية شَكِلة[٣] حُلوة حسنة العقل والهيئة والأدب، في يدها عود، فسلّمت، فأَمرها أبو عيسى بالجلوس، وغنَّى القوم حتى انتهى الدور إِليها، وظننا أنها لا تصنع شيئاً، وخِفنا أن تهابنا فتَحصر[٤]، فغنت غِناءً حسناً مطرباً متقناً، ولم تدع أحداً ممن حضر إلا غنت صوتاً من صنعته وأدَّته على غاية الإِحكام، فطرِبنا واستحسنا غِناءها، وخاطبناها بالاستحسان، وألحَّ عبد اللّه بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمُزاح معَها، والنظر إِليها فقال له أبو عيسى: عشقتها وحياتي يا عبدَ اللّه، قال: لا واللّهِ يا سيدي وحياتِك ما عشقتها، ولكني استملحت[٥] كل ما شاهدت منها من منظر وشكل وعقل وعِشرة وغِناء، فقال له أبو عيسى، فهذا واللّهِ هو العِشق وسببه، ورُبَّ جِدّ جرّه اللّعب.

وشربنا، فلما غلب النبيذُ على عبد اللّه غنى أَهزاجاً قديمة وحديثة، وغنى فيما

(١) الطارمة: الحصن، القلعة، أو البيت المتخذ من الخشب كالقبة.
(٢) عساليج: اسم الجارية.
(٣) الشكلة من النساء: من اتّصفت بالغنج والدلال والرقّة.
(٤) تُحصر: تعجز عن النطق حياءاً. (٥) استملحت: استظرفت.

غنى بينها هزجاً في شعر قاله فيها لوقته، فما فطن له إلا أبو عيسى وهو:

صـوت

نـطـق الـسـكـرُ بـسِّـري فـبـدا ... كـم يُـرى الـمـكـتـومُ يُـخـفـي لا يـضِـحْ
سـحـر عـيـنـيـكِ إذا مـا رَنـتـا ... لـم يَـدع ذا صَـبـوة أَو يـفـتـضـحْ
مـلـكـتْ قـلـبـي فـأَمـسـى غـلِـقـاً[1] ... عـنـدَهـا صـبّـاً بـهـا لـم يـسـتـرحْ
بِـجـمـالٍ وغـنـاءٍ حـسـنٍ ... جـلَّ عـن أن يـنـتـقـيـه الـمـقـتـرحْ
أَورثِ الـقـلـب هـمـومـاً ولـقـد ... كـنـت مـسـروراً بـمـرآهُ فَـرِحْ
ولَـكَـمْ مـغـتـبـقٍ[2] هَـمّـاً وقـد ... بـكَـر الـلـهْـو بُـكـورَ الـمُـصـطـبـحْ[3]

[الرمل]

الغناء لعبد اللَّه بن العباس هزج، فقال له أَبو عيسى: فعلتها واللَّهِ يا عبدَ اللَّه ونقر طرباً، وشرب على الصوت، وقال: صَحَّ واللَّهِ قولي لك في عساليج وأنت تكابرني حتى فضحك السكر، فجحد[4] وقال: هذا غناء كنت أَرويه، فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غنّاه إلا في يومه، وقال له: احلف بحياتي أن الأمر ليس هو كذلك، فلم يفعل، فقال له أبو عيسى: واللَّهِ لو كانت لي لوهبتُها لك ولكنها لآل يحيى بن معاذ واللَّهِ لئن باعوها لأُملكنَّك إياها ولو بكل ما أملك، وحياتي لتنصرفن قبلك إلى منزلك، ثم دعا حافظتها وخادماً من خدمه فوجَّه بها معهما إلى منزله، والتوى عبدُ اللَّه قليلاً وتجلد[5]، وجاحَدنا أمره ثم انصرف، واتصل الأمر بينهما بعد ذلك، فاشترتها عمتهُ رُقية بنت الفضل بن الربيع من آل يحيى بن معاذ، وكانت عندَهم حتى ماتت.

عبد اللَّه يملك عساليج:

فحدثني جعفر بن قُدامةَ بن زياد عن بعض شيوخه، سقط عني اسمه، قال:

قالت بذل الكبيرة لعبد اللَّه بن العباس: قد بلغني أنك عشقت جارية يُقال لها عساليجُ فاعرِضها عليَّ فأما أن عذرتك وأما أن عذلتك، فوجه إليها فحضرت، وقال لبذل: هذه هي يا ستي فانظري واسمعي ثم مريني بما شئت أُطعك، فأقبلت عليه

(١) غلقاً: متيّماً، عاشقاً.
(٢) المغتبق: شارب الخمرة مساء.
(٣) المصطبح: شارب الخمرة صباحاً.
(٤) جحد: أنكر.
(٥) تجلّد: صبر.

عساليج، وقالت: يا عبدَ اللَّه، أَتشاور فيَّ؟ فواللَّهِ ما شاورتُ فيك لما صاحبتك فنعرت[١] بذلُ وصاحت: وايه، أَحسنتِ واللَّهِ يا صَبية، ولو لم تُحسنِي شيئاً ولا كانت فيك خَصلة تُحمد لوجب أن تُعشقي لهذه الكلمة، أَحسنتِ واللَّهِ، ثم قالت لعبد اللَّه: ما ضَيَّعتَ، احتفظ بصاحبتك.

الواثق يأمر له بثلاثينَ ألفَ درهم:

حدثني عمّي قال: حدثني أحمد بن المرزبان عن أبيه:

عن عبد اللَّه بن العباس قال: دعانا الواثق في يوم نوروز، فلما دخلت عليه غنيته في شعر قلته وصنعت فيه لحناً وهو:

هيِّ للنيروزِ جاما[٢] ومُداما[٣] وندَامى[٤]
يحمدون اللَّه والوا ثق هارونَ الإمامَا
ما رأَى كسرى أنو شر وان مثلَ العام عاما
نرجساً غضّاً ووروداً وبَهاراً وخُزامى

[مجزوء الرمل]

قال: فطرب واستحسن الغناء، وشرب عليه حتى سكر وأمر لي بثلاثينَ ألفَ درهم.

عبد اللَّه يتعشّق مصابيح ويقول فيها شعراً:

حدثني عمّي، قال: حدثني أَحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبةُ بن هشام، قال:

أَلقت مُتيَّمُ على جوارينا هذا اللحن وزعمت أنها أخذته من عبد اللَّه بن العباس والصنعةُ له.

صوت

إني اتخذتُ عدُوَّةً فسقى الإِله عدُوَّتي
وفديتها بأَقاربي وبأُسرتي وبجيرتي

---

(١) نعرت: صاحت بخيشومها.
(٢) الجام: الكأس، فارسي معرّب.
(٣) المُدام، بضم الميم: من أسماء الخمرة.
(٤) الندامى، الواحد نديم: الشَّرب.

جُـدِلـت[١] كـجـدلِ الـخـيـزُرا نِ وثُـنِّـيـت فـتَـثـنَّـتِ
واسـتـيـقـنـتْ أن الـفـؤا د يُـحـبُّـهـا فـأدَلَّـتِ[٢]

[مجزوء الكامل]

قال: ثم حدثتنا متيَّمُ أن عبد اللَّه بن العباس كان يتعشَّق مصابيح جارية الأَحدب المقَيِّن، وأنه قال هذا الشعر فيها، وغنَّى فيه هذا اللحن بحضرتها فأَخذته عنه، هكذا ذكر شيبةُ بن هشام من أمر مصابيح، وهي مشهورة من جواري آل يحيى بن معاذ، ولعلها كانت لهذا المُقَين قبل أن يملِكها آل يحيى، وقبل أن تصير إلى رقية بنت الفضل بن الربيع.

وحدثنا أيضاً عمّي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، عن شيبةَ بن هشام، قال:

كان عبد اللَّه بن العباس يتعشّق جارية الأَحدب المقيّن ـ ولم يسمها في هذا الخبر ـ فغاضبها في شيء بلغه عنها، ثم رام بعد ذلك أن يترضاها فأَبت، وكتب إِليها رقعة يحلف لها على بطلان ما أنكرته، ويدعو اللَّه على من ظلم، فلم تجبه عن شيء مما كتب به، ووقَّعت تحت دعائه: آمين، ولم تُجب عن شيء مما تضمَّنته الرقعةُ بغير ذلك، فكتب إِليها:

أمَّـا سـروري بـالـكـتـا ب فـلـيـس يَـفـنـى مـا بـقِـيـنـا
وَافـى وقـد وقَّـعـتِ لـي آمـيـن ربَّ الـعـالـمـيـنـا

[مجزوء الكامل]

قال وزارته في ليلة من ليالي شهر رمضانَ وأَقامت عندَه ساعة، ثم انصرفت وأَبت أن تبيت وتُقيم ليلتَها عندَه، فقال هذا الشعر وغنى فيه هزجاً هو مشهور من أغانيه وهو:

صـوت

يـا مَـنْ لِـهـمٍّ أمـسـى يـؤرِّقـنـي حـتـى مـضـى شـطـرُ لـيـلـةِ الـجُـهَـنـي
عـنِّـي ولـم أدرِ أَنـهـا حـضـرتْ كـذاك مـن كـان حُـزنـه حـزنـي
إنـي سـقـيـم مُـدَلـه دنـف[٣] أَسـقـمـنـي حـسـنُ وجـهـك الـحَـسـنِ

(١) جُدلت: صِيغ جسدها متناسقاً بديعاً.
(٢) أدلّت: زادت دلالاً وغنجاً.
(٣) دنف: سقيم، مريض.

جـودي لـه بـالـشـفـاء مُـنـيـتـه لا تـهـجـري هـائـمـاً عـلـيـكِ ضـنـي
[المنسرح]

قال: وليلة الجُهَني ليلة تسعَ عشَرةَ من شهر رمضان، قال رجل من جهينة: إنه رأى فيها ليلة القدر فيما يرى النائم فسميت ليلة الجهنيّ.

عبد اللَّه يُغني في دار ابن حماد:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبةُ بن هشام، قال:

دعانا محمد بن حماد دنقش، وكانت له ستارة في نهاية الوصف، وحضر معنَا عبد اللَّه بن العباس، فقال عبد اللَّه وغنى فيه:

دعْ عـنـك لـومِـي فـإِنـي غـيـرُ مُـنـقـادِ إلـى الـمـلام وإن أحـبـبـتَ إرشـادي
فـلـسـت أَعـرفُ لـي يـومـاً سـررت بـه كـمـثـل يـومـي فـي دار ابـن حـمَّـادِ

الواثق يخشى عليه أن يغيّر دينه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني أَبو أيوبَ المدينيّ، قال: حدثني ابن المكيّ، عن عبد اللَّه بن العباس قال: لما صنعت لحني في شعري.

صـوت

يـا لـيـلـةً لـيـس لـهـا صُـبـحُ ومـوعـداً لـيـس لـه نـجـحُ
مـن شـادنٍ[1] مرَّ عـلـى وعـدِه الـمـيـ ـلادُ والـسُّـلَّاق والـذبـحُ
[السريع]

هذه أعياد النصارى.

غنيته الواثق فقال: ويلكم أَدركوا هذا لا يتنصَّر.

وتمام هذا الشعر:

وفـي الـسـعـانـيـن لـوَ انـنـي بـه وكـان أَقـصـى الـمـوعـد الـفِـصـحُ
فـالـلَّـهَ أَسـتـعـدي عـلـى ظـالـم لـم يُـغـن عـنـه الـجـودُ والـشُّـحُّ[2]
[السريع]

(١) الشادن، ولد الظبية وقد اكتمل نضجه، واستغنى عن أمه وقد نبت قرناه.
(٢) الشحّ: البخل.

نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ: قال أبو العتاهية: وفيه لعبد اللَّه بن العباس غناء حسن.

أنـا عـبـد لـهـا مُـقِـرٌّ ومـا يـمـلـ ـك لـي غـيـرُهـا مـنَ الـنـاس رِقّـا
نـاصـحٌ مـشـفـقٌ وإن كـنـت مـا أُر زَق مـنـهـا والـحـمـدُ لـلَّـهِ عِـتـقـا
ومِـنَ الـحـيْـنِ والـشَّـقـاءِ تـعـلَّـ ـقـتُ مـلِـيـكـاً مـسـتـكـبـراً حـينَ يُـلـقـى
إن شـكـوت الـذي لـقـيـتُ إلـيـه صـدَّ عـنـي وقـال بُـعـداً وسُـحـقـا

[الخفيف]

عبد اللَّه يحكي حاله:

أخبرني عمّي، قال: حدثني علي بن محمد بن نصر، عن جده حمدون بن إِسماعيلَ، قال:

دخلت يوماً إلى عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، وخادمٌ له يسقيه، وبيده عودٌ، وهو يُغني هذا الصوتَ:

إذا اصـطـبـحـتُ ثـلاثـاً وكـان عـودي نَـديـمـي
والـكـأْس تُـغـرِب ضـحـكـاً مـن كـفِّ ظـبـيٍ رخـيـمِ
فـمـا عـلـيَّ طـريـقٌ لـطـارقـاتِ الـهـمـومِ

[المجتث]

قال: فما رأَيت أحسن مما حكى حاله في غنائه، ولا سمعت أَحسن مما غنى.

تعشّقه لغلام حزام خادم المعتصم:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني دَوسر الخُراسانيّ، قال:

اشترى حِزام خادم المعتصم خادماً نظيفاً كان عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع يتعشّقه فسأله هِبته له أو بيعه منه فأَبى فقال عبد اللَّه أبياتاً وصنع فيها غِناء، وهي قوله:

يـومُ سـبـتٍ فـصـرّفـا لـيَ الـمُـداما واسـقـيـانـي لـعـلَّـنـي أن أَنـامـا
شَـرَّد الـنـومَ حُـبُّ ظـبـي غـريـرٍ مـا أَراه يـرَى الـحـرام حَـرامـا
إشـتـراه يـومـاً بـعُـلـفَـةِ يَـومٍ أصـبـحـت غِـبّـه الـدوابُّ صِـيـامـا

[الخفيف]

فاتصلتِ الأَبيات وخبرُها بحزام فَخشى أن تشتَهر ويسمعَها المعتصم فيأتي عليه، فبعث بالغلام إلى عبد اللَّه، وسأله أن يُمسك عن الأبيات ففعل.

خبره معَ الرشيد:

حدثني الصوليّ، قال: حدثني الحسين بن يحيى، قال: قلت لعبد اللَّه بن العباس: لك خبر معَ الرشيد أول ما شُهرتَ بالغناء، فحدثني به، قال: نعم، أول صوت صنعته:

أتـانـي يُـؤامـرنـي فـي الـصّـبـو حِ لـيـلاً فـقـلـت لـه: غـادِهـا

[المتقارب]

فلما دار لي وضربت عليه بالكنكلة[1]، عرضته على جارية لنا يُقال لها راحة، فاستحسنته وأَخذته عني، وكانت تختلف إلى إِبراهيمَ الموصليّ فسمعها يوماً تُغنيه وتُعابي[2] به جاريةَ من جواريه فاستعادها إِياه، فأَعادته عليه، فقال لها: لمن هذا؟ فقالت: صوت قديم، فقال لها: كذبت، لو كان قديماً لعرفته، وما زالَ يُداريها ويتغاضب عليها حتى اعترفت له بأَنه من صنعتي، فعجِبَ من ذلك، ثم غناه يوماً بحضرة الرشيد، فقال له: لمن هذا اللحن يا إبراهيمُ؟ فأَمسك عنِ الجواب، وخشيَ أنَّ يُكذبه فينمي الخبر إليه من غيره، وخاف من جدي أن يُصدّقه، فقال له: ما لك لا تُجيبني؟ فقال: لا يُمكنني يا أميرَ المؤمنين، فاستراب بالقصة ثم قال: واللَّهِ وتُربة المهديّ لئن لم تصدقني لأُعاقبنّك عُقوبةً موجعة، وتوهّم أنه لعُليةَ أو لبعض حُرمه فاستُطير غضباً، فلما رأى إِبراهيمُ الجِدَّ منه صدقه فيما بينه وبينه سِرّاً، فدعا لوقته الفضل بن الربيع ثم قال له: أَيصنع ولدٌ لك غناءً ويرويه الناس ولا تعرّفني؟ فجزع وحلف بحياته وبيعته أنه ما عرف ذلك قطّ، ولا سمعَ بِه إلَّا في وقته ذلك، فقال له: ابن ابنك عبد اللَّه بن العباس أحضرنيه الساعة، فقال: أنا أمضي وأمتحنه، فإن كان يصلح للخدمة أحضرته، وإلَّا كان أميرُ المؤمنين أولى مَن ستر عورتنا، فقال: لا بدَّ من إِحضاره، فجاء جَدّي فأَحضرني وتغيّظ عليَّ، فاعتذرت وحلفت له أن هذا شيء ما تعمّدته، وإنما غنيت لنفسي وما أَدري من أين خرج، فأَمر بإِحضار عود فأحضر، وأمرني فغنَّيته الصوت، فقال: قد عظُمت مصيبتي فيك يا بنيّ، فحلفت له بالطلاق والعِتاق ألا أقبلَ على الغناء رِفداً أَبداً ولا أُغنيَ إلا لخليفة أو وليّ عهد، ومن لعله أن

(١) الكنكلة: لم يعثر على معنى لها في المعاجم العربية.

(٢) تعابي: تباري.

يكون حاضِراً مجالسهم، طابت نفسُه. فأَحضرني فغنيت الرشيد الصوت، فطرب وشرب عليه أقداحاً، وامرني بالملازمة معَ الجلساء، وجعل لي نوبة، وأَمر بحمل عشرة آلاف دينار إِلى جدّي، وأمره أن يبتاعَ ضيعة لي بها، فابتاع لي ضيعتي بالأهواز، ولم أزلَ مُلازماً للرشيد حتى خرج إِلى خراسان وتأخرت عنه وفرق الموت بيننا.

الواثق يقترضُ ثلاثمائة ألف درهم ليُعطيَها لعبد اللَّه:

قال ابن المرزبان: فكان عبد اللَّه بن العباس سبباً لمعرفة أولياء العهود برأي الخلفاء فيهم، فكان منهمُ الواثق، فإِنه أحبَّ أن يعرف هل يُوليه المعتصمُ العهدَ بعدَه أو لا، فقال له عبد اللَّه: أنا أدلك على وجه تعرف به ذلك، فقال: وما هو؟ فقال: تسأل أمير المؤمنين أن يأْذن للجلساء والمغنين أن يصيروا إليك، فإذا فعل ذلك فاخلع عليهم وعليّ معَهم، فإني لا أَقبل خِلعَتك لليمين التي عليَّ أَن لا أقبل رفداً إلا من خليفة أو ولي عهد، فقعد الواثق ذاتَ يوم وبعث إِلى المعتصم وسأله الإِذن للجلساء فأَذن لهم، فقال له عبد اللَّه بن العباس: قد علم أمير المؤمنين يميني، فقال له: امضِ إليه فإنك لا تحنث[1]، فمضى إليه وأخبره الخبر، فلم يُصدّقه، وظنَّ أَنه يُطيِّب نفسه: فخلع عليه وعلى الجماعة، فلم يقبل عبد اللَّه خِلعته، فكتب إلى المعتصم يشكوه، فبعث إليه: إِقبلِ الخلعة فإنَّه وليُّ عهدي، ونمى إِليه الخبر أن هذا كان حيلة من عبد اللَّه، فنَذر دَمه، ثم عفا عنه، وسرَّ الواثق بما جرى، وأمر إِبراهيمَ بنَ رياح فاقترض له ثلاثمائة ألف درهم، ففرَّقها على الجلساء، ثم عرف غضب المعتصم على عبد اللَّه بن العباس واطِّراحَه إياه، فاطرحه هو أيضاً، فلما ولي الخِلافة استمرَّ على جفائه، فقال عبد اللَّه:

مالي جُفِيتُ وكنت لا أُجفَى أَيام أَرهبُ سَطوة السيفِ
أَدعو إلهي أن أراك خليفة بين المقام ومَسجِد الخيفِ

[الكامل]

ودسَّ من غنَّاه الواثقَ فلما سمعَه سأل عنه فعُرِّف قائله فتذمم ودعا عبد اللَّه فبسطه ونادمه إلى أن مات.

وذكر العتَّابيّ عنِ ابن الكلبيّ أن الواثق كان يشتهي على عبد اللَّه بن العباس:

أَيُّها العاذلُ جهلاً تلومُ قبل أن يَنجاب[2] عنه الصَّريمُ[3]

[المديد]

(١) لا تحنث: لا تأثم بعدم إيفائك بما أقسمت عليه.
(٢) ينجاب: ينجلي، ينكشف. (٣) الصريم: من أسماء الليل.

وأنه غناه يوماً فأمر بأن يخلع عليه خِلعة، فلم يقبله ليمينه، فشكاه إلى المعتصم، فكاتبه في الوقت، فكتب إليه مع مسرورٍ سُمَّانة: إِقبل خلعة هارون فإنك لا تحنث: فقبلها وعرف الواثق أنه وليّ عهد.

يوم السعانين:

حدثني عمّي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبةُ بن هشام قال:

كان عبد اللّه بن العباس يهوى جارية نصرانية، لم يكن يصل إِليها ولا يَراها إلا إذا خرجت إلى البِيعة، فخرجنا يوماً مَعه إلى السعانين، فوقف حتى جاءت فرآها ثم أنشدنا لنفسه وغنى فيه بعد ذلك.

صوت

إن كنت ذا طِبٍّ فداويني ... ولا تسلمْ فاللومُ يُغريني
يا نظرةً أَبقت جوًى[١] قاتلاً ... من شادنٍ[٢] يوم السَّعانينِ
ونظرةً من ربرَب[٣] عينٍ[٤] ... خرجن في أحسن تزيينِ
خرجن يمشين إلى نُزهةٍ ... عواتقاً[٥] بين البساتينِ
مُزنَّراتٌ[٦] بِهمايينها[٧] ... والعيشُ ما تحت الهمايينِ

[السريع]

لحن عبد اللّه بن العباس في هذا الشعر هزج.

عبد اللّه يشرب ليلة الشك بين رمضانَ وشعبانَ:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا محمد بن عمر الجرجانيّ ومحمد بن حماد كاتب راشد، قالا:

---

(١) الجوى: الحُرقة، الحزن.
(٢) الشادن: ولد الظبية وقد اكتمل نضجه، واستغنى عن أمه، وقد نبت قرناه.
(٣) الربرب: القطيع من البقر الوحشي والظباء.
(٤) عين، الواحدة عيناء: وهي ذات العينين الواسعتين الجميلتين، الشديدي السواد والبياض.
(٥) العواتق من الجواري: من أدركت سن النضوج، والواحد عاتق.
(٦) مزنّرات: يتّخذن الزنانير على أوساطهن.
(٧) الهمايين، الواحد هميان، بكسر الهاء: التكة، أو السروال المشدود. فارسي معرّب.

كتب عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ في يوم نيروز ـ اتفق في يوم الشكِّ بين شهر رمضانَ وشعبانَ ـ إلى محمد بن الحارث بن بسخنر يقول:

إسـقـنـي صـفـراءَ صـافـيـةً ... لـيـلـة الـنـيـروزِ والأَحـدِ
حـرَّم الـصـومُ اصـطـبـاحـكـهـا ... فـتـزوَّد شُـربـهـا لـغـدِ
وائـتـنـا أَو فـادْعُـنـا عـجِـلاً ... نـشـتـرك فـي عـيـشـة رغـدِ

[المديد]

قال: فجاءه محمد بن الحارث بن بسخنر فشربا ليلتهما.

خمسة آلاف درهم لأغنية غناها للواثق:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدثنا أَبو أيوبَ المدينيّ، قال: حدثني أحمد بن المكيّ قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، قال: جمع الواثق يوماً المغنين ليصطبح، فقال: بحياتي إلا صنعتَ لي هزجاً حتى أدخل وأخرج إليكمُ الساعة، ودخل إلى جواريه، فقلت هذه الأبيات وغنيت فيها هزجاً قبل أن يخرج وهي:

صـوت

بـأَبـي زَورٌ أتـانـي بـالـغَـلـسْ ... قـمـت إجـلالاً لـه حـتـى جـلـسْ
فـتـعـانـقـنـا جـمـيـعـاً سـاعـةً ... كـادتِ الأرواح فـيـهـا تُـخـتَـلـسْ (١)
قـلـت: يـا سـؤْلـي ويـا بـدر الـدُّجـى ... في ظلام الليل ما خِفت العسسْ (٢)
قـال: قـد خـفـت ولـكـنَّ الـهـوى ... آخـذٌ بـالـروح مِـنـي والـنَّـفـسْ
زارنـي يـخـطـر فـي مِـشـيـتـه ... حـولَـه مـن نـور خـديـه قـبـسْ (٣)

[الرمل]

قال: فلما خرج من دار الحُرَم قال لي: يا عبدَ اللَّه ما صنعت؟ فاندفعت فغنيته، فشرب حتى سكر، وأَمر لي بخمسة آلاف درهم، وأَمرني بطرحه على الجواري فطرحته عليهن.

---

(١) تختلس: تُزهق.
(٢) العسس: حرّاس الليل.
(٣) القبس: الشعاع، الضوء.

من مليح صنعته:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا أبو أيوب المدينيّ، عن حماد، قال:

من مليح صنعة عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، والشعر ليوسفَ بنِ الصيْقل ولحنه هزج.

صوت

أَبعدَ المواثيقِ لي ... وبعد السؤال الحَفي
وبعد اليمين التي ... حلفتِ على المصحفِ
تركتِ الهوى بيننا ... كضوء سِراج طُفي
فليتك إذ لم تفي ... بوعدك لم تُخلفي

[مجزوء المتقارب]

ألف دينار له منَ الواثق:

حدثني الصوليّ، قال: حدثني يزيدُ بن محمد المُهلبيّ، قال:

كان الواثق قد غضب على فريدةَ لكلام أَخفته إِياه فأغضبته، وعرفنا ذلك، وجلس في تلك الأيام للصبوح: فغناه عبد اللَّه بن العباس:

صوت

لا تأمني الصُّرم[1] مني أَن تري كلفي[2] ... وإن مضى لصفاء الودِّ أعصارُ
ما سُمي القلبُ إلا من تقلبه ... والرأْي يُصرَفُ والأَهواء أَطوارُ
كم من ذوي مِقةٍ[3] قبلي وقبلكمُ ... خانوا فأَضحَوْا إِلى الهجران قد صاروا

[البسيط]

فاستعاده الواثق مِراراً وشرب عليه وأعجب به، وأَمر لعبد اللَّه بأَلف دينار، وخلع عليه:

---

(١) الصُّرم: القطيعة.
(٢) كلفي: حبّي وتعلّقي.
(٣) المِقَة: المحبَّة.

الشعر للأحوص، والغناء لعبد اللَّه بن العباس هزج بالوسطى عن عمرو.

المتوكل يفضله على سائر المغنين:

وأخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ، قال:

حدثني عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال: غنيت المتوكل ذاتَ يوم:

أَحـب إلـيـنـا مـنـك دَلّاً ومـا يـرى لـه عـنـد فـعـلـي مـن ثـوابٍ ولا أَجْـرِ

[الطويل]

فطرب وقال: أحسنتَ واللَّهِ يا عبدَ اللَّه لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مُغنياً سِواك أبداً.

محمد بن عبد الملك الزيات يُشيد بذكره بين يدي المعتصم:

نسخت من كتاب لأبي العباس بن ثوابةَ بخطه، حدثني أحمد بن إسماعيلَ بن حاتم، قال:

قال لي عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ: دخلت على المعتصم أودعه وأنا أريد الحجّ، فقبلت يده وودعته، فقال: يا عبدَ اللَّه، إن فيك لَخِصالاً تُعجِبني، كثر اللَّهُ في مواليَّ مثلَك، فقبلت رجله والأَرضَ بين يديه، وأَحسنَ محمد بن عبد الملك الزيات محضري، وقال له: إنه له يا أميرَ المؤمنين أَدباً حَسناً وشعراً جيداً، فلما خرجتُ، قلت له: أيُّها الوزيرُ ما شعري أنا في الشعر تستحسنه وتُشيد بذكره بين يدي الخليفة؟ فقال: دعنا منك، تنتفي منَ الشعر وأنت الذي تقول:

يـا شـادِنـاً مـرَّ إذ را م فـي الـسـعـانـيـن قـتـلـي

يـقـول لـي: كـيـف أَصـبَـحـ ـت كـيـف يُـصـبـح مـثـلـي؟

[المجتث]

أَحسنتَ واللَّهِ في هذا، ولو لم تقل غير هذا لكنت شاعراً.

القاضي العاشق:

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا أَحمد بن المرزبان، قال: قال أبي:

قال عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ: لقيني سوَّار بن عبد اللَّه القاضي وهو سوَّار الأصغر، فأصغى إليّ، وقال: إن لي إليك حاجةً فأْتني في خِفي، فجئته فقال: لي إليك حاجة قد أَنَست بك فيها، لأنك لي كالولد فإن شرطت لي كتمانها أَفضيتُ بها

إليك، فقلت: ذلك للقاضي عليَّ شرطٌ واجبٌ، فقال: إني قلت أبياتاً في جارية لي أميل إليها، وقد قلَتْني[1] وهجرتني، وأحببت أن تصنع فيها لحناً وتُسمعنيه، وإن غنيته وأظهرته بعدُ ألا يعلم أَحدٌ أَنه شِعري فلستُ أُبالي، أَتفعل ذلك؟ قلت: نعم، حباً وكرامة فأنشدني:

صوت

سَلبتِ عِظامي لحمها فتركتِها ... عَواري في أَجلادها تتكسرُ
وأَخليتِ منها مُخها فكأَنها ... أنابيبُ في أجوافها الريحُ تصفِرُ
إذا سمعتْ باسم الفِراق ترعّدت ... مفاصلُها من هول ما تتحذرُ
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب فانظري ... بِلَى جسدي لكنني أَتسترُ
وليس الذي يجري منَ العين ماءَها ... ولكنها روح تذوب فتقطرُ

[الطويل]

اللحن الذي صنعه عبد اللَّه بن العباس في هذا الشعر ثقيل أول، قال عبد اللَّه: فصنعت فيه لحناً ثم عرفته خبره في رقعة كتبتها إليه وسألته وعداً يعدني به للمصير إليه، فكتب إليّ: نظرت في القصة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينكتم عليَّ حضورك وسماعي إياك، وأسأل اللَّهَ أن يَسُرك ويبقيك، فغنيت الصوت وظهر حتى تغنى به الناس، فلقيني سوار يوماً فقال لي: يا ابنَ أَخي قد شاع أَمرك في ذلك الباب حتى سمعناه من بُعدٍ كأنَّا لم نعرفِ القصة فيه، وجعلنا جميعاً نضحك.

غناؤه لبِشر خادم ابن عجيف فرحاً بشفائه:

أخبرني عمّي قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال:

كان بِشرٌ خادم صالح بن عُجيف عليلاً ثم برأ فدخل إلى عبد اللَّه بن العباس، فلما رآه قام فتلقَّاه وأَجلسه إلى جانبه، وشرب سروراً بعافيته، وصنع لحناً منَ الثقيل الأول هو من جيد صنعته:

صوت

مولاي ليس لعيش لستَ حاضرَه ... قَدْر ولا قيمة عندي ولا ثمنُ

(١) قلتني: كرهتني وبعدت عنّي.

ولا فـقـدت مـنَ الـدنـيـا ولـذَّتـهـا شيئاً إذا كان عندي وجهك الحسنُ
[البسيط]

سرور الواثق لبراعة استهلاله وعطاؤه له:

حدثني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ قال:

حدثنا عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ، قال: جمعنا الواثق يوماً بعقب عِلَّة غليظة كان فيها، فعوفيَ وصَحَّ جسمه، فدخلت إليه معَ المغنين وعودي في يدي، فلما وقعت عيني عليه من بعيد وصرت بحيث يسمع صوتي ضربت وغنيت في شعر قلته في طريقي إليه، وصنعت فيه لحناً وهو:

صـوت

إسْـلـمْ وعـمَّـرك الإلـه لأُمـةٍ بـك أصبحتْ قهرت ذوي الإلحادِ
لـو تـسـتـطـيـع وَقَـتْـكَ كـلَّ أَذيّـةٍ بـالـنـفـس والأمـوال والأولادِ
[الكامل]

فضحك وسُر وقال: أَحسنت يا عبدَ اللَّه وسررتني وتيَّمنتُ بابتدائك اذْنُ مني، فدنوت منه حتى كنت أَقرب المغنين إليه ثم استعادني الصوت فأَعدته ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أقداح، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه.

في ساعة الوداع:

حدثني الصولي قال: حدثني عون بن محمد الكِنديّ، قال:

كان عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الربيعيّ يهوى جارية نصرانية، فجاءته يوماً تُودعه، فأَعلمته أن أباها يُريد الانحدار إلى بغدادَ، والمُضيَ بها معَه، فقال في ذلك وغنى فيه:

صـوت

أَفـدي الـتـي قـلـت لـهـا، والـبـيـنُ مـنـا قـد دنـا:
فـقـدُكِ قـد أَنـحَـل جـسـمـي وأذاب الـبـدنـا
قـالـت: فـمـاذا حـيـلـتـي كـذاك قـد ذُبـتُ أنـا
بـالـيـأس بـعـدي فـاقـتـنـع قـلـت: إذاً قـلَّ الـغِـنـا
[مجزوء الرجز]

احتفاله بنصف شعبانَ على طريقته:

حدثني الصوليُّ قال: حدثني عون بن محمد، قال: حدثني علي بن جعفر الهاشميّ، قال:

دخل على عبد اللّه بن العباس في يوم النصف من شعبانَ، وهو يوم سبت وقد عزمت على الصوم، فأَخذ بِعضادتي باب مجلسي ثم قال: يا أميري:

تصبح في السبت غيرَ نشوانِ وقد مضى عنك نصفُ شعبانِ

[المنسرح]

فقلت: قد عزمت على الصوم، فقال: أَفعليك وِزرٌ إن أَفطرتَ اليوم لِمكاني، وسررتني بمساعدتك لي، وصمت غداً، وتصدّقت مكان إِفطارك؟ فقلت: افعل، فدعوت بالطعام فأَكلت، وبالنبيذ فشربنا، وأَصبح من غد عندي فاصطبح وساعدته فلما كان اليوم الثالث انتبهت سَحَراً، وقد قال هذا الشعر وغنى فيه:

شعبانُ لم يبق منه إلَّا ثلاثٌ وعَشرُ
فباكرِ الرَّاحَ[1] صِرفاً[2] لا يسبقنّك فجرُ
فإِن يَفُتك اصطباحٌ فلا يفوتَنك سُكرُ
ولا تُنادِم فتًى وقتُ شُربه الدَّهرَ عصرُ

[المجتث]

قال: فأَطربني واصطبحت معَه في اليوم الثالث، فلما كان من آخر النهار سكر وانصرف وما شربنا يومنا كله إِلا على هذا الصوت.

الاستعداد لشهر الصيام:

حدثني عمّي، حدثني ابن دِهقانة[3] النديم قال:

دخل عبد اللّه بن العباس إلى المتوكل في آخر شعبانَ، فأنشده:

علِّلاني[4] نعِمتُما بمدَامِ[5] واسقياني من قبل شهر الصيامِ

(١) الراح: من أسماء الخمرة.
(٢) صِرْفاً، بكسر الصاد: خالصاً.
(٣) دهقانة: زوجة رئيس الإقليم. فارسي معرّب.
(٤) علّلاني: اسقياني مرّة تلو الأخرى.
(٥) المُدام: بكسر الميم، من أسماء الخمرة.

حـرَّم الـلَّـهُ فـي الـصـيـام الـتـصـابـي فـتـركـنـاه طـاعـةً لـلإِمـام
أَظـهَـر الـعـدل فـاسـتـنـار بـه الـدِّيـ ـن وأَحْـيـا شـرائـع الإِسـلام
[الخفيف]

فأَمر المتوكل بالطعام فأُحضر وبالنديم وبالجلساء فأتي بذلك، فاصطبح وغناه عبد اللَّه في هذه الأبيات، فأَمر له بعشرة آلاف درهم.

عبد اللَّه يحرم المرابين من مائة ألف دينار:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا يزيدُ بن محمد المهلَّبيّ، قال:

حدثنا عبد اللَّه بن العباس قال: كنت مقيماً بسُّر من رأى، وقد ركبني دَينٌ ثقيل أكثره عينة[1] ورِبا، فقلت في المتوكل:

أسـقـيـانـي سَـحَـراً بـالـكـبَّـرَهْ مـا قـضـى الـلَّـهُ فـفـيـه الـخِـيـرَهْ
أكـرم الـلَّـهُ الإِمـام الـمـرتـضـى وأَطـال الـلَّـهُ فـيـنـا عـمـرَهْ
إن أَكُـن أُقـعِـدتُ عـنـه هـكـذا قـدَّر الـلَّـهُ رضـيـنـا قَـدَرَهْ
سـرّه الـلَّـهُ وأَبـقـاه لـنـا أَلـفَ عـامٍ وكـفـانـا الـفـجَـرَهْ
[الرمل]

وبعثت بالأَبياتِ إليه، وكنت مستتراً منَ الغُرماء، فقال لعبيد اللَّه بن يحيى: وقِّع إِليه: من هؤلاء الفجرة الذين استكفيتَ اللَّه شرَّهم، فقلت: المعَيَّنون الذين قد ركبني لهم أكثر مما أخذت منهم منَ الدين بالربا، فأَمر عبيد اللَّه أن يقضيَ ديني، وأن يَحسُب لهم رؤوس أموالهم ويُسقِط الفضلَ، ويُناديَ بذلك في سر من رأى حتى لا يقضيَ أَحدٌ أحداً إلا رأس ماله، وسقط عني وعنِ الناس منَ الأَرباح زُهاءُ مائة ألف دينار كانت أبياتي هذه سببها.

عتبه على إخوانه واعتذارهم له:

حدثني الصوليُّ، قال: حدثني عون بن محمد الكِنديّ قال: حدثني أبي، قال:

مرض عبد اللَّه بن العباس بسر من رأى في قدمةٍ قدِمها إِليها، فتأخر عنه من كان يثق به، فكتب إِليهم:

أَلا قـلْ لـمـن بـالـجـانـبـيـن بـأَنـنـي مـريـض عَـداني[2] عـن زيـارتـهـمْ مـا بـي
فـلـو بـهـمُ بـعـضُ الـذي بـي لـزرتـهـمْ وحاش لهم من طول سُقمي وأَوصابي[3]

(١) العينة: بيع الشيء إلى أجل مسمى بزيادة ثمنه مقابل انتظار الحصول على الثمن.
(٢) عداني: صرفني. (٣) الأوصاب، الواحد وصب: الأوجاع والأسقام.

وإن أَقشعت[١] عني سحابة عِلَّتي تطاول عَتبي إن تأَخَّر إعتابي[٢]
[الطويل]

قال: فما بقى أحد من إِخوانه إلا جاءه عائداً معتذراً.

غناؤه عند علُّويه:

أخبرني عمّي قال: حدثني عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن موسى، قال:

سمعت عبد اللَّه بن العباس يُغني، ونحن مجتمعون عند علُّويه بشعر في النصرانية التي كان يهواها، والصنعة له:

صوت

إنّ في القلب منَ الظبي كُلومْ[٣] فدعِ اللومَ فإن اللومَ لومْ
حبذا يومُ السَّعانين وما نِلتُ فيه من نَعيم لو يَدومْ
إن تكن أعظمتَ أن همتُ به فالذي تركب من عذلي عظيمْ
لم أكِّنْ أولَ من سنَّ الهوى فدَعِ اللوم فذا داءٌ قديمْ
[الرمل]

الغناء لعبد اللَّه هزج بالوسطى.

عبد اللَّه يعلم وصيفته هِيلانة:

حدثني أبو بكر الربيعيّ، قال:

حدثتني عمتي ـ وكانت رُبِّيت في دار عمها عبد اللَّه بن العباس ـ قالت: كان عبد اللَّه لا يُفارق الصبوحَ أَبداً إلا في يوم جمعة، أو شهر رمضان، وإذا حجَّ، وكانت له وصيفة يُقال لها هِيلانة قد رباها وعلمها الغِناء، فأَذكرُه يوماً وقدِ اصطبح، وأنا في حجره جالسة والقدح في يده اليمنى، وهو يلقي على الصَّبيَّة صوتاً أوله:

صدَعَ[٤] البَيْنُ[٥] الفؤادا إذ به الصائحُ نادى
[الهزج]

(١) أقشعت: انكشفت وزالت.
(٢) الإعتاب: اللوم على التأخير.
(٣) الكلوم، الواحد كلم: الجراح.
(٤) صدع: فرّق.
(٥) البين: الفراق، البعد.

فهو يردده ويومىءُ بجميع أعضائهِ إليها يُفهمها نَغَمَهُ ويُوقع بيدِه على كتفي مرة، وعلى فخذي أخرى، وهو لا يدري، حتى أوجعني فبكيت وقلت: قد أوجعتني مما تضربني وهِيلانة لا تأخذ الصوت وتضربني أنا، فضحك حتى استلقى واستملح قولي، فوهب لي ثوب قصب أصفر، وثلاثة دنانيرَ جُدُداً، فما أنسى فرحي بذلك وقِيامي به إلى أمي وأنا أَعدو إِليها وأضحك فرحاً به.

نسبة هذا الصوت

صـوت

صـدَع الـبـيـنُ الـفـؤادا إذ بـه الـصـائـحُ نـادى
بـيـنـمـا الأَحـبـاب مـجـمـو عـون إذ صـاروا فُـرَادى
فـأَتـى بـعـضٌ بـلاداً وأتـى بـعـضٌ بـلادا
كـلـمـا قـلـتُ تـنـاهـى حـدثـانُ الـدهـر عَـادا

[الهزج]

الشعر والغناء لعبد اللَّه هزج بالوسطي عن عمرو.

صـوت

حـضـر الـرحـيـل وشُـدت الأحـداجُ[١] وغـدا بـهـن مُـشـمِّـر مِـزعـاجُ
لـلـشـوق نـيـرانٌ قَـدَحْـنَ بـقـلـبـه حـتـى اسـتـمرَّ بـه الـهـوى الـمِـلـجاجُ[٢]
أَزعـجْ هـواكَ إِلـى الـذيـن تـحـبـهـمْ إن الـمـحـبَّ يـسـوقـه الإِزعـاجُ
لـن يُـدنِـيـنَّـك لـلـحـبـيـب ووصـلـه إلا الـسُّـرى والـبـازلُ[٣] الـهـجـهـاجُ[٤]

[الكامل]

الشعر لسَلْم الخاسر، والغناء لهاشم بن سُليمانَ ثقيل أَول بالوسطى.

---

(١) الأحداج، الواحد حِدْج، بكسر الحاء وسكون الدال: ما تتخذه المرأة مركباً لها كالهودج والمحفّة.
(٢) المِلجاج، بكسر الميم: الشديد الخفقان والمتردّد.
(٣) البازل: الجمل الذي نبت نابه، وهو في عامه التاسع.
(٤) الهجهاج: الشديد الهدير من الإبل.

أَخبار سَلْم الخاسر ونسبه

اسمه ونسبه:

سَلْم بن عمرو مولى بني تميم بن مُرَّةَ، ثم مولى آل أبي بكر الصديق رضوان اللَّه عليه، بصريّ شاعر مطبوع متصرّف في فنون الشعر، من شعراء الدولة العباسية، وهو راوية بشار بن بُرْد وتلميذه، وعنه أخذ، ومن بحره اغترف، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر.

لماذا لقب بالخاسر؟

ولُقب سَلْمٌ بالخاسر فيما يُقال لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً، وقيل: بل خلف له أبوه مالاً فأنفقه على الأدب والشعر، قال له بعض أهله: إنك لخاسر الصَّفقة، فلقّب بذلك.

بينه وبين أبي العتاهية:

وكان صديقاً لإبراهيمَ الموصليّ ولأبي العتاهية خاصةً منَ الشعراء والمغنين، ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية، وكان سَلْمٌ منقطعاً إلى البرامكة وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم، وفيه يقول أبو العتاهية:

إِنما الفضلُ لسَلْم وحدَهُ ... ليس فيه لسوى سَلْم دَركْ

[الرمل]

وكان هذا أحد الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية، ولسَلْم يقول أبو العتاهية، وقد حجّ مع عُتبةَ:

واللَّهِ واللَّهِ ما أُبالي متى ... ما متُّ يا سلْمُ بُعْدَ ذا السَّفرِ

أَليس قد طُفتُ حيث طافت وقبَّلتُ الذي قبَّلتْ منَ الحجَرِ

[المنسرح]

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبس إبراهيمُ الموصليّ:

سَلْمُ يا سلْمُ ليس دونك سِرُّ ... حُبِسَ الموصليُّ فالعيش مُرُّ

مـا استـطـاب الـلـذاتِ مُـذْ سكـن الـمُـطْـ ـبـقَ رأسُ الـلـذاتِ والـلَّـهِ حُـرُّ
تـرك الـمـوصـلـيُّ مـن خَـلـق الـلَّـ ـهُ جـمـيـعـاً وعـيـشُـهـمْ مـقـشـعـرُّ
[الخفيف]

عود إلى لقبه:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عليّ بن الحسن الواسطيّ، قال: حدثني أبو عمرو سعيد بن الحسن الباهليُّ الشاعر، قال:

لما مات عمرو أبو سَلْم الخاسر اقتسموا ميراثه، فوقع في قسط سَلْم مُصحف، فرده وأخذ مكانه دفاترَ شعر كانت عند أبيه، فلقب الخاسرَ بذلك.

أخبرني الحسن، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عمرَ الجرجانيّ، قال:

ورث سَلْمٌ الخاسر أَباه مائةَ ألف درهم، فأنفقها على الأدب وبقيَ لا شيء عنده، فلقيه الجيرانُ ومَن يعرفه بسَلْم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على ما لا ينفعه، ثم مدح المهديّ أَوِ الرشيد، وقد كانً بلغه اللقب الذي لُقب به، فأَمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كَذِّب بهذا المال جيرانك، فجاءهم بها، وقال لهم: هذه المائة الأَلف التي أنفقتها، وربحت الأدب، فأَنا سَلْم الرابح لا سَلْم الخاسر.

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه، قال:

إنما لقب سَلْمٌ الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عمّي الفضل، قال:

قال لي الجماز: سَلْمٌ الخاسر خالي لحّاً[1] فسألته: لِمَ لُقِّبَ الخاسرَ؟ فضحك ثم قال: إنه قد كان نسك مدة يسيرة، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه وباع مصحفاً له ورثه عن أبيه، وكان لجَده قبله، واشترى بثمنه طنبوراً، فشاعَ خبره وافتضح، فكان يقال له: ويلك، هل فعل أحد ما فعلت؟ فقال: لم أجد شيئاً أتوسل به إلى إبليسَ هو أَقر لعينه من هذا.

(١) خالي لحّاً: لاصق بي.

مع بشار بن بُرد:

أخبرني عمّي، قال: أَنبأَنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن صالح المؤَدّب، وأخبرنا يحيى بن عليّ إجازة، قال: حدثني أَبي عن أحمدَ بن صالح، قال:

قال بشار بن بُرد:

صـــوت

لا خيرَ في العيشِ إنْ دُمنا كذا أبداً ... لا نلتقي وسبيلُ الملتقى نَهِجُ
قالوا: حرامٌ تلاقينا، فقلت لهم: ... ما في التلاقي ولا في غيره حَرجُ
من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيِّبات الفاتِكُ اللهِجُ

[البسيط]

قال: فقال سَلْم الخاسر أبياتاً، ثم أخذ معنى هذا البيت فسلخه وجعله في قوله:

من راقب الناس مات غمَّاً ... وفاز باللذة الجسورُ

[مخلع البسيط]

فبلغ بيتهُ بشاراً فغضب واستشاط، وحلف ألَّا يدخل إِليه ولا يفيده ولا ينفعه ما دام حيّاً، فاستشفع إِليه بكل صديق له وكل من يثقل عليه ردّه، فكلموه فيه، فقال: أدخلوه إِليَّ، فأدخلوه إِليه، فاستدناه ثم قال: إِيهِ يا سَلْمُ منِ الذي يقول:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهجُ

[البسيط]

قال: أنت يا أبا مُعاذ، قد جعلني اللَّه فداءك، قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غمّاً ... وفاز باللذة الجسورُ

[مخلع البسيط]

قال: تلميذك وخِرِّيجك وعبدُك يا أَبا معاذ، فاجتذبه إِليه وقنعه بمخصرة كانت في يده ثلاثاً، وهو يقول: لا أَعود يا أَبا معاذٍ إلى ما تُنكره ولا آتي شيئاً تذمه، إِنما أنا عبدك وتلميذك وصنيعتك، وهو يقول له: يا فاسقُ أَتجيء إلى معنى قد سهرتْ له عيني وتعب فيه فكري، وسبقتُ الناس إِليه فتسرقه ثم تختصره لفظاً تُقربه به لتُزري عليَّ وتذهب ببيتي؟ وهو يحلف له ألَّا يعود، والجماعة يسألونه، فبعد لأي[1] وجهدٍ ما شفعهم فيه، وكف عن ضربه، ثم رجع له ورضيَ عنه.

(١) اللأي: التعب الشديد، والإرهاق.

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار، قال: أخبرني يعقُوب بنُ إِسرائيلَ مولى المنصور، قال: حدثني عبد الوهّاب بن مرار، قال: حدثني أبو مُعاذ النميريّ راوية بشار، قال:

وقد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت:

مـن راقـب الـنـاس لـم يـظـفـر بـحـاجـتـه وفـاز بـالـطـيـبـات الـفـاتـك الـلـهـجُ

[البسيط]

قال: فقلت له: يا أَبا معاذ، قد قال سَلْم الخاسر بيتاً هو أَحسن وأَخفّ على الألسن من بيتك هذا، قال: وما هو؟ فقلت:

مـن راقـب الـنـاس مـات غـمّـاً وفـاز بـالـلـذة الـجـسـورُ

[مخلع البسيط]

فقال بشار: ذهب واللَّهِ بيتنا، أَما واللَّهِ لودِدْت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ وإِني مغرَّمٌ ألف دينار محبةً مني لهتك عِرضِه وأَعراض مواليه، قال: فقلت له: ما أَخرجَ هذا القولَ منك إلا غمٌّ، قال: أَجل فواللَّهِ لا طعِمتُ اليومَ طعاماً ولا صمتُ.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن إِسحاقَ بن محمد النخعيّ، قال:

قال أبو معاذ النميريّ: قال بشار قصيدة، وقال فيها:

مـن راقـب الـنـاس لـم يـظـفـر بـحـاجـتـه وفـاز بـالـطـيـبـات الـفـاتـك الـلـهـجُ

[البسيط]

فعرفته أن سَلْماً قد قال:

مـن راقـب الـنـاس مـات غـمّـاً وفـاز بـالـلـذة الـجـسـورُ

[مخلع البسيط]

فلما سمع بشار هذا البيت قال: سار واللَّهِ بيت سَلْم وخمل بيتُنا، قال: وكذلك كان، لهج الناس ببيت سَلْم ولم يُنشِد بيتَ بشار أحدٌ.

قوله في قصر صالح بن المنصور بدجلة:

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصيرفيّ، قال: حدثني الحسن بن عليل العَنزيّ قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ، قال:

لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلةَ قال فيه سَلْم الخاسر:

يا صالحَ الجودِ الذي مجدُه ... أفسدَ مجدَ الناس بالجودِ
بنيتَ قصراً مُشرفاً عالياً ... بطائرَي سعدٍ ومَسعودِ
كأَنما يرفع بنيانه ... جِنُّ سليمانَ بنِ داودِ
لا زلت مسروراً به سالماً ... على اختلاف البيض والسُّودِ

[السريع]

يعني الأيام والليالي، فأَمر له صالح بأَلف درهم.

أول عطية سنية وصلت إليه:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني بعض آل ولد حمدون بن إِسماعيلَ ـ وكان يُنادم المتوكل ـ عن أبيه، قال:

كان سَلْم الخاسر من غِلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عُمَر بنِ العلاء، وهي التي يقول فيها:

إذا نبَّهتكَ صِعابُ الأُمورِ ... فنبه لها عُمَراً ثُمَّ نمْ
فتىً لا يبيت على دِمنةٍ[1] ... ولا يشرب الماء إلا بدَمْ

[المتقارب]

بعث بها مع سَلْم إلى عمرَ بنِ العلاء، فوافاه فأَنشده إياها فأمر لبشار بمائة ألف درهم، فقال له سَلْم: إن خادمك ـ يعني نفسه ـ قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإِنك لهناك؟ قال: تسمع ثم تحكم، قال: هاتِ، فأَنشده:

صوت

قد عَزَّني الداءُ فما لي دواءْ ... مما أَلاقي من حِسان النساءْ
قلب صحيح كنت أَسطو به ... أَصبح من سلمَى بداءٍ عَياءْ
أَنفاسُها مسكٌ وفي طرفها ... سِحرٌ وما لي غيرُها من دواءْ
وعدتني وعداً فأَوفي به ... هل تصلحُ الخمرةُ إلا بماءْ؟

[السريع]

(١) الدِّمنة، بكسر الدال: الحقد الدائم.

ويقول فيها:

كـم كُـربـةٍ قـد مـسّـنـي ضـرُّهـا نـاديـت فـيـهـا عُـمـرَ بـن الـعـلاءْ

[السريع]

قال: فأَمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أَول عطية سنية وصلت إِليه.

عاصم بن عتبةَ يعطي سَلْماً ثم يرثه:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: وجدت في كتاب بخط الفضل بن مروان:

وكان عاصم بن عُتبةَ الغسانيّ جَدُّ أبي السمراء الذي كان معَ عبد اللَّه بن طاهر صديقاً لسَلْم الخاسر كثيرَ البرِّ به والملاطفة له، وفيه يقول سَلَم:

ألـجـودُ فـي قـحـطـانٍ مـا بـقـيـت غَـسَّـانُ

واسـلـمْ ولا أُبـالـي مـا فـعـل الإخـوانُ

مـا ضـرَّ مـرتـجـيـه مـا فـعـل الـزمـانُ

مـن غـالَـه مَـخُـوفٌ فـعـاصـمٌ أَمـانُ

[مشطور الرجز]

وكانت سبعينَ بيتاً، فأَعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مبلغ ما وصل إلى سَلْم من عاصم خمسمائة ألف درهم، فلما حضرته الوفاة دعا عاصماً فقال له: إني ميت ولا ورثةَ لي، وإن مالي مأْخوذ فأَنت أحق به، فدفع إِليه خمسمائة ألف درهم، ولم يكن لسَلْم وارث، قال وكان عاصم هذا جواداً:

يزيدُ بن مزيد يحسد عاصماً لأبيات قالها فيه سَلَم:

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن طهمانَ، قال: أخبرني القاسم بن موسى بن مزيد.

أن يزيدَ بن مزيد، قال: ما حسدت أَحداً قطّ على شعر مُدح به إلا عاصمَ بن عُتبةَ الغسانيّ، فإِني حسدته على قول سَلْم الخاسر فيه:

لـعـاصـم سـمـاءٌ عـارضـهـا تـهـتـانُ

أَمـطـارهـا الـلُّـجـيـن[1] والـدُّر والـعِـقـيـانُ[2]

(١) اللجين: الفضة.

(٢) العِقيان بكسر العين: الذهب الخالص.

ونـــــاره تُـــــنـــــادي إذ خـــبَـــتِ الـــنـــيـــرانُ
ألـــجـــود فـــي قـــحـــطـــانٍ مـــا بـــقـــيـــت غـــسَّـــانُ
إســـلـــم ولا أُبـــالـــي مـــا فـــعـــل الإخـــوانُ
صـــلَّـــت لـــه الـــمـــعـــالـــي والـــسّـــيـــف والـــسّـــنـــانُ

[مشطور الرجز]

تقديمه لأبي العتاهية على بشار ثم انحرافه عنه:

أَخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثنا يعقوبُ بنُ نُعيم، عن محمد بن القاسم بن مهرويه: وأخبرني به الحسن بن عليّ، عنِ ابن مهرويه، عنِ الغَريبي، عن محمد بن عمرَ الجرجانيّ، قال:

كان سَلْم تلميذ بشار إلا أنه كان تَباعد ما بينهما، فكان سَلْم يُقدِّم أبا العتاهية، ويقول: هو أشعر الجن والإِنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سَلْما:

تـعـالـى الـلَّـه يـا سَـلَـم بـنَ عـمـرو أَذلَّ الـحـرص أَعـنـاق الـرجـالِ
هَـبِ الـدنـيـا تـصـيـر إِلـيـك عـفـواً أَلـيـس مـصـيـر ذاكَ إلـى زوالِ؟!

[الوافر]

قال: وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه وقال: لعمري إن الحرص مفسدةٌ لأَمر الدين والدنيا، وما فتَّشتُ على حريص قطُّ مُغَيَّبهُ إِلا انكشف لي عما أَذمُّه، وبلغ ذلك سَلْماً فغضب على أبي العتاهية، وقال: ويلي على الجرَّار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أني حريص وقد كنز البدور وهو يَطلب، وأنا في ثوبيَّ هذين لا أملك غيرهما.

وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك.

رده على أبي العتاهية:

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: أخبرني محمد بن إِسماعيلَ السدوسيّ، قال: حدثني جعفر العاصميّ وأخبرني عمّي عن أحمدَ بن أبي طاهر، عنِ القاسم بن الحسن، عن ذكريا بن يحيى المديني عن علي بن المبارك القُضاعيّ.

عن سَلْم الخاسر أن أَبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إِليه:

مـا أقـبـحَ الـتـزهـيـدَ مـن واعـظٍ يُـزهِّـد الـنـاسَ ولا يَـزهـدُ
لـو كـان فـي تـزهـيـده صـادقـاً أَضـحـى وأَمـسـى بـيـتـهُ الـمـسـجِـدُ

ورفـض الـدنـيـا فـلـم يـلـقـهـا ولـم يـكـن يَـسـعـى ويَـسـتـرفـدُ
يـخـاف أن تـنـفـد أَرزاقُـه والـرزق عـنـد الـلَّـه لا يـنـفـدُ
ألـرزق مـقـسـوم عـلـى مَـن تـرى يـنـالـه الأَبـيـض والأَسـودُ
كـلٌّ يـوفَّـى رزقَـه كـامـلاً مـن كـفَّ عـن جَـهـدٍ ومـن يَـجـهـدُ

[السريع]

الجماز ينتصر لخاله سَلْم من أبي العتاهية:

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو العسكر المِسمعيّ ـ وهو محمد بن سُليمانَ ـ قال: حدثني العباس بن عبيد اللَّه بن غسان بن عبد الملك بن مسمع، قال:

كنا عند قُثم بن جعفر بن سُليمانَ، وهو يوَمئذٍ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية يُنشده شعره في الزهد، فقال لي قثم: يا عباس، اطلب ليَ الجماز الساعةَ حيث كان فجئني به، ولك سبَقٌ، فوجدته جالساً عند ركن دار جعفر بن سُليمانَ، فقلت له: أَجبِ الأمير، فقام معي حتى أَتى قثَم، فجلس في ناحية مَجلِسه وأبو العتاهية يُنشده، ثم قام إِليه الجمَّاز فواجهه وأنشد قول سَلْم الخاسر فيه:

مـا أَقـبـح الـتـزهـيـدَ مـن واعـظ يُـزهِّـد الـنـاسَ ولا يَـزهـدُ
لـو كـان فـي تـزهـيـده صـادقـاً أضـحـى وأَمـسـى بـيـتـه الـمـسـجـدُ

[السريع]

وذكر الأبيات كلها، فقال أَبو العتاهية: من هذا أَعز اللَّهُ الأمير؟ قال: هذا الجماز، وهو ابن أخت سَلْم الخاسر، انتصر لخاله منك حيث قلت له:

تـعـالـى الـلَّـه يـا سَـلَـمَ بـنَ عـمـرو أَذلّ الـحـرص أعـنـاق الـرجـالِ

[الوافر]

قال: فقال أبو العتاهية للجماز يا ابنَ أخي إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذهب خالك، ولا أردت أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذهبتَ منَ الحرص على الرزق، واللَّهُ يغفر لكما، ثم قام فانصرف.

عطايا الرشيد وآل برمك له:

أَخبرني عمّي عن أحمدَ بنِ أبي طاهر، عن أبي هِفانٍ قال:

وصل إلى سَلْم الخاسر من آل برمك خاصةً سوى ما وصل إِليه من غيرهم عشرون ألف دينار، ووصل إليه منَ الرشيد مثلُها.

سَلْم يطلب من شاعر أن يَهجوه ثم يندم:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عماي عبيدُ اللَّه والفضل عن أَبيهما.

عن أبي محمد اليزيديّ أنه حضر مجلس عيسى بن عُمرَ، وحضر سَلْم الخاسر، فقال له: يا أبا محمد، اهجُني على روي قصيدة امرئ القيس.

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَل مخرج كفَّيه في ستره

[المديد]

قال: فقلت له: ما دَعاك إلى هذا، قال: كذا أريد، فقلت له: يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عمَّا تستدعيه منَ الشر فلتسْعك العافية، فقال: إنك لتحتجز مني نهاية الاحتجاز[١]، وأَراد أن يُوهم عيسى أني مُفحَم عييٌّ لا أقدر على ذلك، فقال لي عيسى: أسألك يا أبا محمد بحقي عليك إِلَّا فعلت فقلت:

ربَّ مغموم بعافيةٍ غمط النعمة من أَشرهْ[٢]
وامرئ طالت سلامته فرماه الدهر من غِيرِهْ[٣]
بسهام غير مُشوية[٤] نقضت منه قوى مِرَرِهْ[٥]
وكذاك الدهر مُنقلب بالفتى حالينِ من عصُرِهْ
يخلط العُسر بميسرةٍ ويسار المرء في عُسرِهْ
عَقّ سَلْمٌ أُمّه صغراً وأَبا سَلْم على كِبرهْ
كل يوم خَلفه رجلٌ رامحٌ يسعى على أَثرِهْ
يولج الغُرمول[٦] سَبَّته[٧] كولوج الضَّب في جُحرِهْ

[المديد]

قال: فاغتم سَلْم وندم، وقال: هكذا تكون عاقبة البَغي والتعرض للشر، فضحك عيسى، وقال له: قد جهد الرجُل أن تدعه وصيانته ودينه، فأَبيت إِلا أن يدخلك في حِرِ أُمك.

---

(١) الاحتجاز: التحذّر، الاحتراس. (٢) الأشر: البطر، التكبّر.
(٣) الغِير، بكسر الغين: المصائب والويلات المفاجئة.
(٤) مُشوية: لا تخطئ هدفها. (٥) المِرَر، الواحدة مرّة: الحبل المجدول بشدّة.
(٦) الغرمول: ذكر الرجل.
(٧) سبّته: إسته.

إسراف وبخل:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن محمد النوفليّ قال: سمعت أبي يقول:

كان المهديّ يُعطي مروانَ وسَلْماً الخاسر عطيةً واحدة، فكان سَلْم يأتي باب المهديّ على البرذون[١] الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام مفضضين، ولباسه الخزُّ والوشي وما أشبهَ ذلك منَ الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المِسك والطيب والغالية[٢] تفوح منه، ويجيء مروان بن أبي حفصةَ عليه فرو كبلٌ[٣] وقميص كرابيس[٤] وعِمامة كرابيس وخفًّا كَبَلٍ وكساءٌ غليظ، وهو منتن الرائحة، وكان لا يأكل اللحم حتى يقرَم[٥] إليه بُخلاً، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأْساً فأَكله، فقال له قائل: أَراك لا تأكل إلا الرأس قال: نعم أَعرف سعره فآمن خِيانة الغلام، ولا أَشتري لحماً فيطبخه فيأكل منه والرأس آكل منه أَلواناً، آكل منه عينيه لوناً، ومن غلْصمته لوناً، ومن دماغه لوناً.

بلاؤه بالكيميا:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ، قال: أخبرني أَبي، قال:

كان سَلْم الخاسر قد بُلي بالكيمياء، فكان يذهب بكل شيء له باطلاً، فلما أراد اللَّه عزّ وجلّ أن يصنع له عُرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً وأنه لا يصل إليه أَحد إلا ليلاً، فسأل عنه فدلوه عليه، قال: فدخلت إِليه إلى موضع مُعور، فدققت الباب، فخرج إليَّ فقال: من أنت، عافاك اللَّه؟ فقلت: رجل مُعجب بهذا العلم، قال: لا تَشهرني فإِني رجل مستور، إِنما أَعمل القوت، قال: قلت: إني لا أشهرك إنما أَقتبس منك، قال: فاكتم ذلك، قال: وبين يديه كوز شَبَّه[٦] صغير فقال لي: إِقلع عروته، فقلعتها، فقال: اسبكها في البَوْطقة، فسبكتها، فأَخرج شيئاً من تحت مُصلاه، فقال: ذُره عليه، ففعلت، فقال: أفرغهُ فأفرغته، فقال: دعه معَك، فإِذا أصبحت

(١) البرذون: البغل.
(٢) الغالية: مزيج من الطيوب، الغالي الثمن.
(٣) كبل: قصير.
(٤) كرابيس، الواحد كرباس، بكسر الكاف: ثوب قطني أو كتاني خشن.
(٥) يقرم: يشتهي اللحم.
(٦) الشبَّه: النحاس الأصفر.

فاخرُج فبعْه وعُد إِليّ، فأخرجته إلى باب الشام، فبعتُ المثقال بإحدى وعشرينَ درهماً، ورجعت إليه فأخبرته فقال: اُطلبِ الآن ما شئت، قلت: تُفيدني، قال: بخمسمائة درهم، على ألا تعلمه أحداً، فأَعطيته وكتب لي صفة، فامتحنتها فإِذا هي باطلة، فعدت إِليه، فقيل لي: قد تحوَّل، وإِذا عُروة الكوز المشبه من ذهب مركبة عليه، والكوز شبهٌ، ولذلك كان يدخل إِليه من يطلبه ليلاً ليُخفي عليه، فانصرفت، وعلمت أن اللَّه عزّ وجلّ أراد بي خيراً، وأن هذا كله باطل.

رثاؤه للبانوكة بنت المهدي:

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصيرفيّ، قال: حدثنا العنزيّ، قال: حدثني أبو مالك اليمانيّ، قال: حدثني أبو كعب، قال: لما ماتتِ البانوكة بنت المهديّ رثاها سَلْم الخاسر بقوله:

أودى ببانوكة ريبُ الزمانِ ... مؤنسةُ المهديّ والخيزرانِ
لم تنطوِ الأرضُ على مثلها ... مولودة حنَّ لها الوالدانِ
بانوكَ يا بنتَ إمام الهُدى ... أَصبحتِ من زينة أهل الجِنانِ
بكت لكِ الأرض وسكانها ... في كل أفق بين إِنس وجانِ

[السريع]

هجاؤه لوالبةَ بنِ الحُباب:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الشيبانيّ، قال: حدثني أبو المستهل الأسديّ ـ وهو عبد اللَّه بن تميم بن حمزةَ قال:

كان سَلْم الخاسر يُهاجي والبةَ بنَ الحُباب، فأرسلني إليه سَلْم، وقال: قل له:

يا والبَ بنَ الحُباب يا حلَقي[1] ... لست من أهل الزناءِ فانطلقِ
تدخل فيه الغُرمول تُولجه ... مثل ولوج المفتاح في الغلَقِ

[المنسرح]

قال: فأَتيت والبةَ فقلت له ذلك، فقال لي: قل له يا ابنَ الزانية سل عنك ربعان التميميّ ـ يعني أنه ناكه ـ قال: وكان رَبعان لوطيّاً آفة منَ الآفات، وكان علامة ظريفاً.

قال: فحدثني جعفر بن محمد العجليّ، عن أَحمد بنِ معاويةَ الباهليّ قال:

(١) الحلقي: المأبون.

سمعت ربعان، يقول: نكت الهيثم بن عديّ فمن ترونه يُفلت مني بعده؟

المهديّ يتوعده لمدحه بعضَ العلويين ثم يعفو عنه بعد اعتذاره:

وأخبرني أحمد بن العباس العسكريّ، قال: حدثني العنزيّ، قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ، قال:

كان سَلْم الخاسر مدح بعضَ العلويين، فبلغ ذلك المهديَّ فتوعده، وهم به، فقال سَلْم فيه:

إنـي أتـتـنـي عـلـى الـمـهـديّ مَـعـتـبـةٌ ... تـكـاد مـن خـوفـهـا الأحـشـاءُ تـضـطـربُ
إسـمـعْ فِـداك بـنـو حـواءَ كـلُّـهـمُ ... وقـد يَـحـور[1] بـرأس الـكـاذب الـكـذبُ
فـقـد حـلـفـتُ يـمـيـنـاً غـيـر كـاذبـةٍ ... يـومَ الـمَـغـيـبـة[2] لـم يُـقـطـع لـهـا سـببُ
أَلا يُـحـالـف مـدحـي غـيـركـمْ أبـداً ... ولـو تـلاقى عـليَّ الـغَـرْضُ[3] والـحَـقَـبُ[4]
ولـو مـلـكـت عـنـان الـريـح أَصـرفـهـا ... فـي كـل نـاحـيـة مـا فـاتـهـا الـطـلـبُ
مـولاك مـولاك لا تُـشـمـت أعـادَيـه ... فـمـا وراءَك لـي ذكـرٌ ولا نـسـبُ

[البسيط]

فعفا عنه.

رأي أبي عُبيدةَ معمر في سَلْم:

أخبرني أحمد بن العباس وأَحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، قالا: حدثنا العنزيّ، قال: حدثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بنِ سُليمانَ، قال: حدثني موسى بن عبد اللَّه بن شهاب المسمعيّ، قال:

سمعت أَبا عُبيدةَ معمرَ بنَ المثنى يقول: كان سَلْم الخاسر لا يُحسن أن يمدح، ولكنه يحسن أن يرثيَ ويسأل.

سلم يُعدّ المراثي قبل موت أصحابها:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عليّ بن الحسن الشيباني، قال:

---

(١) يحور: يُودي.
(٢) يوم المغيبة: يوم القيامة.
(٣) الغرْض: ما يُشدّ به وسط المرء كالحزام.
(٤) الحَقَب، بالفتح: ما يشدّ به وسط المرء.

حدثني أبو المستهل، قال: دخلت يوماً على سَلْم الخاسر، وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار، يرثي ببعضها أم جعفر، وببعضها جارية غير مسماة، وببعضها أقواماً لم يموتوا، وأم جعفر يوَمئذٍ باقية، فقلت له: ويحك، ما هذا؟ فقال: تحدث الحوادث، فيطالبونا، بأَن نقول فيها، ويستعجلونا، ولا يجعل بنا أن نقول غير الجَيد، فنُعِد لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً، على أنه قيل في الوقت.

سَلْم يشتم أبا العتاهية:

أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بن الحسين، قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: قال عبد اللَّه بن الحسن الكاتب:

أُنشد المأمون قولَ أبي العتاهية:

تعالى اللَّه يا سَلْمَ بنَ عمر أَذلَّ الحرصُ أَعناق الرجالِ

[الوافر]

فقال المأمون: صدق لعمرُ اللَّه، إن الحرص مفسدة للدين والمروءة، واللَّهِ ما رأيتُ من رجل قطّ حِرصاً ولا شَرهاً، فرأيت فيه مصطنعاً، فبلغ سَلْماً الخاسر فقال: ويلي على ابن الفاعلة بياع الخَزَف، كنز البُدور بمثل ذلك الشعر المُفكك الغَثّ، ثم تزهّد بعدَ أنِ استغنى، وهو ـ دائباً ـ يهتف بي وينسبني إلى الحِرص، وأنا لا أملك إلا ثوبيَّ هذين.

أبو الشمقمق يهجو سَلْماً:

أخبرني عمّي والحسن بن علي، قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهرانَ، قال:

طالب أبو الشَّمَقمق سَلْماً الخاسر بأَن يهب له شيئاً، وقد خرجت لسَلْم جائزةٌ، فلم يفعل، فقال أَبو الشمقمق يهجوه:

يا أمَّ سَلْم هداكِ اللَّه زُورينا كيما ننيكك فرداً أَو تنيكينا
ما إِن ذكرتُك إلا هاج لي شبق[1] ومثلُ ذكراك أُمَّ السَّلم يَشجينا[2]

[البسيط]

(١) الشبق: اشتداد الشهوة الفاسدة.
(٢) يشجينا: يُحزننا.

قال: فجاءه سَلْم فأَعطاهُ خمسة دنانير، وقال: أُحبُّ أن تُعفيني من استزارتك أُمي وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها.

سَلْم يمدح يعقوب بنَ داودَ بعد أن ولَّاه المهديّ وعزل أَبا عُبيد اللَّه:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدثني محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه، قال:

دخل الربيع على المهديّ، وأبو عبيد اللَّه جالسٌ يعرضُ كتباً، فقال له أبو عبيد اللَّه: مُرْ هذا أَن يتنحَّى، يعني الربيع، فقال له المهديُّ: تنحَّ، فقال: لا أَفعلُ، فقال: كأَنك تراني بالعين الأُولى، فقال: لا بل أَراك بالعين التي أنت بها، قال: فلِمَ لا تتنحى إذا أَمرتك! فقال له: أَنت رُكن الإِسلام، وقد قتلتَ ابنَ هذا، فلا آمن أَن يكون معَه حديدةٌ يغتالك بها، فقام المهديّ مذعوراً، وأَمر بتفتيشه، فوجدوا بين جورَبه وخُفِّه سكِّيناً، فرُدتِ الأُمور كلها إِلى الربيع، وعُزل أبو عُبيد اللَّه، وولى يعقوبَ بن داودَ، فقال سَلْم الخاسر فيه:

يـعـقـوبُ يـنـظـر فـي الأمـو ... ر وأنـت تـنـظُـر نـاحـيَـهْ
أَدخـلـتـه فـعَـلا عـلـيـ ... ـكَ كـذاك شـؤم الـنَّـاصِـيـهْ

[مجزوء الكامل]

قال: وكان بلغ المهديَّ من جهة الربيع أَنَّ ابن أبي عُبيد اللَّه زِنديق، فقال له المهديّ: هذا حسدٌ منك، فقال: افحصْ عن هذا، فإِن كنت مُبطلاً بلغتَ مني الذي يلزم من كَذَبَك، فأَتى بابن عبيدِ اللَّه فقرَّره تقريراً خفيّاً، فأَقرَّ بذلك، فاستتابه فأَبى أن يتوبَ، فقال لأَبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسي بذلك، فقتله وصلبه على باب أبي عُبيد اللَّه.

قال: وكان ابن أبي عُبيد اللَّه هذا من أحمق الناس، وهب له المهديّ وصيفة ثم سأله بعدَ ذلك عنها، فقال: ما وضعتُ بيني وبين الأرض حشيَّة قطُّ أوطأ منها حاشى سامع، فقال المهديّ لأبيه: أَتُراه يَعنيني أو يعنيك؟ قال: بل يعني أمه الزانية، لا يكْني.

مدحه للفضل بن الربيع:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال:

حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثني أبي قال: كنت أنا والربيعُ نسير قريباً من

محمل المنصور، حتى قال للربيع: رأَيت كأَن الكعبة تصدَّعت، وكأَن رجلاً جاءَ بحبل أَسود فشدَّدها، فقال له الربيع: منِ الرجل؟ فلم يجُبه، حتى إذا اعتلَّ قال للربيع: أنت الرجلُ الذي رأيته في نومي شدَّدَ الكعبة فأيّ شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أَمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان، فقال سَلْم الخاسر في الفضل بن الربيع:

وابن الذي جبر الإسلام يَومَ وهَى ... واستنقذ الناس من عَمياء صيْخودِ[١]
قالت قريش غداةَ انهاض سُلكهُم: ... أَين الربيعُ وأَعطوا بالمقاليدِ[٢]
فقام بالأَمر مِئْناسٌ بوحدته ... ماضي العزيمة ضرَّاب القَماحيدِ[٣]
إِن الأُمور إذا ضاقت مسالكها ... حلَّت يدُ الفضل منها كلَّ معقودِ
إِن الربيع وإن الفضل قد بَنيا ... رواق مجدٍ على العبَّاس ممدودِ

[البسيط]

قال: فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار.

سَلْم يُخاطب الرشيد حين عقد البيعة لابنه الأمين:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا أبو هِفَّان قال: حدثني سعيد أبو هزيم وأَبو دِعامةَ، قالا:

لما قال سَلْم الخاسر في الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين.

قد بايع الثقلانِ[٤] مَهديَّ الهُدى ... لمحمدِ بن زبيدةَ ابنةِ جعفَرِ
ولَّيته عهدَ الأَنام[٥] وأَمرهم ... فدمَغت بالمعروف رأْسَ المنكرِ

[الكامل]

أَعطته زبيدةُ مائة ألف درهم.

المهديّ يُعطيه خمسمائة ألف درهم:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال:

---

(١) الصيخود: الشديدة.
(٢) المقاليد، الواحد مِقلاد، بكسر الميم: الخزانة.
(٣) القماحيد، الواحدة قمحودة: الهنة البادية فوق القفا وأعلى قذال المرء.
(٤) الثقلان: الإنس والجنّ.
(٥) الأنام: البشر، الناس.

حدثنا عبد اللَّه بن عمرو، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عليّ الخراسانيّ، عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق عن أبيه، قال:

قال سَلْم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها:

لـه شِـيـمـةٌ عـنـد بـذل الـعـطـا ء لا يـعـرف الـنـاسُ مِـقـدارَهـا
ومـهـديُّ أُمـتـنـا والـذي حـمـاهـا وأدرك أَوتـارَهـا

[المتقارب]

فأَمر له المهديّ بخمسمائة ألف درهم.

عطاءُ سلم يزيد على عطاء مروان بنِ أبي حفصةَ:

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد اللَّه بن سُليمانَ، قال:

حدثنا منصور بن أَبي مَزاحم، قال: شهدتُ المهديَّ وقد أمر لمروان بن أَبي حفصةَ بأَربعينَ أَلفَ درهم، وفرض له على أهل بيته وجلسائه ثلاثينَ ألف درهم، وأَمر الرشيد بعد ذلك لما ولي الخلافة لسَلْم الخاسر ـ وقد مدحه ـ بسبعينَ أَلفَ درهم، فقال له: يا أَميرَ المؤمنين إن أكثر ما أَعطى المهديُّ مروانَ سبعون ألف درهم فزِدْني وفضِّلني عليه، ففعل ذلك وأَعطاه تتمة ثمانينَ أَلفَ درهم، فقال سَلْم:

ألا قُـل لـمـروانٍ أتـتـك رسـالـةٌ لـهـا نـبـأ لا يـنـثـنـي عـن لـقـائِـكـا
حـبـانـي أَمـيـرُ الـمـؤمـنـيـنَ بـنـفـحـةٍ[1] مُـشـهَّـرةٍ قـد طـأطـأتْ[2] مـن حِـبـائِـكـا[3]
ثـمـانـيـنَ أَلـفـاً حُـزتُ مـن صُـلـب مـالِـه ولـم يـكُ قـسـمـاً مـن أُلـي وأُولائِـكـا

[الطويل]

فأَجابه مروان، فقال:

أَسَـلْـم بـنَ عـمـرٍو وقـد تـعـاطـيـتَ غـايـةً تـقـصِّـرُ عـنـهـا بـعـدَ طـول عَـنـائِـكـا
فـأُقـسـم لـولا ابـنُ الـربـيـع ورِفـدُه لـمـا ابـتـلَّـت الـدَّلـو الـتـي فـي رِشـائِـكـا
ومـا نِـلـتَ مـذ صـوّرت إلا عـطـيـة تـقـوم بـهـا مَـصـرورةً فـي ردَائِـكـا

[الطويل]

(١) النفحة: الهبة، العطاء.
(٢) طأطأ: خفض.
(٣) الحِباء، بكسر الحاء: العطاء.

حدثني وَسواسة بن الموصليّ ـ وهو محمد بن أحمد بن إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ـ قال:

حدثني حماد عن أبيه، قال: استوهب أبي منَ الرشيد تركةَ سَلْم الخاسر، وكان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قبل أن يتسلّمها صاحب المواريث، فحصّل منها خمسينَ ألفَ دينار.

الرشيد يرث سلماً:

أخبرني عمّيّ، قال: حدثني أبو هفَّان، عن سعيد بن هُزيم وأبي دِعامةَ.

أنه رُفع إلى الرشيد أنَّ سَلْماً الخاسر قد تُوفي وخلَّف مما أخذه منه خاصةً ومن زُبيدةَ ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خلفه من عَقارٍ وغيره مما اعتَقده[١] قديماً، فقبضه الرشيد، وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكرٍ الصديق رضوان اللَّه عليه، فقال: هذا خادمي ونديمي، والذي خلَفه من مالي، فأَنا أَحقُّ به، فلم يُعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه.

رثاؤه لابني عبد الملك بن مسمع ومعن بن زائدة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيلَ، عنِ القحذميّ، قال:

كان مالك وشهاب ابنا عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع، ومعن بن زائدة مُتواخِين لا يكادون يفترقون، وكان سَلْم الخاسر يُنادمهم ويمدحهم، ويُفضلون عليه ولا يُحوجونه إلى غيرهم، فتوفى مالك ثم أَخوه ثم معنٌ في مدة متقاربة، فقال سَلْم يرثيهم:

عينُ جودي بعبرةٍ تهتانِ ... وَانْدُبي من أَصاب ريبُ الزمانِ
وإذا ما بكيتِ قوماً كِراماً ... فعلى مالكٍ أَبي غسانِ
أَين معنٌ أَبو الوليد ومن كا ... ن غِياثاً للهالك الحيرانِ؟!
طَرقته المنونُ لا واهِيَ الحبـ ... ـل ولا عاقِداً بِحِلفٍ يماني
وشهابٌ وأين مثلُ شِهابٍ ... عند بذل الندى وحَرِّ الطِّعانِ
رُبّ خِرق[٢] رُزئته[٣] من بنِي قيـ ... ـس وخِرق رُزئتُ من شيبان

(١) اعتقده: حصّله وجمعه واقتناه.
(٢) الخِرق، بكسر الخاء: الجواد الكريم.
(٣) رزئته: أصبت بنكبة جراء موته.

دَرَّ درُّ الأيـام مـاذا أَجـنَّـت[١] مـنـهـمُ فـي لـفـائـف الـكـتـانِ
ذاك مـعـن ثـوى[٢] بـبُـسْـتَ رهـيـنـاً[٣] وشِـهـابٌ ثـوى بـأَرض عُـمـانِ
وهُـمـا مـا هُـمـا لـبـذل الـعـطـايـا ولِـلَـف الأَقـرانِ بـالأَقـرانِ
يـسـبـقـان الـمـنـونَ طـعـنـاً وضـربـاً ويـفُـكَّـان كـلَّ كـبـلٍ[٤] وعـانـي[٥]

[الخفيف]

قصيدة بمائة ألف درهم:

أخبرني وكيع قال: حدثني يزيدُ بن محمد المهلَّبيّ، قال: حدثني عبد الصمد بن المعذّل، قال:

لما أَنشد سَلْم الخاسر الرشيدَ قصيدته فيه:

حضرَ الرحيلُ وشُدَّتِ الأَحداج[٦].

أَمر له بمائة ألف درهم.

الفضل بن يحيى يقسم هداياه في النيروز:

حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه فأنشده:

أمِـن رَبـعٍ تُـسـائـلُـهُ وقـد أَقـوَت مـنـازلُـهُ
بـقـلـبـي مـن هـوى الأطـلا لِ حـبٌّ مـا يُـزايـلُـهُ
رويـدَكـمُ عـنِ الـمـشـغـو ف إنَّ الـحـبّ قـاتـلُـهُ
بـلابـلُ صـدره تـسـري وقـد نـامـتْ عَـواذِلُـهُ
أَحـقُّ الـنـاسِ بـالـتـفـضـيـ ـلِ مـن تُـرجـى فـواضِـلُـهُ[٧]
رأَيـت مـكـارمَ الأَخـلا قِ مـا ضـمَّـت حـمَـائِـلُـهُ
ولـسـت أَرى فـتًـى فـي الـنـا س إلا الـفَـضـلُ فـاضِـلُـهُ

(١) أجنّت: أخفت وغطّت.
(٢) ثوى: هلك.
(٣) رهيناً: مقيّداً.
(٤) الكبل: القيد.
(٥) العاني: الأسير.
(٦) الأحداج، الواحد حِدج، بكسر الحاء: الأحمال.
(٧) الفواضل: الهبات، العطايا.

يـــقـــولُ لـــســـانُـــهُ خـــيـــراً فـــتـــفـــعـــلـــه أَنـــامـــلُـــهُ
ومـــهـــمـــا تـــرجُ مـــن خـــيـــرٍ فـــإِن الـــفـــضـــل فـــاعِـــلُـــهُ

[مجزوء الوافر]

وكانَ إِبراهيم الموصليُّ وابنه إسحاقُ حاضرَين، فقال لإِبرَاهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: أَحسن مرئيٍّ ومسموع، وفضلُ الأَمير أكبر منه، فقال: خذوا جميع ما أُهدي إِليَّ اليومَ فاقتسموه بينكم ثلاثاً إلا ذلك التمثال فإِني أريد أن أُهديَه اليومَ إِلى دنانير، ثم قال: لا واللَّهِ، ما هكذا تفعل الأحرارُ يقَوَّم ويدفع إِليهم ثمنه ثم نهديه، فقُوِّم بأَلفي دينار، فحملها إلى القوم من بيت ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم.

أَحسن ما مدح به معن:

أَخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني عيسى بن إسماعيلَ تينة قال: حدثني القَحذميُّ، قال:

قيل لمعن بن زائدةَ: ما أَحسن [مدح] مدحت به منَ الشعر عندك؟ قال: قول سَلْم الخاسر:

أَبـــلـــغِ الـــفـــتـــيـــانَ مَـــأْلُـــكـــةً[١] أَنَّ خـــيـــرَ الـــودِّ مـــا نَـــفـــعـــا
إِنَّ قـــرْمـــاً[٢] مـــن بـــنـــي مَـــطَـــرٍ أَتـــلـــفـــتْ كـــفَّـــاه مـــا جَـــمـــعـــا
كـــلـــمـــا عُـــدنـــا لـــنـــائِـــلـــهِ[٣] عـــاد فـــي مـــعـــروفـــه جَـــذعـــا[٤]

[المديد]

مدحه للفضل بن يحيى:

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني أَبو توبةَ. وأَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، عن أبي توبةَ، قال:

حدث في أيام الرشيد أَمرٌ، فاحتيج فيه إِلى الرأي فأَشكل، وكان الفضل بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت فأَخبروه بالقصة، فأَشار بالرأي في وقته، وأُنفذ الأمر على مشورته، فحُمد ما جرى فيه، فدخل عليه سَلْم الخاسر، فأنشده:

(١) المألكة: الرسالة.
(٢) القرم: السيد الشجاع القوي.
(٣) النائل: العطاء.
(٤) الجذع: الجديد كما كان.

بـديـهـتُـه وفِـكـرتـه سـواءٌ إذا مـا نـابـه الـخَـطـبُ الـكـبـيـرُ[١]
وأحـزم مـا يـكـون الـدهـرَ رأْيـاً إذا عَـيَّ الـمـشـاورُ والـمـشـيـرُ
[الوافر]

فأَمر له بعشرة آلاف درهم.

أبو الشمقمق يهجو سَلْماً:

أخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني أبو العيناء، قال: حدثني الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه[٢] فمنعه، فقال له: اسمع إذاً ما قلته وأنشده:

حـدَّثـونـي أنَّ سَـلْـمـاً يـشـتـكـي جـارة أيـرِهْ
فـهـو لا يـحـسُـد شـيـئـاً غـيـر أيـرٍ فـي اسـت غـيـرِهْ
وإذا سـرَّك يـومـاً يـا خـلـيـلـي نـيـلُ خـيْـرِهْ
قُـم فـمُـر راهـبـك الأصـلـ ـعَ يـقـرعْ بـاب ديـرِهْ
[مجزوء الرمل]

فضحك سَلْم وأَعطاه خمسةَ دنانير، وقال له: أُحب ـ جعلت فداءك ـ أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا.

الرشيد يتطيّر من سَلْم:

أخبرنا الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال: حدثني أَبو دِعامةَ، قال:

دخل سَلْم الخاسر على الرشيد فأَنشده.

حيِّ الأحبة بالسلام.

فقال الرشيد: حياهم اللَّه بالسلام فقال:

أَعلى وداعٍ أَم مُقامِ؟

فقال الرشيد: حياهم اللَّه على أي ذلك كان، فأَنشده:

لـم يـبـق مـنـك ومـنـهـمُ غـيـر الـجـلـودِ عـلـى الـعِـظـامِ
[مجزوء الكامل]

(١) الخطب الكبير: الفاجعة العظيمة.
(٢) يستميحه: يطلب عفوه وغفرانه.

فقال له الرشيد: بل منك، وأَمر بإِخراجه، وتطيّر منه ومن قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء.

تهنئته لموسى الهادي بالخلافة:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ عن أبيه، قال:

أتت وفاة المهديّ إلى موسى الهادي وهو بجُرجانَ فبويع له هناك، فدخل عليه سَلْم الخاسر معَ المهنئين فهنأَهُ بخلافة اللَّه ثم أنشده:

لما أتت خيرَ بني هاشم ... خِلافةُ اللَّه بجرجانِ
شمَّرَ للحزم سرابيله[1] ... برأْي لا غُمرٍ[2] ولا وانِي
لم تدخلِ الشورى على رأْيه ... والحزم لا يمضيه رأيانِ

[السريع]

سَلْم يعترف بفضل بشار:

أخبرني الحسن بن علي وعمي، قالا: حدثنا محمد بن القاسم ابن مهرويه، قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن عن أبيه، قال:

دخل سلم الخاسر على الرشيد وعندَه العباس بن محمد وجعفر بن يحيى، فأنشده قوله فيه:

حضر الرحيلُ وشُدَّتِ الأحداجُ[3]

فلما انتهى إلى قوله:

إن المنايا في السيوف كوامنٌ ... حتى يهيِّجها فتًى هيّاجُ

[الكامل]

قال الرشيد: كان ذلك معن بن زائدةَ، فقال: صدق أمير المؤمنين، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله:

ومُدَّجج يغشى المضيقَ بسيفه ... حتى يكون بسيفه الإفراجُ[4]

[الكامل]

---

(١) سرابيل، الواحد سِربال، بكسر السين: ثيابه التي يتسربل بها.
(٢) الغُمر، بضم الغين: من لا تجربة له، الغرّ.
(٣) الأحداج، الواحد حِدج، بكسر الحاء: الأحمال.
(٤) الإفراج: إزالة الظلم والعسف.

فقال الرشيد: ذلك يزيدُ بن مزيد، قال: صدق أَمير المؤمنين، فاغتاظ جعفر بن يحيى، وكان يزيدُ بن مزيد عَدوّاً للبرامكة مصافياً للفضل بن الربيع، فلما انتهى إِلى قوله:

نـزلـت نـجـوم الـلـيـلِ فـوق رؤوسـهـم ولـكـل قـومٍ كـوكـبٌ وهَّـاجُ

[الكامل]

فقال له جعفر بن يحيى: من قِلة الشعر حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل في غيره؟ هذا لبشار في فلان التميمي، فقال الرشيد، ما تقول يا سَلْم؟ قال: صدق يا سيدي، وهل أنا إلا جزء من محاسن بشار؟ وهل أنطق إلَّا بفضل منطقه؟ وحياتِك يا سيدي إِني لأروي له تسعة آلاف بيت، ما يعرف أحد غيري منها شيئاً. فضحك الرشيد، وقال: ما أحسنَ الصدق امض في شعرك وأَمر له بمائة ألف درهم، ثم قال للفضل بن الربيع: هل قال أَحدٌ غيرُ سَلْم في طيِّنا المنازلَ شيئاً؟ ـ وكان الرشيد قدِ انصرف منَ الحج وطوى المنازل، فوصف ذلك سَلْم ـ فقال الفضل: نعم يا أَميرَ المؤمنين، النَّمريّ، فأَمر سَلْماً أن يثبت قائماً حتى يَفرُغ النَّمريّ من إِنشاده، فأنشده النَّمريّ قوله:

تَـخَـرَّقَ سِـربـالُ الـشـبـاب مـعَ الـبُـردِ وحـالـت لـنـا أُم الـولـيـدِ عـنِ الـعـهـدِ

[الطويل]

فقال الرشيد للعباس بن محمد: أَيهما أَشعر عندَك يا عمّ؟ قال: كِلاهما شاعر، ولو كان كلامٌ يُستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نَسلٌ لاستفحلت كلام النَّمريّ، فأَمر له بمائة ألف درهم.

أشجع السلميّ يرثي سَلْماً الخاسر:

أخبرني عمّي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لأشجَع السَّلَميّ يرثي سَلْماً الخاسر ـ ومات سَلْم قبله ـ:

يـا سَـلْـمُ إن أصـبـحـت فـي حـفـرةٍ مـوسَّـداً تُـربـاً وأحـجـارا

فَـرُبَّ بـيـتٍ حـسـنٍ قُـلـتَـه خـلّـفـتـه فـي الـنـاس سـيَّـارا

قـلـدتـه ربَّـاً وسـيـرتـهُ فـكـان فـخـراً مـنـك أَو عـارا

لـو نـطـق الـشـعـر بـكـى بـعـدَه عـلـيـه إعـلانـاً وإسـرارا

[السريع]

صـوت

يـا ويـحَ مَـنْ لـعـب الـهـوى بـحـيـاتـه فـأَمـاتـه مـن قـبـلِ حـيـن مـمـاتـهِ

مـن ذا كـذا كـان الـشـقـيّ بـشـادِنٍ[١] هـاروت بـيـن لـسـانـه ولـهـاتـهِ
وحـيـاةِ مـن أهـوى فـإنـي لـم أكـن يـومـاً لأحـلـف كـاذبـاً بـحـيـاتـهِ
لأُخـالـفـنَّ عـواذلـي فـي لـذتـي ولأسـعـدنَّ أخـي عـلـى لـذاتـهِ

[الكامل]

الشعر لبعض شعراء الحجازيين، ولم يقع إلينا اسمه، والغناء لأَبي صدقةَ رمل بالبنصر.

(١) الشادن: ولد الظبية الذي استغنى عن أمه ونبت قرناه.

أَخبار أَبي صدقةَ

اسمه ومنزلته:

اسمه مِسكين بن صدقةَ، من أهل المدينة، مولىً لقريش، وكان مليح الغناء طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة، وأخفهم روحاً، وأَشدّهم طمعاً وألحهم في مسألة، وكان له ابن يُقال له صدقةُ يغني وليس منَ المعدودين، وابن ابنه أحمد بن صدقةَ الطُّنبوري أَحد المحسنين منَ الطنبوريين، وله صنعة جيدة، وكان أشبه الناس بجَدّه في المزح والنوادر. وأخباره تذكر بعدَ أخبار جَدَّه.

وأبو صدقةَ منَ المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد منَ الحجاز في أيامه.

مسكين وفاقة وصدقة:

أَخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه، قال:

قيل لِأَبي صدقةَ: ما أَكثرَ سؤالَك وأَشدَّ إِلحاحك[١]، فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكينٌ وكُنيتي أبو صدقة، وامرأَتي فاقة، وابني صدقة؟!

أبو صدقَة ينال الإِعجاب والعطايا:

أخبرني رضوان بن أَحمدَ الصيدلانيّ، قال: حدثنا يوسفُ بنُ إِبراهيمَ، قال:

حدثنا أَبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ المهديّ أَنَّ الرشيد قال للحارث بن بسخُنَّر: قدِ اشتهيت أن أرى ندمائي ومن يحضر مجلسي منَ المغنين جميعاً في مجلس واحد يأْكلون ويشربون ويتبذَّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم، وهذا لا يتم إلا بأَن أَكون بحيث لا يرونني، عن غير علم منهم برؤيتي إياهم فأَعِد لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمّي سليمانُ وإِخوتي إبراهيمُ بنُ المهديّ وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحيى، فإِنَّا مُغلِّسون[٢] عليك غداةَ غدٍ واستزر أنت محمد بن خالد بن برمك وخالداً أخا مهرويه والخضر بن جبريلَ وجميعَ

(١) الإلحاح: المثابرة على الطلب.

(٢) مغلسون: آتون عند الغلس في ظلمة آخر الليل.

المغنين، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يرونا، وابسُطِ الجميع، وأَظهر بِرَّهم، واخلع عليهم، ولا تدع منَ الإِكرام شيئاً إلا فعلته بهم.

ففعل ذلك الحارث، وقدم إِليهمُ الطعامَ فأَكلوا، والرشيد ينظر إِليهم، ثم دعا لهم بالنبيذ فشربوا، وأَحضرتِ الخِلعُ، وكان ذلك اليومُ يوماً شديدَ البرد فخلع على ابن جامع جُبّة خزٍّ طاروني مبطّنةً بسمُّور صيني، وخلع على إبراهيمَ الموصليّ جُبّة وشي كوفّي مرتفع مبطّنة بفنَك، وخلع على أبي صدقةَ دُرَّاعة مُلحم خُراساني محشوة بقز، ثم تغنى ابن جامع، وتغنى بعدَه إِبراهيم، وتلاهما أبو صدقةَ فغنى لابن سريج:

ومن أجل ذات الخال أَعلمتُ ناقتي أَكلفها سير الكَلالِ معَ الظَّلعْ

[الطويل]

فأَجاده، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يُعيده، فقال له الحارث: أحسنت واللَّهِ يا أبا صدقةَ، فقال له: هذا غنائي وقد قرصني البرد، فكيف تُراه ـ فديتك ـ كان يكون لو كان تحت دراعتي[١] هذه شُعيرات ـ يعني الوَبرَ ـ والرشيد يسمع ذلك ـ فضحك وأمر بأن يخلع عليه دُراعة مُلحم مبطّنة بفنك، ففعلوا، ثم تغنى الجماعة، وغنى أبو صدقةَ لمعبد:

بان الخليطُ[٢] على بُزلٍ[٣] مخَيَّسةٍ[٤] هُدْلِ المشافر[٥] أدنى سيرها الرملُ

[البسيط]

ثم تغنى بعده لمعبد أَيضاً:

بان الخليط ولو طووعتُ ما بانا وقطعوا من حِبال الوصل أَقرانا[٦]

[البسيط]

فأَقام فيهما جميعاً القِيامة، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً، فقال له الحارث: أحسنت واللَّهِ يا أَبا صدقةَ فديتُك وأَجملت فقال أبو صدقة: فكيف ترى ـ فديتك ـ الحال تكون لو كانت عليَّ هذه الدراعة نقيطات ـ يعني الوشى ـ فضحك الرشيدُ حتى ظهر ضحكه، وعلموا بموضعه، وعرف عِلمهم بذلك، فأَمر بإدخالهم إليه، وأمر بأن يخلع على أبي صدقةَ دراعةً أُخرى مبطّنة بوشي، فخلعت عليه.

---

(١) دراعتي: الجبّة المشقوقة.
(٢) الخليط: المشاركون في الرحلة.
(٣) البُزل، الواحد بازل: البعير في سن التاسعة وقد انشقّ نابه.
(٤) مخيَّسة: مذلّلة مروّضة.
(٥) هدل المشافر: طوال المشافر.
(٦) الأقران: الأصحاب.

الطبع يغلب التطبع:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ عن أبيه قال:

سأل الحسن بن سليمانَ أَخو عبيد اللَّه بن سليمانَ اللطفيّ، الفضل وجعفر ابني يحيى أن يُقيما عندَه يوماً، فأَجاباه، فواعد عِدَّة منَ المغنين، فيهم أبو صدقةَ المدينيّ، فقال لِأَبي صدقة: إنك تُبرم[1] بكثرة السؤال، فصادرني على شيء أدفعه إِليك ولا تسأل شيئاً غيره، فصادره على شيء أَعطاه إياه، فلما جلسوا وغنوا أُعجبوا بغناء أبي صدقة، واقترحوا عليه أَصواتاً من غناء ابن سريج ومعبد وابن محرز وغيرهم فغناهم، ثم غنى، والصنعة له رملٌ.

يا ويحَ من لعب الهوى بحياتهِ ... فأَماته من قبلِ حينِ مماتهِ
من ذا كذا كان الشقيَّ بشادنٍ[2] ... هاروت بين لسانه ولهاتهِ

[الكامل]

وذكر الأبيات الأربعة المتقدم ذكرها، قال: فأَجاد وأَحسن ما شاء، وطرب جعفر فقال له: أَحسنت وحياتي، وكان عليه دُوَّاج خزٍّ مبطّن بسمُّور جَيّد، فلما قال له ذلك شرهت[3] نفسه وعاد إلى طبعه فقال: لو أَحسنتُ ما كان هذا الدُّوَّاج عليك وخلعته عليَّ، فألقاه عليه، ثم غنى أَصواتاً منَ القديم والحديث، وغنى بعدها من صناعته في الرمل.

لم يَطلِ العهدُ فتنساني ... ولم أَغِبْ عنك فتَنْعاني
بُدِّلتَ بي غيري وباهَتَّني ... ولم تكن صاحبَ بُهتانِ
لا وَثقت نفسي بإنسانِ ... بعدَك في سرٍّ وإعلانِ
أَعطيتني ما شِئت من موثقٍ ... منك ومن عهدٍ وأيمانِ

[السريع]

فقال له الفضل: أَحسنت وحياتي، فقال: لو أَحسنت لخلعت على جبة تكون شكلاً لهذا الدُّواج، فنزع جُبته وخلَعها عليه، وسكروا وانصرفوا، فوثب الحسن بن سليمانَ، فقال له: قد واقفك على ما أرضاك ودفعته إليك على ألَّا تَسأَل أَحداً شيئاً،

(١) تُبرم بكثر السؤال: تلحّ في الطلب.
(٢) الشادن: ولد الظبية الذي استغنى عن أمه ونبت قرناه.
(٣) شرهت: طمعت.

فلم تَف، وقد أخذت مالك، واللَّهِ لا تركتُ عليك شيئاً مما أخذته ثم انتزعه منه كرهاً، وصرفه، فشكاه أَبو صدقةَ إلى الفضل وجعفر فضحكا منه وأخلفا عليه ما ارتجعه اللطفي منه من خلعهما.

نسبة ما مضى في هذه الأَخبار منَ الغناء

صـــوت

بـان الـخـلـيـط عـلـى بُـزلٍ مـخـيـسـة هـدلِ الـمـشـافـر أَدنـى سـيـرِهـا الـرمَـلُ
مـن كـل أَعـيس[١] نـضَّـاح الـقـفـا قـطِـمٍ[٢] يـنـفـي الـزِّمـام[٣] إذا مـا حـثـت الإِبـلُ

[البسيط]

الغناء لابن عائشةَ خفيف ثقيل أَول بالوسطى عن عمرو والهشاميّ، وقال الهشاميّ خاصة: فيه لابن محرز هزج، ولإسحاقَ ثقيل أول، ووافقه ابن المكي، وما وجدت لمعبد فيه صنعة في شيء منَ الروايات، إلا في الخبر المذكور، وأَما:

بـان الـخـلـيـط ولـو طـووعـت مـا بـانـا

فقد مضى في المائة المختارة، ونسب هناك وذكرت أخباره.

أخبرني رضوانُ بنُ أَحمدَ، قال: حدثنا يوسفُ بنُ إِبراهيمَ، قال: حدثني أبو إسحاقَ إِبراهيمُ بنُ المهديّ، قال:

كان أبو صدقةَ أَسأل خلق اللَّه وأَلحهم، فقال له الرشيد، ويلكَ ما أكثرَ سؤَالك، فقال: وما يمنعني من ذلك؟ واسمي مسكين، وكُنيتي أَبو صدقةَ واسم ابني صدقةُ، وكانت أُمي تلقَّب فاقة، واسم أبي صدقة فمن أحق مني بهذا؟

الرشيد يعبث بأبي صدقةَ:

وكانَ الرشيد يعبث به عبثاً شديداً، فقال ذاتَ يوم لمسرور: قل لابن جامع وإِبراهيمَ الموصليّ وزبير بن دَحمان وزُلزل وبرصوصا وابن أبي مريم المدينيّ: إِذا رأَيتموني قد طابت نفسي فليسألني كل واحد منهم حاجةً مقدارها مقدارُ صِلته، وذكر لكل واحد منهم مقدار ذلك، وأمر أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقةَ، فقال لهم مسرور

(١) الأعيس، من الإبل: الأبيض يخالط بياضه سواد خفيف.
(٢) القَطِم: الغضبان.
(٣) الزمام: المقود، الرسن.

ما أمره به، ثم أذِن لأبي صدقةَ قبل إذنه لهم، فلما جلس قال له: يا أَبا صدقةَ قد أضجرتني بكثرة مسألتك، وأنا في هذا اليوم ضَجِر، وقد أحببت أن أتفرجَ وأفرح، ولست آمن أن تنغّص عليَّ مجلسي بمسألتك، فإمَّا أن أعفيتني من أن تسألني اليومَ حاجة وإلا فانْصرف، فقال له: يا سيدي لست أسألك في هذا اليوم ولا إلى شهر حاجة، فقال له الرشيد: أَمَّا إذ شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار، وها هي ذي فخذها هنيئةً معجلة، فإن سألتني شيئاً بعدها في هذا اليوم فلا لوم عليَّ إن لم أَصِلك سنة بشيء، فقال له: نعم وسنتين، فقال له الرشيد: زِدني في الوثيقة، فقال: قد جعلت أَمر أُم صدقةَ في يدك فطلّقها متى شئت، إن شئت واحدة وإن شئت ألفاً، إن سأَلتك في يومي هذا حاجة، وأُشهد اللَّه ومَن حضر على ذلك، فدفع إليه المال، ثم أذن للجلساء والمغنين فحضروا، وشرب القوم، فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع: يا أميرَ المؤمنين، قد نلتُ منك ما لم تُبلغه أُمنيتي، وكثر إحسانُك إليَّ حتى كبتّ أعدائي وقتلتهم، وليست لي بمكةَ دار تُشبه حالي، فإن رأَى أميرُ المؤمنين أَن يأْمر لي بمالٍ أبني به داراً وأَفرُشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائي وأُزهق نفوسَهم فعَل، فقال: وكم قدَّرتَ لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأَمر له بها، ثم قام إبراهيمُ الموصليّ، فقال له: قد ظهرت نعمتُك عليَّ وعلى أَكابر ولدي، وفي أَصاغرهم من قد بلغ وأُريد تزويجه، ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أُطهره، ومنهم صِغار أحتاج إلى أن أتّخذ لهم خَدَماً، فإن رأَى أَمير المؤمنين أن يُحسن معونتي على ذلك فَعل، فأَمر له بمثل ما أَمر لابن جامع، وجعل كل واحد منهم يقوم فيقول منَ الثناء ما يحضره ويسأل حاجةً على قدر جائزته، وأبو صدقةَ ينظر إلى الأموال تُفرّق يميناً وشِمالاً، فوثب على رجليه قائماً وقال للرشيد: يا سيدي أَقلني أَقالك اللَّه عثرتك، فقال له الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب ويُلحُّ، والرشيد يضحك ويقول: ما لي إلى ذلك من سبيل، الشرط أَملكُ، فلما عِيل صبره أَخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، وقال له: هاكِها قد رددتها عليك وزدتك فرجَ أُم صدقةَ فطلّقها إن شئت واحدة وإن شئت أَلفاً، وإن لم تلحقني بجوائز القوم فأَلحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزَّال، وكانت صلته ألف دينار، فضحك الرشيد حتى استلقى، ثم ردّ عليه الخمسمائة الدينار، وأمر له بأَلف دينار معَها، وكان ذلك أكثرَ ما أخذه منه مذْ يوم خَدَمه إلى أن مات، فانصرف يومَئذٍ بأَلف وخمسمائة دينار.

أبو صدقةَ بين جعفر بن يحيى والرشيد:

أخبرني رضوان بن أحمدَ، قال: حدثني يوسفُ بنُ إِبراهيمَ، قال: حدثني أبو إسحاق، قال:

مُطرنا ونحن معَ الرشيد بالرقَّة مطراً معَ الفجر، واتّصل إِلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد وأنه مقيم عندَ أُمّ ولده المسماة بسحر، فتشاغلنا في منازلنا، فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعاً، وأَقبل يسأَل واحداً واحداً عن يومه الماضي ما صنع فيه فيُخبره فقال: كان عندي أبو زكار الأعمى وأبو صدقةَ، فكان أبو زكار كلما غنى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأْخذه أبو صدقةَ، فإذا انتهى الدور إِليه أعاده وحكى أَبا زكار فيه وفي شمائله وحركاته، ويفطُن أبو زكار لذلك فيُجنُّ ويموت غيظاً ويشتم أَبا صدقةَ كل شتم حتى يضجر، وهو لا يُجيبُه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك، إِلى أن توسطنا الشراب وسئمنا من عبثه[1] به فقلت له: دع هذا عنك وغنّ غناءَك، فغنى رملاً ذكر أَنه من صنعته فطربت له واللَّهِ يا أَميرَ المؤمنين طرباً ما أذكر أني طربت مثله منذ حين وهو:

صـــوت

فـتـنـتـنـي بـفـاحـم الـلـونِ جـعـدٍ وبـثـغـرٍ كـأَنـه نَـظـم دُرِّ
وبـوجـهٍ كـأَنـه طـلـعـة الـبـد رِ وعـيـنٍ فـي طـرفـهـا نـفْـث سـحـرِ

[الخفيف]

فقلت له: أحسنتَ واللَّهِ يا أبا صدقةَ، فلم اسكت من هذه الكلمة حتى قال لي: يا سيدي قد بنيت داراً أنفقت عليها حريبتي[2] وما أعددت لها فرشاً، فافرُشها لي نَجَّد[3] اللَّهُ لك في الجنة ألف قصر، فتغافلت عنه وعاود الغناء، فتعمَّدت أن قلت له: أحسنت، لِيعاودَ مسألتي وأتغَافل عنه، فسألني وتغافلت، فقال لي: يا سيدي هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتُك بِاللَّه وبحقّ أبيك عليك إلا أَجبتني عن كلامي ولو بشتم، فأَقبلت عليه وقلت له: أنت واللَّهِ بغيض، اسكت يا بغيضُ واكفف عن هذه المسألة المُلحة، فوثب من بين يدي، وظننت أنه خرج لحاجة، وإِذا هو قد نزع ثيابه وتجرَّد منها خوفاً من أن تَبتلَّ، ووقف تحت السماء لا يواريه منها شيء، والمطرُ

(١) عبثه به: لهوه به.
(٢) حريبتي: مالي الذي أعيش به.
(٣) نجَّد اللَّه: زيّن.

يأخذه، ورفع رأْسه وقال: يا ربِّ أنت تعلم أني مُلهٍ ولستُ نائحاً وعبدُك هذا الذي رفعتَه أَحوجتني إلى خدمته يقول لي: أَحسنتَ لا يقول لي: أسأتَ، وأَنا منذ جلست أَقول له بنيتُ ولا أقول له هدمتُ، فيحلف بك جرأة عليك أَني بغيض، فاحكم بيني وبينه يا سيدي فأَنت خيرُ الحاكمين، فغلبني الضحك وأَمرتُ به فنُحي وجهدت به أن يغني فامتنع، حتى حلفت له بحياتك يا أَميرَ المؤمنين أني أَفرش له داره، وخدعته فلم أُسمِّ له ما أَفرشها به، فقال الرشيد طيِّبٌ واللَّهِ، الآن تَمّ لنا به اللهو، وهو ذا أَدعو به، فإِذا رآك فسوف يقتضيك الفرشَ لأنك حلفت له بحياتي، فهو يتنجَّز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له، فقل له: أنا أَفرشها لك بالبواري، وحاكمه إليَّ، ثم دعا به فأُحضر، فما استقر في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى: الفرش الذي حلفت لي بحياة أَمير المؤمنين أنك تفرش به داري تقدَّم فيه، قال له جعفر: اخترْ إِن شئت فرشتها لك بالبواري[1]، وإِن شئت بالبَرْدي منَ الحصر، فضجّ واضطرب، فقال له الرشيد: وكيف كانتِ القصة؟ فأخبَره، فقال له: أَخطأت يا أَبا صدقةَ إذ لم تسمِّ النوع ولا حددت القيمة، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبردي أَو بما دون ذلك فقد وفَّى يمينه، وإِنما خدعَك ولم تفطُن له أنت ولا توثّقت، وضيعت حقك، فسكت وقال: نوفر البرديَّ والبورياَ عليه أيضاً، أعزه اللَّه، وغنى المغنون حتى انتهى إليه الدور، فأَخذ يُغني غِناء الملاحين والبنائين والسّقائين وما جرى مجراه منَ الغناء، فقال له الرشيد: أَيش هذا الغناء ويلك؟ قال: من فُرشت داره بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لمن هذه صِلتهُ، فضحك الرشيد واللَّهِ وطرب وصفّق، ثم أمرَ له بأَلف دينار من ماله، وقال له: افرش دارك بهذه، فقال: وحياتك لا آخذها يا سيدي أو تحكم لي على جعفر بما وعدني وإلا مِتُّ واللَّهِ أَسفاً لفوت ما حصل في طمعي ووُعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبلها جعفر وأَمر له بها.

سبب وصول أبي صدقةَ إِلى السلطان:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاقَ عن أَبيه، قال:

كان سبب وصول أبي صدقةَ إِلى السلطان أن أَبي لما حجَّ مرَّ بالمدينة فاحتاج إلى قطْع ثياب، فالتمس خياطاً حاذقاً فدُلَّ على أَبي صدقةَ، ووُصِف له بالحذق في

(١) البواري: حصر منسوجة من القصب. فارسي معرّب.

الخياطة والحذق في الغناء وخفة الروح، فأَحضره فقطع له ما أَراد وخاطه، وسمع غناءه فأَعجبه، وسأله عن حاله فشكا إِليه الفقر، فخلَّف لِعياله نفقةً سابغة[1] لسنة، ثم أَخذه مَعه وخلطه بالسلطان.

قال حماد: فقال أَبو صدقةَ يوماً لأبي: قدِ اقتصرت به على صنعة أبي إسحاقَ أَبيك رحمه اللَّه عندي وأَنتَ، لا ربَّ ذلك بشيء فقال له هذه الصينية الفضة التي بين يدي لك إذا انصرفت فشكره وسر بذلك ولم يزل يُغنيه بقية يومه فلما أَخذ النبيذ فيه قام قومة ليبول، فدعا أبي بصينية رصاص فحوَّل قنينته وقدحه فيها، ورفع الصينية الفِضَّة، فلما أَراد أَبو صدقةَ الانصراف شدَّ أبي الصينية في منديل ودفعها إلى غُلامه وقال له: بتِ الليلةَ عندِي واصطبح غداً واردد دابتك، فقال: إِني إذاً لأحمق، أَدفع إِلى غلامي صينيةَ فضة فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها ويركب الدابة ويهرب، ولكني أَبيت عندَك فإِذا انصرفتُ غداً أخذتها معي، وبات وأَصبح عندَنا مصطبحاً، فلما كان وقت انصرافه أخذها ومضى، فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معَه، فإِذا هو قد وجه بها لتباع فعرفوه أَنها رصاص، فلما رآه أبي من بعيد ضحك وعرف القصة وتماسك، فقال له أَبو صدقةَ: نِعْمَ الخلافةُ خلفت أَباك، وما أَحسن ما فعلتَ بي، قال: وأَيّ شيء فعلت بك؟ قال: أَعطيتني صينية رصاص، فقال له أبي: سخنت عينك، سَخِرتِ امرأتُك بك، وأَنا من أَين لي صينية رصاص؟ فتشكك ساعةً ثم قال: أظنُّ واللَّهِ أن ذلك كذلك، فقام، فقال له أبي: إِلى أَين؟ قال: أضَع واللَّهِ عليها السوط فأَضرِبها به حتى ترد الصينية، فلما رأَى أبي الجِدَّ منه، قال له: اجلس يا أَبا صدقة، فإِنما مزحتُ معَك. وأَمر له بوزنها دراهم.

صـــوت

إِن مـــن يـــمـــلـــك رِقِّـــي ... مـــالـــكٌ رِقَّ الـــرقـــابِ
لـــم يـــكـــن يـــا أَحـــســنَ الـــعـــا ... لـــمِ هـــذا فـــي حـــســـابـــي

[مجزوء الرمل]

الشعر لفضل الشاعرة، والغِناء لعَريب خفيف ثقيل بالوسطى عنِ ابن المعتز.

(١) نفقة سابغة: كافية لزيادتها عن الحاجة.

أخبار فضل الشاعرة

مولدها ونشأتها:

كانت فضلُ جاريةً مولدة من مولدات البصرة، وكانت أُمها من مولدات اليمامة، بها ولدت ونشأت في دار رجل من عبد القيس، وباعها بعد أن أَدَّبها وخرَّجها، فاشتُريت وأُهديت إلى المتوكل، وكانت هي تزعم أن الذي باعها أَخوها، وأَن أَباه وطئ أُمها فولدتها منه، فأَدَّبها وخرَّجها معترفاً بها، وأن بنيه من غير أمها تواطئوا على بيعها وجَحدِها[1]. ولم تكن تعرَف بعد أن أُعتقت إلا بفضلِ العبدية.

صفاتها:

وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام، أَديبة فصيحةً سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر، ولم يكُ في نساء زمانها أَشعرُ منها.

إهداؤها للمتوكل:

أَخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أَحمد بن أبي طاهر قال: كانت فضل الشاعرة لرجل منَ النخَّاسين بالكرخ، يُقال له حَسنُويَه فاشتراها محمد بن الفَرج أَخو عمرَ بن الفرج الرُّخَّجي وأَهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس للرجال ويأْتيها الشعراء، فأَلقى عليها أَبو دُلف القاسمُ بن عيسى:

قالوا: عشقتَ صغيرةً فأَجبتهم ... أَشهى المطيِّ إليَّ ما لم يُركبِ
كم بين حبَّةِ لؤلؤٍ مثقوبةٍ ... نظِمت وحبَّة لؤلؤ لم تُثقَبِ

[الكامل]

فقالت فضل مجيبةً له:

إن المطيةَ لا يَلذُّ ركوبُها ... ما لم تذلل بالزمام[2] وتُركَبِ
والدُّرُّ ليس بنافعٍ أَصحابَه ... حتى يُؤلَّف للنِّظام بمِثْقَبِ

[الكامل]

(١) جحدها: أنكر أبوّتها.
(٢) الزمام: المقود، الرسن.

استحسانه لشعرها:

حدثني عمّي ومحمد بن خلف، قالا: حدثنا أَبو العيناءِ، قال:

لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يومَ أُهديت إِليه قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت: كذا يزعم من باعني واشتراني، فضحك وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك، فأَنشدته:

إستقبَلَ الملكَ إمامُ الهدى عامَ ثلاثٍ وثلاثينا

[السريع]

تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سني الهجرة.

خلافةٌ أَفضتْ إِلى جعفرٍ وهو ابنُ سبعٍ بعد عشرينا
إِنا لنرجو يا إمامَ الهدى أَن تملك الناسَ ثمانينا
لا قدَّس اللَّهُ امرأً لم يقل عند دعائي لكَ آمينا

[السريع]

فاستحسن الأبيات، وأمر لها بخمسة آلاف درهم، وأمر عَريب فغنت فيها:

فضل تقول شعراً في جارية:

حدثني عمّي، قال: حدثنا أبو عبد اللَّه أحمد بن حمدون، قال:

عُرضت على المعتمِد جاريةٌ تُباع في خلافة المتوكل، وهو يوَمئذٍ حديث السن، فاشتط مولاها في السوم[1] فلم يشترها، وخرج بها إِلى ابن الأغلب فبيعت هناك، فلما وَلِي المعتمدُ الخلافةَ سأل عن خبرها وقد ذكرها، فأَعلم أنها بِيعت وأَولدها مولاها، فقال لفضل الشاعرة: قولي فيها شيئاً، فقالت:

عَلمَ الجمالِ تركتِني في الحُبّ أَشهرَ من عَلمْ
ونَصبتِني يا مُنيتي غرَضَ المظنَّة والتُّهمْ
فارقتِني بعد الدنـ ـوِّ فصرتِ عندي كالحُلمْ
فلوَ ان نفسي فارقتْ جسمي لفقدكِ لم تُلمْ
ما كان ضرَّكِ لو وصـ ـلتِ فخفَّ عن قلبي الألمْ
برسالةٍ تُهديـنَها أو زَورةٍ تحت الظُّلمْ

(١) السوم: المساومة في الشراء.

أَوْلا فـطـيـفٌ فـي الـمـنـا م فـلا أَقَـلَّ مـنَ الـلَّـمَـمْ[1]
صـلـةُ الـمـحـبِّ حـبـيـبـهُ أَلـلَّـهُ يـعـلـمـه كـرَمْ
[مجزوء الكامل]

بين فضل ومحبيها:

حدثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: كتب بعض أَهلنا إِلى فضل الشاعرة:

أصـبـحـتُ صَـبّـاً هـائـم الـعـقـلِ إِلـى غَـزال حَـسـنِ الـشـكـلِ
أَضـنـى[2] فـؤادي طـولُ عـهـدي بـه وبُـعـدُه مـنـي ومـن وصْـلـي
مُـنـيَـةُ نـفـسـي فـي هـوى فـضـلِ أن جـمـع الـلَّـه بـهـا شـمـلـي
أهـواكِ يـا فـضـلُ هـوًى خـالِـصـاً فـمـا لـقـلـبـي عـنـك مـن شُـغـلِ
[السريع]

قال: فأجابته:

صـوت

ألـصـبـرُ يَـنـقـصُ والـسَّـقـامُ يـزيـدُ والـدار دانـيـةٌ وأنـتَ بـعـيـدُ
أشـكـوك أم أشـكـو إِلـيـك فـإنـه لا يـسـتـطـيـع سـواهـمـا الـمـجـهـودُ
إنـي أعـوذ بـحُـرمـتـي بـك فـي الـهـوى مـن أن يُـطـاعَ لـديـك فِـيَّ حـسـودُ
[الكامل]

في هذه الأبيات رمل طنبوري وأظنه لجحظة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني الحسن بن عيسى الكوفيّ، قال: حدثنا أبو دهمان، قال: قال محمد بن خلف، وأخبرني أيضاً عبد اللَّه بن نصر المروزيّ، قالا:

كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخُلُقاً وخَلقاً، وأَرقّهم شعراً، فكتب إليها بعضُ من كان يجمعه وإياها مجلس الخليفة ولا تطلعُه على حبّها له:

أَلا لـيـت شـعـري فـيـكِ هـل تـذكـريـنـنـي فـذكـراك فـي الـدنـيـا إِلـيَّ حـبـيـبُ؟!
وهـل لـي نـصـيـب فـي فـؤادكِ ثـابـتٌ كـمـا لـك عـنـدي فـي الـفـؤاد نـصـيـبُ؟!

(١) اللّمم: الزيارة غير الطويلة.
(٢) أضنى فؤادي: أسقمه.

ولستُ بموصولٍ فأَحيا بزورةٍ ولا النفس عند اليأس عنك تطيبُ
[الطويل]

قال: فكتبت إِليه:

لعَمرُ إلهي إنني بك صَبَّةٌ فهل أَنت ـ يا من لا عدمْتُ ـ مثيبُ
لمن أَنت منه في الفؤاد مُصوَّرٌ وفي العين نصبَ العينِ حين تغيبُ
فثِق بودادٍ أَنتَ مُظهرُ مثله على أَنَّ بي سُقماً وأَنت طبيبُ
[الطويل]

فضل تُجيز الشعر:

حدثني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشميّ.

قال: حدثتني بُنانُ الشاعرة، قالت: اتَّكأ المتوكلُ على يدي ويد فضل الشاعرة، وجعل يمشي بيننا، ثم قال: أجيزا لي قول الشاعر:

تعلَّمت أسبابَ الرضا خوفَ عَتبها وعلَّمها حُبي لها كيف تغضبُ
[الطويل]

فقالت له فضل:

تصدُّ وأَدنو بالمودَّة جاهداً وتبعُد عنِّي بِالوصال وأقربُ
[الطويل]

فقلت أنا:

وعندي لها العُتبى على كلِّ حالة فما منه لي بدٌّ ولا عنه مذهبُ
[الطويل]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر، قال: ألقى بعض أَصحابنا على فضل الشاعرة:

ومستفتحٍ بابَ البلاءِ بنظرةٍ تزوَّد منها قلبُه حسرَة الدَّهرِ
[الطويل]

فقالت:

فوالَّلهِ ما يدري أتدري بما جنتْ على قلبه أَو أَهلكتهُ وما تدري
[الطويل]

أَخبرني محمد بن خلف، قال:

حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: أَلقيتُ أنا على فضل الشاعرة:

عَـلَـمَ الـجـمـال تـركـتـنـي بـهـواكِ أَشـهـرَ مـن عَـلَـمْ

[مجزوء الكامل]

فقالت على البديهة:

وَأَبـحـتَـنـي يـا سـيِّـدي سَـقـمـاً يـحِـلُّ عـنِ الـسـقَـمْ
وتـركـتَـنـي غـرضـاً ـ فـديـ ـتُـك ـ لـلـعـواذل والـتُّـهـمْ
صِـلـةُ الـمـحـبِّ حَـبـيـبَـهُ أَلـلَّـهُ يـعـلَـمُـه كَـرَمْ

[مجزوء الكامل]

أَخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني محمد بن الوليد، قال:

سمعت عليَّ بن الجهم، يقول: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة استرابت بها، فقالت:

يـا رُبَّ رامٍ حـسَـنٍ تـعـرُّضُـهْ يَـرمـي ولا يـشـعـر أَنـي غَـرضُـهْ

[الرجز]

فقلت:

أَيُّ فـتًـى لـحـظُـكِ لـيـس يُـمـرضُـهْ وأَيُّ عَـقـدٍ مُـحـكـمٍ لا يَـنـقُـضُـهْ

[الرجز]

فضحكت، وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

بين فضل وسعيد بن حميد:

حدثني عمّي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني إبراهيمُ بنُ المدبر، قال:

كتبت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة وتواصل:

وعَيشِكَ لو صرّحتُ باسمك في الهوى لأَقصرتُ عن أَشياءَ في الهزل والجدِّ
ولـكـنـنـي أُبـدي لـهـذا مـودّتـي وذاك، وأَخلو فيك بالبثّ والوَجدِ[1]
مـخـافـة أن يُـغـري بـنـا قـول كـاشـحٍ[2] عـدوٌّ فـيـسـعـى بـالـوصـال إِلـى الـبُـعـدِ

[الطويل]

(١) الوجد: شدّة الحبّ والهيام.
(٢) الكاشح: المبغض.

فكتب إِليها سعيد:

تنامين عن ليلي وأَسهرُه وحدي وأَنهي جفوني أَن تبثّك ما عندي
فإِن كنتِ لا تدرين ما قد فعلته بنا فانظري ماذا على قاتل العَمدِ
[الطويل]

قال عمّي هكذا ذكر ابن مهرويه.

وحدثني به عليُّ بن الحسين بن عبد الأعلى، فذكر أَن بَيْتَيْ سعيد كان الابتداء وأن أَبيات فضل كانت الجواب، وذكر لهما خبراً في عِتاب عاتبها به ولم أَحفظه، وإِنما سمعته يذكره، ثم أَخرج إِليَّ كتاباً بعد ذلك فيه أَخبار عن علي بن الحسين فوجدت هذا الخبر فيه فقرأته عليه، قال علي بن الحسين بن عبد الأَعلى.

حضر سعيد بن حميد مجلساً حضرته فضل الشاعرة وبُنان، وكان سعيد يهواها وتظهر له هوى ويتَّهمها معَ ذلك ببنان، فرأى فيها إِقبالاً شديداً على بنان، فغضب وانصرف، فكتبت إِليه فضل بالأبيات الأول، وأجابها بالبيتينِ الآخرَين، فاتفقت رواية ابنِ مهرويه وعلي بن الحسين في هذا الخبر.

فضل تعتذر:

أخبرني محمد بنِ خلف بن المرزبان قال:

حدثني أَبو يوسفُ بنُ الدَّقاق الضرير، قال: صرت أنا وأبو منصور الباخرزيُّ إِلى منزل فضل الشاعرة، فحُجبنا عنها وانصرفنا وما علمت بنا، ثم بلغها مجيئنا وانصرافنا، فكرهت ذلك وغمَّها، فكتبت إِلينا تعتذر:

وما كنتُ أخشى أن تَرَوا ليَ زَلةً ولكنَّ أمر اللَّه ما عنه مَذهبُ
أعوذُ بحسن الصَّفحِ منكم وقبلنا بصفح وعفوٍ ما تعوَّذ مُذنِبُ
[الطويل]

فكتب إِليها أبو منصور الباخرزي:

لَئن أُهديتْ عُتباكِ لي ولأخوتي فمثلُك يا فضلَ الفضائِل يُعتبُ
إذا اعتذر الجاني محا العذرُ ذَنبَه وكلُّ امرىءٍ لا يقبلُ العذرَ مُذنبُ
[الطويل]

المتوكل ينام وبينه وبين فضل موعد:

حدثني علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني عمّي عن جدّي، قال:

قال لي المتوكل يوماً وفضل واقفة بين يديه: يا عليُّ، كان بيني وبين فضلَ موعدٌ، فشربت شُرباً فيه فضلٌ فسكرت ونمت، وجاءتني للموعد فحرَّكتني بكل ما ينتبه به النائم، من قرصٍ وتحريك وغمز وكلام فلم انتبه، فلما علمت أنه لا حيلةَ لها فيَّ كتبتْ رقعة ووضعتها على مخدَّتي، فانتبهت فقرأتها فإذا فيها:

قد بدا شِبْهُك يا مو ... لاي يَحدُو بالظلامِ
قم بنا نقض لبانا ... تِ[1] التثام والتزامِ
قبل أن تفضحنا عو ... دةُ أرواح الـنِّيامِ

[مجزوء الرمل]

هجاء متبادل:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال:

كانت فضل الشاعرة تُهاجي خنساءَ جارية هشام المكفوفِ، وكانت شاعرةً، وكان أبو شِبلٍ عُصمُ بن وهب يُعاون فضلاً عليها ويهجوها مع فَضل، وكان القصيديُّ والصِّلحيُّ يُعينان خنساء على فضل وأبي شبل، فقال أبو شبل على لسان فضل:

خنساءُ طِيري بجناحينِ ... أصبحتِ معشوقة نَذْلينِ
من كان يهوى عاشقاً واحداً ... فأَنتِ تهوين عَشيقَينِ
هذا القصيديُّ وهذا الفتى الصـ ... ـلحيُّ قد زارك فردَينِ
نعمتِ من هذا وهذا كما ... ينعم خِنزيرٌ بحشَّينِ[2]

[السريع]

فقالت خنساء تُجيبها:

ماذا مقالٌ لكِ يا فضلُ، بل ... مقالُ خِنزيرينِ فردَينِ
يُكنى أبا الشِّبل ولو عاينت[3] ... عيناه شِبلاً راث كُرَّينِ

[السريع]

(١) اللبانات: الحاجات.
(٢) الحش: المرحاض.
(٣) عاينت: شاهدت.

وقالت فضل في خنساء:

إنَّ خنساءَ لا جُعِلْتُ فداها ... اشتراها الكَسَّارُ من مولاها
ولها نكهةٌ يقول محاذِيـ ... ـها: أهذا حديثُها أم فُساها

[الخفيف]

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل:

تقول له فضلٌ إذا ما تخوَّفت ... ركوبَ قبيح الذُّلِّ في طلب الوصلِ
حِرُ أمِّ فتًى لم يلقَ في الحبّ ذِلةً ... فقلت لها: لا بل حِرُ أمّ أبي الشِّبلِ

[الطويل]

وقالت خنساء تهجو أبا الشبل:

ما ينقضي فكري وطول تعجُّبي ... من نعجة تُكْنَى أبا الشِّبلِ
لعب الفحول بسُفلِها وعِجانها ... فتمرَّدت كتمرُّدِ الفحْلِ
لما اكتنيتَ بما اكتنيتَ به ... وتَسَمَّتِ النُّقصانُ بالفضْلِ
كادت بنا الدنيا تميد ضحىً ... وترى السماء تذوب كالمُهْلِ[1]

[الكامل]

قال: فغضب أبو شبل لذلك ولم يُجبها، وقال يهجو مولاها هشاماً:

نعم مأوى العُزَّابِ بيتُ هشام ... حين يَرمي اللئامَ باغي اللّئامِ
من أراد السرورَ عند حبيبٍ ... لينال السرور تحت الظّلامِ
فهشامٌ نهارُه ودُجى اللـ ... ـيلِ سواءٌ، نفسي فداءُ هِشامِ
ذاك حُرٌّ دواتُه ليس تخلو ... أبداً من تَخرُّق الأقلامِ

[الخفيف]

رسول الخليفة يطلبها:

حدثني عمّي قال: حدثنا ميمون بن هارون، قال:

زارت فضل الشاعرة سعيد بن حُميد ليلةً على موعد سبق بينهما: فلما حصلت عندَه جاءتها جارية مُبادرةً تُعلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها، فقامت مبادرةً، فمضت، فلما كان من غد كتب إليها سعيد:

(١) المهل: بضم الميم: القيح، صديد الميت خاصة، وما كان ذائباً من المعادن.

ضَـنَّ[١] الـزمـانُ بـهـا فـلـمـا نـلـتـهـا ورَد الـفـراقُ فـكـان أَقـبـح واردِ
والـدمـع يـنـطـق لـلـضـمـيـر مُـصـدقـاً قـول الـمُـقِـرِّ مُـكـذِّبـاً لـلـجـاحـدِ
[الكامل]

فضل تبكي على الخليفة:

حدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن أبي الدُّنيا، قال: حدثني ميسرة بن محمد، قال:

حدثني عُبيد بن محمد، قال: قلت لفضل الشاعرة: ماذا نزل بكم البارحة؟ ـ قال: وذلك في صبيحة قتل المنتصر المتوكلَ ـ فقالت وهي تبكي:

إِن الـزمـان بـذَحـلٍ[٢] كـان يـطـلـبـنـا مـا كـان أغـفـلـنـا عـنـه وأسـهـانـا
مـا لـي ولـلـدهـر قـد أصـبـحـتُ هِـمـتَـهُ مـا لـي ولـلـدهـر مـا لـلـدهـر لا كـانـا
[البسيط]

الخليفة يقبل وفضل تصف:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثني أبو هِفان قال: حدثني أحمد بن أبي فنن، قال:

خرجت قَبيحة إِلى المتوكل يوم نيروز، وبيدها كأْس بلور، بشراب صافٍ، فقال لها: ما هذا فديتُك؟ قالت: هديتي لك في هذا اليوم، عرَّفك اللَّهُ برَكته، فأَخذها من يدها، وإِذا على خدها: (جعفر)، مكتوباً بالمسك: فشرب الكأس وقبَّل خدَّها، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأْسه فقالت:

صـوت

وكـاتـبـةٍ بـالـمِـسـك فـي الـخـدِّ جـعـفـرا بـنـفـسـي سـوادُ الـمـسـكِ مـن حـيـث أثَّـرا
لـئـن أثَّـرتْ بـالـمـسـك سـطـراً بـخـدهـا لـقـد أودعـت قـلـبـي مـنَ الـحـزن أَسـطـرا
فـيـا مـن مُـنـاهـا فـي الـسـريـرة جـعـفـرٌ سـقـى الـلَّـه مـن سُـقـيـا ثـنـايـاكِ جـعـفـرا
[الطويل]

الغناء لعريب خفيف رمل، قال: وأمر عريب فغنت فيه، وقالت فضل في ذلك أيضاً:

---

(١) ضنّ الزمان: بخل.
(٢) الذحل: الثأر.

سُلافةٌ[١] كالقمر الباهرِ في قدحٍ كالكوكب الزاهرِ
يُديرها خِشفٌ[٢] كبدر الدجى فوق قضيبٍ أَهيفٍ ناضِرِ
على فتًى أَروع من هاشمٍ مثل الحُسامِ المُرهف الباترِ

[السريع]

وقد رويتِ الأبيات الأُول لمحبوبة شاعرة المتوكل، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرت بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب.

بين فضل وسعيد بن حُميد:

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني الفضل المَرْوَرُّوذي قال: كتبت فضل الشاعرة إِلى سعيد بن حميد:

بَثَثت هواك في بدني وروحي فأَلف فيهما طمعاً بياسِ

[الوافر]

فأَجابها سعيد في رُقعتها:

كفانا اللَّه شرَّ اليأْس إني لبغض اليأْس أُبغض كل آسي

[الوافر]

حدثني عمّي قال: حدثني ابن أبي المدوَّر الوراق، قال:

كنت عند سعيد بنِ حُميد وكان قدِ ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعّب، وقد بلغه ميلُها إِلى بُنان، وهو بين المصدق والمكذب بذلك، فأَقبل على صديقٍ له، فقال: أصبحتُ واللَّهِ من أَمر فضل في غرور، أخادع نفسي بتكذيب العِيان، وأُمنِّيها ما قد حيل دونه، واللَّهِ إِن إرسالي إِليها بعدَما قد لاح من تغيرها لذُلٌّ، وأن عُدولي عنها وفي أَمرها شبهة لعَجزٌ، وإِن تصبري عنها لِمَن دواعي التلف، وللَّهِ درُّ محمد بن أبي أُميَّة، حيث يقول:

يا ليت شعري ما يكون جوابي أَما الرسولُ فقد مضى بكِتابي
وتعجلت نفسي الظنون وأُشعِرت طمعَ الحريص وخيفة المُرتابِ
وتَرُوعني حركاتُ كلِّ محركٍ والبابُ يقرعُه وليس ببابي
كم نحو باب الدار لي من وثبةٍ أرجو الرسول بمَطمعٍ كذَّابِ

(١) السلافة: من أسماء الخمرة.
(٢) الخِشف، بكسر الحاء، ولد الظبية أول ما يولد.

والـويـل لـي مـن بـعـد هـذا كـلِّـه إن كـان مـا أخـشـاه رَدُّ جـوابـي
[الكامل]

فضل تعتذر لبُنان:

حدثني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال:

غضب بُنانٌ على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها، فاعتذرت إليه فلم يقبل معذرتها، فأَنشدتني لنفسها في ذلك:

يـا فـضـلُ صـبـراً إنـهـا مـيـتـةٌ يـجـرعُـهـا الـكـاذبُ والـصـادقُ
ظـنَّ بُـنـانٌ أَنـنـي خـنـتـه روحـي إذاً مـن جـسـدي طـالِـقُ
[السريع]

المتوكل يُعطيها مائتي دينار:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العباس المروزيّ قال:

قال المتوكل لعليّ بن الجهم: قل بيتاً وطالِب فضلَ الشاعرة بأن تُجيزَه، فقال عليٌّ: أجيزي يا فضل:

لاذ بـهـا يـشـتـكـي إلـيـهـا فـلـم يَـجِـد عـنـدَهـا مـلاذا
[مخلع البسيط]

قال: فاطرقت هنيهةً ثم قالت:

فـلـم يـزل ضـارِعـاً إلـيـهـا تَـهـطِـل أَجـفـانُـه رَذاذا
فـعـاتـبـوه فـزاد عِـشـقـاً فـمـات وجـداً[1] فـكـان مـاذا
[مخلع البسيط]

فطرب المتوكل، وقال: أحسنتِ وحياتي يا فضلُ، وأمر لها بمائتي دينار، وأمر عريب فغنت في الأبيات.

قال مؤلف هذا الكتاب: أَعرف في هذه الأبيات هزجاً لا أدري أهو هذا اللحن أم غيره، ولم أره في أغاني عريب، ولعله شذّ عنها.

صـوت

أُمـامـةُ لا أراكِ الـلَّـهُ ذُلَّ مـعـيـشـةٍ أَبـدا

(١) الوجد: شدّة الحزن.

أَلا تستصلحين فتًى وقاكِ السوء قد فسدا
غلامٌ هللك مَرَّةً يدعونه وَلدا

[مجزوء الوافر]

الشعر لعبد اللَّه بن محمد بن سالم الخياط، والغناء للرَّطاب المدنيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاقَ وأحمدَ بنِ المكيّ وذكر عبد اللَّه بن موسى بن محمد بن إبراهيمَ الإمام عن قَلَم الصالحيَّة أنها أخذتِ اللحن المنسوب إلى الرَّطاب عن تينة، وسألته عن صانعه فأَخبرها أنه له.

نسب ابن الخياط وأخباره

اسمه ونسبه:

هو عبد اللَّه بن محمد بن سالم بن يونسَ، وقيل يونسُ بن سالم، ذكر الزبير بن بكار أنه مولىً لقريش، وذكر غيره أنه مولىً لهُذيل، وهو شاعر ظريف، ماجن خليع، هجَّاء خبيث، مخضرم من شعراء الدولة الأُموية والعباسية، وكان منقطعاً إِلى آل الزبير بن العوام مدّاحاً لهم، وقدم على المهديّ معَ عبد اللَّه بن مصعب فأوصله إِليه وتوصَّل له إِلى أن سمع شعره وأحسن صِلته.

عطاء المهديّ له:

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

حدثني يونسُ بن عبد اللَّه بن سالم الخياط، قال: دخل أبي على المهديّ فمدحه، فأمر له بخمسينَ ألفَ درهم، فقال يمدحه:

أخذتُ بكفِّي كفَّه ابتغي الغِنى ... ولم أدرِ أَن الجودَ من كفِّه يُعدي
فلا أَنا منه ما أفاد ذَوو الغِنى ... أَفدتُ وأَعداني فأتلفتُ ما عندي

[الطويل]

قال: فبلغ المهديّ خبره فأضعف جائزته، وأمر بحملها إليه إلى منزله.

قال الزبير بن بكار: سرق ابن الخياط هذا المعنى منِ ابن هِرمة.

هجَّاء:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمةَ، قال:

حدثني مصعب بن عبد اللَّه، قال: سمعت أبي يقول: لم يبرح هذه الثنية قطُّ أحدٌ يقذف أعراض الناس ويهجوهم، قلت: مثل من؟ قال: الحزين الكِنانيّ والحكم بن عِكرمةَ الديليّ وعبد اللَّه بن يونسَ الخياط، وابنه يونس، وأَبو الشدائد.

يونس يهجو أباه:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

كان يونسُ الخياط عاقّاً لأبيه، فقال أبوه فيه:

يونسُ قلبي عليك يلتَهفُ ... والعينُ عبرَى دموعُها تكِفُ
تُلحفُني كسوَة العُقُوقِ فلا ... بَرحتَ منها ما عِشتَ تلتحفُ
أُمرت بالخفضِ للجُناح وبالرفـ ... ـقِ فأَمسى يعُوقك الأنَفُ[1]
وَيلكَ واللَّهِ من زَبانيةٍ ... إنْ سلِّطوا في عذابهم عَنفُوا

[المنسرح]

فأجابه ابنه يونُس، فقال:

أَصبح شيخي يُزري به الخرَفُ ... ما إن له حُرمةٌ ولا نصفُ
صِفاتنا في العقوق واحدةٌ ... ما خِلتنا في العقوق نختلِفُ
لحفتَه سالِماً أباك فقد ... أصبحت مني كذاك تلتَحفُ

[المنسرح]

هجاؤه لمحدث نعمة:

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني طلحة بن عبد اللَّه، قال: حدثني أحمد بنُ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ، قال:

مرَّ ابن الخياط بدار رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضّعة وخساسة الحال، وقد شيَّد بابها وطرْمَح[2] بناءها، فقال:

أَطِلهُ فما طولُ البناء بنافعٍ ... إذا كان فرعُ الوالدَين قصيرُ

[الطويل]

هجاؤه لموسى بن طلحةَ ثم اعتذاره:

أخبرني وكيع، قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بن صالح، قال: أخبرني العامريّ، قال:

هجا ابنُ الخياط موسى بن طلحةَ بن بلال التيميّ، فقال:

عجِب الناس للعجيب المحالِ ... حاضَ موسى بنُ طلحةَ بنِ بلالِ
زَعموه يحيض في كلِّ شهرٍ ... ويَرى صُفرةً لكلِّ هلالِ

[الخفيف]

---

(١) الأنف: الترفّع، الإباء.
(٢) طرمح البناء: استطال به.

قال: فلقيه موسى، فقال، يا هذا، وأيّ شيء عليك، نعم حضت وحملت وولدتُ وأرضعت، فقال له ابن الخياط: أنشدك اللَّه ألَّا يسمع هذا منك أحدٌ فيجترئ على شعري الناسُ، فلا يكون شيئاً، ولن يبلغك عني ما تكره بعد هذا فتكافًا.

ابن الخياط يذكر أمر ابن أبي قُتيلةَ وجاريته:

أخبرني الحرميّ، قال: حدثني الزبير، قال:

حدثني مصعب بن عثمانَ، قال: ما رأيت بريق صَلع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يومَ أخرجتِ القُتيليةُ جارية إبراهيمَ بن أبي قتيلة، وكان يعشقها فبِيعت في دين عليه فبلغت خمسمائة دينار، فقال المغيرة بن عبد اللَّه لابن أبي قُتيلة: ويحك أَعتقها فتقوَّم عليك فتتزوجها ففعل، فرُفع إلى ابن أبي عِمرانَ وهو القاضي يوَمئذٍ فقال: أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة، أمَّا نحن في الحكومة فقد عرفنا أن قد بلغت خمسمائة دينار، فاذهبوا فقوِّموها، فإن بلغت القيمةُ أَكثر من هذا ألزمناه وإلا فخذوا منه خمسمائة دينار، فاستُحسن هذا الرأي، وليس عليه الناس قبلنا، فقال ابنُ الخياط يذكر ذلك من أَمر ابن أبي قُتيلةَ، وما كان منه من أمر جاريته.

يا معشرَ العُشاقِ من لم يكنْ ... مثلَ القُتيليّ فلا يَعشقِ
لما رَأى السُّوَّام قد أَحدقوا ... وصيحَ في المغرب والمشرقِ
واجتمع الناسُ على دُرَّةٍ ... نظيرُها في الخلق لم يُخلقِ
وأبدتِ الأَموالُ أعناقَها ... وطاحتِ العُسرةُ للمُملِقِ[1]
قلَّب فيه الرَّأي في نفسه ... يُديرُ ما يأْتي وما يتَّقِي
أَعتقها والنفسُ في شِدقِها ... للمُعتِق المنُّ على المعتَقِ
وقال للحاكم في أَمرها ... إن افترَقنا فمتى نلتقِي؟!

[السريع]

وأخبرني بهذا الخبر وكيعٌ، قال: قال الزبير بن بكار، وذكر مثل ما ذكره الحرميّ وزاد فيه.

فكان فيهم ـ يعني فيمن حضر لابتياعها ـ موسى بن جعفر بن محمد، ومحمد بن زيد بن عليّ، والقاسم بن إسحاقَ بن عبد اللَّه بن جعفر وغيرهم، قال فرأيتهم قِياماً في الشمس يتزايدون فيها، وقال في خبره: ابن أبي قُتيلةَ بالتَّاء.

---

(١) المملق: المعسر، المحتاج الفقير.

عبد اللَّه وابنه يونسُ يتنازعانِ العطاء:

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

حدثني يونُس بنُ عبد اللَّه بن سالم الخياط، قال: كنتُ ذات عشية في مسجد رسول اللَّه ﷺ، وقت العصر في أيام الحجِّ فإذا أنا برجل جميل عليه مُقطّعات خزّ. وإذا مَعه جماعة، فوقف إلى جنبي فصلَّى ركعتين، ثم أقبل عليَّ، وكان ذلك من أسباب الرزق، فقال: يا فتى، أتعرف عبد اللَّه بن سالم الخياط؟ فقلت: نعم، فلما صلَّينا قال: امضِ بنا إليه، فمضيت به، فاستخرجتُ له أبي من منزله، فقال الرجل: بلغني أنك قلتَ شعراً في أَمر العصبية، فقال له أبي: ومن أنت بأَبي أنت وأُمّي؟ فقال: أنا خُريم بن أبي الهيذام. فقال له أبي: نعم قد قُلتُه، وأَنشده.

إسقياني مِن صِرف هذا المُدام ... ودعاني وأَقصِرا من مَلامي
واشربا حيث شئتما إنَّ قيساً ... قد علا عِزُّها فروعَ الأَنام
ليس واللَّهِ بالشَّآم يمانٍ ... فيه روحٌ ولا بغير الشآمِ
يَطعمُ النومَ حين تكتَحِل الأَعـ ... ـينُ بالنَّوم عند وقت المنامِ
حَذراً من سيوف ضِرغامَةٍ[1] عا ... دٍ على الهولِ باسلٍ مقدام
من بني مُرَّة الأطايبِ يُكْنَى ... عند دَسر الرِّماح[2] بالهيذام[3]

[الخفيف]

قال: فأَشرع الفتى يدَه إليه بشيء وجزَّاه خيراً، قال يونس: فبادرت فأَخذت بيد المرِّيِّ، وقلت له: لا تعجَل فإني قد قلت شعراً أجودَ من شعره، قال أبي: ويلك يا يونسُ يا عاضَّ بظر أُمِّه، تحرمني؟ فقلت: دع هذا عنك، فواللَّهِ لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك، فقلت ليونسَ: ومن كانتِ امرأة أبيك يومَئذٍ؟ فقال: أمّي، وجمعتُ واللَّهِ عقوقَهما، فقال لي المريُّ: أَنشد، فأَنشدته:

اسقياني يا صاحبيَّ ٱسقياني ... ودعاني منَ الملام دعاني
اسقياني هُديتما من كُمَيتٍ[4] ... بنتِ عشرٍ مشمولةٍ إسقياني
فُضَّ عنها ختامُها إذ سباها[5] ... واضحُ الخدِّ من بني عدنانِ

(١) الضرغامة: من أسماء الأسد. (٢) دسر الرماح: طعنها.
(٣) الهيذام: السيف القاطع.
(٤) الكميت من الخمور: ما كانت تميل إلى اللون الأحمر.
(٥) سباها: حصل عليها بالقوَّة.

نـتـحـايـا بـالـكـأْس أربـعـةً فـي الـدَّ ورِ هـــذانِ نـــاعـــمـــان وذانِ
ذا لِـهـذا ريـحـانـةٌ مـثـل هـذا كَ لـهـذا مـن طـيِّـب الـرَّيـحـانِ
فـنـهـضـنـا لـمـوعـدٍ كـان مِـنَّـا إذ سـمـعـنـا تـجـاوبَ الـبُـكـمـانِ
فـنَـعِـمـنـا حَـولـيـن[1] بـهـراً وعـشـنـا بـيـن دُفٍّ ومُـسـمِـع ودنـانِ[2]
ثـم هِـجـنـا لـلـحـرب إذ شُـبَّـتِ الـحـر بُ فـفُـزنـا فـيـهـا بـسـبـق الـرِّهـانِ
إن قـيـسـاً فـي كـل شـرقٍ وغـربٍ خـارجٌ سـهـمُـهـا عـلـى الـسُّـهـمـان
مـنـع الـلَّـه ضَـيـمَـنـا[3] بـأبـي الـهَـيـ ـذام حِـلـفِ الـسَّـمـاح والإحـسـان
والـيـمـانـونَ يـفـخـرون أمـا يـد رون أَنَّ الـنـبـيّ غـيـرُ يـمـانـي

[الخفيف]

قال: فقال الفتى لأبي: قد وجب علينا من حقه مثل ما وجب علينا من حقك يا شيخ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي وقسم الدنانير بيننا وكانت خمسين ديناراً.

قصاص:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدثني الزبير، قال:

مرَّ رجل بيونسَ بن عبد اللَّه الخياط، وهو يَعصِر حَلق أبيه، وكان عاقّاً به، فقال له: ويلك، أتفعل هذا بأبيك؟ وخلَّصه من يده، ثم أقبل على الأب يُعزِّيه ويسكِّن منه، فقال له الأب: يا أَخي، لا تلمْهُ، واعلمْ أَنه ابني حقاً، واللَّهِ لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه، فانصرف عنه الرجل، وهو يضحك.

يونس يشكو الفقر:

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثني عليّ بن محمد بن سُليمانَ النوفليّ، عن عمه عيسى، قال:

شكا يونسُ بن عبد اللَّه الخياط إلى محمد بن سعيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حالَه وضيقاً قد ناله، فأَمر له بدنانيرَ وكُسوة وتمر، فقال يمدحه:

---

(١) بهراً: مشعّة بضيائها.
(٢) الدنان، الواحد دنّ: وعاء الخمرة التي تحفظ به.
(٣) الضيم: الظلم.

يا ابن سعيد يا عَقيدَ النَّدى ... يا بارعَ الفضل على المُفْضِلِ
حللتَ في الذِّروةِ من هاشم ... وفي يَفاعٍ من بني نوفلِ
فطاب في الفَرعَينِ هذا وذا ... ما اعتمَّ من منصبك الأطولِ
قد قلتُ للدهر، وقد نالني ... بالناب والمخلب والكَلكلِ[1]
قد عدْتُ من ضرِّك مستعصِماً ... بها شميٍّ ماجد نوفَلي
فقال لي: أهلاً وسهلاً معاً ... فزتَ ولم يمنَع ولم يَبخَل
ألدهر شِقَّانِ: فشقّ له ... لِينٌ وشقٌّ خشنُ المنزلِ
وَأَخشنَ الشِّقَّينِ عني نفى ... وشقُّه الأَلينُ ما عاش لي
فقل لهذا الدهر، ما عاش: لا ... تُبقِ ولا تُرْع ولا تأْتلي[2]

[السريع]

يستعفي منَ الصلاة:

أخبرني محمد بن مزيد، قال:

حدثنا الزبير بن بكار قال: أخذَ أبي لما ولي الحجاز يونسُ بن عبد اللَّه الخياط بأَن يُصلّيَ الصلواتِ الخمس معَ الجماعة في مسجد رسول اللَّه ﷺ، فجاءني هو ومحمد بن الضحَّاك وجعفر بن الحسين اللهَبيُّ فوقف بين يدي ثم أنشدني:

قلْ للأمير يا كريمَ الجنسِ ... يا خيرَ من بالغَورِ أَو بالجَلْسِ[3]
وعُدّتي لولدي ونفسي ... شغَلتني بالصلوات الخمسِ

[الرجز]

فقلت له: ويلكَ أَتُريد أن أَستعفيَه لك منَ الصلاة؟ واللَّهِ ما يُعفيك وأن ذلك ليبعثه على اللَّجاج في أمرك ثم يضرُّك عنده، فمضى وقال: نصبر إذن حتى يفرج اللَّه تعالى.

يسكر فيُعطي ثم يصحو فيسترد:

أخبرني محمد، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

حدثنا يونس بن الخياط، قال: كان لِأبي صديقٌ، وكان يدعوه ليشرب معَه،

(١) الكلكل: صدر البعير.
(٢) تأتلي: تتأخر.
(٣) الجلس: هو ما ارتفع من أرض الحجاز.

فإذا سكر خلع عليه قميصه، فإذا صحا من غدٍ بعث إليه فأَخذه منه، فقال أبي فيه:

كساني قميصاً مَرَّتينِ إذا انتشى ... ويَنزعه مني إذا كان صاحيا
فلي فرحةٌ في سُكرِه بقميصه ... وروعاته في الصَّحو حصَّت[1] شواتيا[2]
فيا ليت حَظي من سروري وروْعتي ... تكون كِفافاً لا عليّ ولا لِيا

[الطويل]

وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها:

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرقيُّ، قال:

قال يونسُ بن عبد اللَّه الخياط لأبيه، وكان عاقّاً به.

ما زال بي ما زال بي ... طَعنُ أَبي في النسبِ
حتى تَرَيَّبت[3] وحـ ... ـتى ساء ظني بأَبي

[مجزوء الرجز]

قال: ونشأ ليونسَ ابنٌ يقال له دُحيمٌ، فكان أعقَّ الناس به، فقال: يونسُ فيه:

جَلَّى دُحيمٌ عَمَايةَ الرِّيبِ ... والشكَّ مني والطعنَ في نسبي
ما زال بيَ الظَّنُّ والتشكُّكُ حتّى ... عقَّني مثل ما عققت أَبي

[المنسرح]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال، حدثنا الزبير بن بكار، قال:

حدثني يونسُ بن الخياط، قال: أنشدت سعيد بن عمرو الزبيريّ.

لو فاح ريحُ حبيبةٍ من حبها ... فاحت رياحُ حبيبتي من ريحي

[الكامل]

قال: فقال لي سعيد بن عمرو: واللَّهِ إني لأقول النسيبَ فلا أقدر على مثل هذا، فقلت له، ومن أين تقدر على مثل هذا يا أبا عُثمانَ، لا تقدر، واللَّهِ على مثله حتى يسوء الثناء عليك.

عبد اللَّه يفضل ابنه يونسَ عليه في الفرض:

أخبرني الحرميُّ، قال: حدثنا الزبير، قال:

---

(١) حصّت: حلقت.
(٢) الشواة: قحف الرأس وجلدته.
(٣) تريّب: شكّ.

حدثني يونسُ بن الخياط، قال: لما أعطى المهديُّ المغيرةَ بن حبيبٍ ألف فريضة يضعها حيث شاء جاءه أبي عبدُ اللَّه بن سالم، وقال له:

ألفٌ تدور على يدٍ لِمُمَدَّحِ ... ما سوقُ مادحهِ لديه بكاسِدَهْ
ألظنُّ مني لو فرضتَ لواحدٍ ... في الأعجمينَ خصصتني بالواحِدَهْ

[الكامل]

قال: فقال له المغيرة: أيُّهما أحبّ إليك؟ أأفرض لك أم لابنك يونس؟ فقال له: أنا شيخ كبير هامةُ اليوم أو غدٍ[1]، افرض لابني يونسَ، ففرض لي في خمسين ديناراً، فلما خرجتِ الأَعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدي بكَّار بن عبد اللَّه، قال لي خليفتُه وخليفةُ أيوبَ بنِ أبي سَمينٍ، وهما يعرضانِ أهل ديوان العطاء: أنت من هُذيل ونراك قد صرت من آل الزبير، فنردك إلى فرائض هُذيل خمسة عشر ديناراً، فقال لهما بكار: إنما جُعِلتُما لتتَّبِعا ولا تَبتدِعا، أَمضِياه، فأَعطياني مائة وخمسينَ ديناراً.

يونس يهجو هشام بن عبد اللَّه:

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرقيّ، قال: حدثنا ابن أبي قَباحةَ الزُّهريُّ، قال.

لما عُزل ابنُ عِمران، وهو عبد اللَّه بن محمد بن عِمرانَ التيميّ عنِ القضاء، واستُعمِل هشام بن عبد اللَّه بن عِكرمةَ المخزوميّ، جزع ابنُ عِمرانَ من ذلك، فقال بعض أصحابه ليونسَ بن عبد اللَّه الخياط: اهجُ هشاماً بما يَغُضُّ منه، فقال:

كم تَغَنَّى لي هِشامٌ ... ذلك الجِلفُ الطويلُ
بعدَ وَهنٍ وهو في المجـ ... ـلس سكرانُ يميلُ
هل إلى نارٍ بسَلعٍ[2] ... آخرَ الدهر سَبيلُ
قلت للنَّدمان لما ... دارتِ الرَّاحُ الشَّمولُ[3]
بأبي مالَ هِشامٌ ... فكما مالَ فميلوا

[مجزوء الرمل]

قال: وشهرها في الناس وبلغ ذلك هشاماً فقال: لعنه اللَّه، إن كان لكاذباً، فقال ابن أبي قَباحةَ: فقلت لابن الخياط: كذبتَ واللَّهِ أَما واللَّهِ إنه لأَمرٌ من ذلك.

---

(١) هامة اليوم أو غد: من هو على وشك موته.
(٢) سلع: موضع.
(٣) الراح الشمول: الخمرة الباردة.

يونس يغيظ أباه:

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود، قال:

قال يونس بن عبد اللَّه الخياط: جئت يوماً إلى أبي، وهو جالس، وعندَه أصحابٌ له، فوقفت عليهم لِأُغيظَه، وقلت: ألا أُنشدكم شعراً قلته بالأمس؟ قالوا: بلى، فأَنشدتهم:

يا سائلي من أنا ومن يُناسبني ... أنا الذي مالَه أصلٌ ولا نسبُ
ألكلبُ يختال فخراً حين يُبصرُني ... والكلبُ أكرم مني حين ينتسبُ
لو قال لي الناسُ طراً: أَنت أَلأمُنا ... ما وَهِمَ الناسُ في ذاكمْ ولا كذَبُوا

[البسيط]

قال: فوثب إليَّ ليضربَني، وعدوت من بين يديه، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون.

جلد يونس وشعره في ذلك:

أخبرني وكيع، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود:

أن مالك بن أَنَسٍ جَلد يونسَ بن عبد اللَّه بن سالم الخياط حدّاً في الشراب، قال: وولى ابنُ سعيدٍ القضاءَ بالمدينة، فقال يونس فيه:

بَكَّتني[1] الناس، لأن ... جُلدتُ وسطَ الرَّحبهْ
وأَنني أَزني وقدْ ... غَنيتُ في المحتسِبهْ
أُعرف فيهم بعصا ابـ ... ـن مالكِ المقتضبهْ
فقلت، لما أكثروا ... عليَّ: قِيمَ الجَلَبهْ[2]؟!
ذا ابنُ سعيدٍ قد قضى ... وحالُنا مُقتربهْ
لا بل له التفضيلُ فيـ ... ـما لم أَنَلْ والغَلَبهْ
بحُسنِ صوتٍ مُطربٍ ... وزوجةٍ مغتصَبهْ

[مجزوء الرجز]

ابن الخياط على فِراش الموت:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء ووكيع، قال الحرميُّ: قال الزبير، وقال وكيع:

(١) بكّتني الناس: بكوا لأجلي.
(٢) الجلبة: الضجيج، العويل.

قال الزبير بن بكار: أرسل إليَّ ابن الخياط يقول: إني عليل منذ كذا وكذا، ومنزلي على طريقك إذا صدرت إلى التثنية، وأنا أُحب أن أُجدِّد بك عهداً، قال: فجعلته طريقي، فوجدته على فرش مُضَرَّبة[١]، وحوله وسائدُ، وهو مُسجَّى، فكشف ابنه الثوب عن وجهه، وقال له: فديتك هذا أبو عبد اللَّه، فقال له: أَجلسني، فأَجلسه وأسنده إلى صدره، فجعل يقول بنَفَسٍ منقطع: بأَبي أنت وأُمي، أنا أموت مذ بِضعَ عشرةَ ليلةً ما دخل عليَّ فرشي غيرك وغير الزبير بن هشام وإبراهيمَ بنِ المنذر ومحمد بن عبد اللَّه البكريّ، ولا واللَّهِ ما أعلم أحداً أحبَّ قريشاً كحُبي. قال زبيرٌ: وذكر رجلاً كان بيني وبينه خِلافٌ، فقال: لو كنتُ شاباً لفعلت بأُمه كذا وكذا، لا يكني، ثم قال:

واللَّـهِ لـو عـادتْ[٢] بـنـي مُـصـعـبٍ حـلـيـلـتـي[٣]، قـلـتُ لـهـا: بِـيـنـي
أو ولـدي عـن حـبِّـهـم قـصـروا ضـغـطـتُـهـم بـالـرَّغـم والـهُـونِ
أَو نـظـرت عـيـنـي خِـلافـاً لـهـمْ فـقـأَتـهـا عـمـداً بـسِـكـيـنِ

[السريع]

ثم أَقبل على ابنه، فقال: يا بنيَّ أقول لك في أبي عبد اللَّه ما قال ابنُ هِرمةَ لابنه في الحسن بن زيد:

أَلـلَّـهُ جـارُ عُـتـيٍّ دَعـوة شَـفـقـاً مـنَ الـزمـان وشَـرُّ الأَقـربِ الـوالـي
مـن كـلِّ أَحـيـدَ عـنـه لا يُـقـرِّبُـهُ وسط النَّجِيِّ ولا في المجلس الخالي

[البسيط]

قال الزبير: حدثني محمد بن عبد اللَّه البكريّ أنه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه، قال: فقال لي: يا أَبا عبد اللَّه، أَنا أجود بنفسي منذ كذا وكذا ولا تَخرج، ما هكذا كانت نفسُ عَبيد ولا لبيد ولا الحُطيئة، ما هي إلا نفسُ كلبٍ، قال فخرجت فما أبعدت حتى سمعت الواعية[٤] عليه.

صـوت

بـأَبـي مـالـك عـنـي مـائـل الـطَّـرف كـلـيـلا
وأَرى بـرَّك نـزراً[٥] وتَـحَـفِّـيـك[٦] قـلـيـلا

(١) الفُرش المضرّبة: التي حُشيت قطناً.
(٢) عادت: من العداء والكراهية.
(٣) حليلتي: زوجتي.
(٤) الواعية: النادبة على الميت.
(٥) النزر: القليل.
(٦) تحفِّيك: اجتهادك.

وتُسمّيني عدوّاً وأُسمِّيك خَليلا
أَتعلمتَ سُلوّاً أم تبدلتَ بديلا؟
أحمدُ اللَّه فما أَغـ ـنى الرجا فيك فتيلا

[مجزوء الرمل]

الشعر لعليّ بن جبلةَ، والغِناء لزُرزُر غلام المارقيّ خفيف رمل بالبنصر من روايتي الهشامي وعبد اللَّه بن موسى وفيه لعَريب هزج، وفيه ثقيل بأول من جيد الغناء ينسب إِليها وإلى علُّويه، وهو بغنائها أشبه منه بغناء علُّويه.

أخبار عليّ بن جَبلةَ

اسمه ونسبه:

هو عليّ بن جبلةَ بن عبد اللَّه الأبناويّ ويُكنَّى أَبا الحسن، ويلقب بالعَكوَّك، من أبناء الشيعة الخراسانية، من أهل بغدادَ وبها نشأ، وولد بالحربية منَ الجانب الغربيّ، وكان ضريراً، فذكر عطاء المِلطُ أنه كان أكمه، وهو الذي يُولد ضريراً، وزعم أهله أنه عميَ بعد أن نشأ. وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جَزله لطيف المعاني مَدّاح حسن التصرف، واستنفد شعره في مدح أبي دُلف القاسم بن عيسى العِجليّ وأَبي غانم حُميد بن عبد الحميد الطوسيّ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلف خاصة، حتى فضل من أجله ربيعةَ على مُضرَ، وجاوز الحدّ في ذلك، فيُقال إن المأمون طلبه حتى ظفر به فسلَّ لسانه من قفاه. ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه. وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ.

اختلافه إلى مجالس العلم والأدب:

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار الثقفيّ، قال:

حدثني الحسين بن عبد اللَّه بن جبلةَ ابن أخي عليّ بن جبلةَ، قال: كان لجدّي أَولاد، وكان علي أصغرهم، وكان الشيخ يرقُّ عليه، فجُدر فذهبت إحدى عينيه في الجدري، ثم نشأ فأُسلم في الكُتَّاب، فحَذق بعض ما يحَذَقه الصِّبيان، فحُمل على دابة ونُثر عليه اللوز، فوقعت على عينه الصحيحة لوزةٌ فذهبت، فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق منَ السلطان، فإن أَعنتموني على هذا الصبي، وإلَّا صرفت بعض أرزاقكم إليه، فقلنا: وماذا تُريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب، قال: فكنا نأْتي به مجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحول حتى بَرَع وحتى كان العالِمُ إذا رآه قال لمن حوله: أَوسعوا للبنوي وكان ذكياً مطبوعاً، فقال الشعر، وبلغه أن الناس يقصدون أَبا دُلف لجوده وما كان يُعطي الشعراء، فقصده، وكان يُسمى العكوَّك فامتدحه بقصيدته التي أَولها:

ذادَ وِردَ الـــغـــيِّ عـــن صَـــدَرِه وارعـــوى والـــلّـــهـــوُ مـــن وَطـــرِهْ

[المديد]

يقول فيها في مدحه:

يـــا دواءَ الأرض إن فـــسَـــدت ومـجـيـرَ الـيُـسـرِ مـن عـسـرِهْ
كـلُّ مـن فـي الأرض مـن عـرب بـيـن بـاديـه إلـى حـضـرِهْ
مـسـتـعـيـرٌ مـنـك مَـكـرُمـةً يـكـتـسـيـهـا يـومَ مُـفـتـخَـرِهْ
إنـمـا الـدنـيـا أبـو دُلـفٍ بـيـن بـاديـه ومُـحـتـضـرِهْ[1]
فـإذا ولَّـى أبـو دلـفٍ وَلَّـت الـدنـيـا عـلـى أَثـرِهْ

[المديد]

أبو دُلف يشكّ في شعره ويمتحنه:

فلما وصل إلى أبي دُلف، وعنده مَنْ عنده منَ الشعراء، وهم لا يعرفونه استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قدِ اتهموك وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيّها الأَميرُ إن المحنة تُزيل هذا، قال: صدقت، فامتحنوه، فقالوا له صِفْ فرس الأمير وقد أجَّلناك ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول، فجعلوا معَه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي:

رِيـعَـتْ لـمـنـشـورٍ عـلـى مَـفـرِقـه ذمّ لـهـا عـهـدَ الـصِّـبـا حـيـن انـتـسَـبْ
أَهـدابُ شـيـبٍ جـددٌ فـي رأسـهِ مـكـروهـةُ الـجـدَّة أَنـضـاءُ[2] الـعُـقـبْ[3]
أشـرقـن فـي أَسـودَ أَزريـنَ بـه كـأن دُجـاه لـهـوى الـبـيـضِ سـبـبْ
واعـتـقـنَ أيَّـامَ الـغـوانـي والـصِّـبـى عـن مـيِّـت مـطـلـبُـه حـيُّ الأدب
لـم يـزدَجِـرْ[4] مُـرْعـويـاً[5] حـيـن ارعـوى لـكـن يـدٌ لـم تـتَّـصـل بـمـطَّـلـبْ
لـم أَرَ كـالـشـيـبِ وقـاراً يُـجـتَـوى[6] وكـالـشـبـاب الـغـضِّ[7] ظِـلّاً يُـسـتَـلـبْ
فـنـازِلٌ لـم يُـبـتَـهَـج بـقُـربـه وذاهـبٌ أَبـقـى جَـوًى[8] حـيـن ذهـبْ

(١) محتضره: المحتَضِر خلاف البادي: الذي يأتي الحضر ويسكن المدن.
(٢) الأنضاء، الواحد نِضو، بكسر النون، المهزول من الحيوان.
(٣) العُقب، الواحدة عقبة: الليل والنهار.
(٤) لم يزدجر: لم يرتدع، لم يرعوِ.
(٥) مرعوياً: كافّاً عنه.
(٦) يُجتوى: يُكره.
(٧) الشباب الغضّ: الطري الجديد.
(٨) الجوى: الحزن، الألم.

كان الشبابُ لِمَّةً[١] أُزهى بها ... وصاحباً حُرّاً عزيزَ المصطَحَبْ
إذ أَنا أَجري سادِراً[٢] في غَيِّه ... لا أُعتِبُ الدهرَ إذا الدهرُ عتَبْ
أُبعِدُ شأوَ[٣] الدّهر في إجرائِه ... وأَقصدُ الخودَ[٤] وراءَ المحتَجَب
وأَذعرُ الرّبرَب[٥] عن أَطفالِه ... بأعوَجيٍّ دُلفِيِّ المنتسَبْ
تحسبه من مَرَح العِزِّ بهِ ... مستنفِراً بروعةٍ وَمُلتهَبْ
مرتهِجٌ يَرتجُّ من أَقطاره ... كالماءِ جالت فيه ريحٌ فاضطربْ
تحسبه أَقعدَ[٦] في استقباله ... حتى إذا استدبرته قلتَ: أَكبّ[٧]
وهوَ على إرهافِه[٨] وَطَيِّه ... يقصُرُ عنه المحزمانِ[٩] واللَّببْ[١٠]
تقول فيه جنبٌ إذا انثنى ... وهو كمتنِ القِدح ما فيه جنبْ[١١]
يخطو على عوجٍ تناهَبنَ الثَّرى ... لم يتواكل عن شظًى[١٢] ولا عصب
تحسبها ثابتة إذا خَطتْ ... كأَنها واطئةٌ على الرُّكبْ
شتا وقاظَ[١٣] برُهَتَيهِ عندنا ... لم يؤتَ من برّ به ولا حدَبْ
يِصانُ عَصرَي حرِّه وقُرِّه[١٤] ... وتُقصرُ الخورُ[١٥] عليه بالحلَبْ
حتى إذا تمَّت له أَعضاؤه ... لم تنحبِس واحدةٌ على عَتب[١٦]
رمنا به الصَّيد فرَادَينا[١٧] به ... أوَابدَ الوحش فأَجدي واكتسب
محتدِمُ الجري يُباري[١٨] ظلَّه ... ويُعرقُ الأَحقَب[١٩] في شوط الخبَب[٢٠]

---

(١) اللّمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. ما تشعّث من الشعر.
(٢) سادراً: لا يبالي بما يصنع.
(٣) الشأو: المدى، الحدّ.
(٤) الخود: الشابات العذارى الجميلات.
(٥) الربرب: القطيع من البقر الوحشي والظباء.
(٦) الأقعد من الجياد: ما يكون في وظيفه استرخاء.
(٧) أكبّ: ثقل.
(٨) الإرهاف: ضمور الخاصرتين.
(٩) المحزمان: وسط الصدر.
(١٠) اللبب: الصدر.
(١١) الجنب: شبه الظلع والقدم.
(١٢) الشظى: عظم مستدق ملتصق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف.
(١٣) قاظ: دخل في قيظ الصيف.
(١٤) القُرّ، بضم القاف: شدّة البرد القارص.
(١٥) الخور، الواحدة خورة، من الإبل: أفضلها.
(١٦) العَتب، بفتح العين: الأمر المكروه.
(١٧) رادينا: راودنا.
(١٨) يباري: يسابق.
(١٩) الأحقب: حمار الوحش.
(٢٠) الخبب: ضرب من العدو السريع.

إذا تـظـنـيـنـا بـه صـدّقـنـا ... وإن تـظَـنَّـى فـوَتـه الـعَـيـرُ[١] كـذَب
لا يـبـلـغُ الـجـهـدَ بـه راكـبُـه ... ويَـبـلـغ الـريـح بـه حـيـث طـلَـبْ
ثـمَّ انـقـضـى ذاك كـأن لـم تَـغـنَـهُ[٢] ... وكـلُّ بُـقـيـا فـإلـى يَـومِ عـطـبْ
وخـلـف الـدهـر عـلـى أبـنـائـه ... بـالـقـدح فـيـهـمْ وارتـجاع مـا وهـبْ[٣]
فـحـمِّـل الـدَّهـر ابـنَ عـيـسـى قـاسـماً ... يَـنـهـضْ بـه أَبـلـجُ فـرَّاجُ الـكـرَبْ
كـرَونـق الـسـيـفِ انـبـلاجـاً بـالـنَّـدى ... وكـغِـراريـهِ عـلـى أَهـل الـرِّيـب
مـا وسِـنـت[٤] عـيـنٌ رأتْ طـلـعـتَـه ... فـاسـتـيـقـظـت بـنـوبـةٍ مـنَ الـنُّـوَبْ
لـولا ابـنُ عـيـسـى الـقـرْم[٥] كـنَّـا هـمـلاً ... لـم يـؤتَـثَـلْ[٦] مـجـدٌ ولـم يُـرعَ حـسـبْ
ولـم يُـقَـم فـي يـوم بـأسٍ ونـدًى ... ولا تـلاقـى سـبَـبٌ إلـى سـبَـبْ
تـكـادُ تُـبـدي الأَرضُ مـا تُـضـمِـره ... إذا تـداعـت خـيـلـه هـلا وهـبْ[٧]
ويـسـتـهـلُّ أمـلاً وخِـيـفـةً ... جـانـبـهـا إذا اسـتـهَـلّ أوْ قـطـبْ
وهـو وإن كـان ابـنُ فـرعَـيْ وائـلٍ ... فـبـمـسـاعـيـه تـوافَـى فـي الـحـسَـبْ
وبـعُـلاه وعُـلا آبـائـه ... تُـحـوي غـداةَ الـسَّـبـق أَخـطـار الـقـصـبْ
يـا زهـرةَ الـدُّنـيـا ويـا بـابَ الـنَّـدى ... ويـا مـجـيـرَ الـرُّغـب مـن يـوم الـرَّهـبْ
لـولاك مـا كـان سَـدًى[٨] ولا نـدًى[٩] ... ولا قـريـشٌ عُـرفـت ولا الـعَـربْ
خُـذهـا إلـيـك مـن مَـلـيءٍ بـالـثَّـنـا ... لـكـنـه غـيـرُ مـلـيءٍ بـالـنّـشـبْ[١٠]
فـأثـوِ فـي الأرض أوِ اسـتـفـزز بـهـا ... أنـت عـلـيـهـا الـرأْسُ والـنـاسُ الـذّنَـبْ

[الرجز]

قال: فلما غدا عليه بالقصيدة وأَنشده إياها استحسنها مَنْ حضر، وقال: تشهد أن قائل هذه قائل تلك، فأَعطاه ثلاثينَ ألفَ درهم.

وقد قيل: إن أبا دُلف أعطاه مائة ألف درهم، ولكن أَراها في دفعات لأنه قصده مِراراً كثيرة ومدحه بعدة قصائد.

---

(١) العَير: الحمار الوحشي.
(٢) لم تغنه: لم تعشه.
(٣) وهب: منح، أعطى.
(٤) وسنت: نعست، نامت.
(٥) القرم: السيد الشجاع البطل.
(٦) لم يؤتثل مجد: لم يتأصّل.
(٧) هلا وهب: زجر للخيل.
(٨) السدى: الإحسان.
(٩) الندى: الكرم، الجود.
(١٠) النشب: المال المنقول والثابت من عقار وسواه.

المأمون يطلب سماع شعر ابن جبلَة في أبي دُلف:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني أحمد بن أبي فنن، قال: قال عبد اللَّه بن مالك:

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أُقسم على من حضر ممن يحفظ قصيدة عليّ بن جبلةَ الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها. فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين ولا بدّ من إبرار قسمه، وما أحفظها ولكنها مكتوبة عندي، قال: قمْ فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها، وهي:

ذادَ وردَ الـــغـــيِّ عـــن صـــدَرِهْ ... وارعـــوى[1] والـــلـــهـــو مـــن وَطـــرِهْ
وأَبـــت إلا الـــبـــكـــاءَ لـــه ... ضَـــحِـــكـــاتُ الـــشـــيـــب فـــي شـــعَـــرِهْ
نـــدَمـــي أنَّ الـــشـــبـــاب مـــضـــى ... لـــم أُبـــلِّـــغـــه مـــدى أَشـــرِهْ
وانـــقـــضَـــت أَيـــامـــه سَـــلـــمـــاً ... لـــم أَجـــدْ حَـــولاً[2] عـــلـــى غِـــيـــرِهْ[3]
حَـــسـرَت[4] عـــنـــي بـــشـــاشـــتُـــهُ[5] ... وذوى الـــمـــحـــمـــود مـــن ثـــمـــرِهْ
ودم أهـــــدَرتُ مـــــن رشـــــإٍ ... لـــم يُـــرد عـــقـــلاً[6] عـــلـــى هَـــدرِهْ[7]
فـــأَتـــتْ دون الـــصِّـــبَـــى هَـــنـــةٌ[8] ... قـــلـــبـــت فـــوقـــي[9] عـــلـــى وتـــرِهْ
جـــارتـــا لـــيـــس الـــشـــبـــابُ لِـــمـــنْ ... راح مـــحـــنـــيّـــاً عـــلـــى كِـــبـــرِهْ
ذهـــبـــتْ أشـــيـــاءُ كـــنـــت لـــهـــا ... صـــارَهـــا[10] حِـــلـــمـــي إلـــى صَـــورِهْ[11]
دَع جـــدا قـــحـــطـــانُ أو مُـــضَـــر ... فـــي يـــمـــانِـــيـــه وفـــي مُـــضـــرِهْ
وامـــتـــدِح مـــن وائـــلٍ رجُـــلاً ... عَـــصَـــرُ[12] الآفـــاقِ فـــي عَـــصَـــرِهْ
ألـــمـــنـــايـــا فـــي مـــقـــانـــبـــه[13] ... والـــعـــطـــايـــا فـــي ذرَا حُـــجَـــرِهْ

---

(١) إرعوى: إرتدع.
(٢) الحول، بفتح الحاء وسكون الواو: السنة، العام.
(٣) الغِير، بكسر الغين: المصائب والويلات. (٤) حسرت: كشفت.
(٥) بشاشته: جماله ورونقه. (٦) العقل: الدية.
(٧) هدره: إسالته، هدره. (٨) الهنة: الاسترخاء والتواني.
(٩) الفوق: شق رأس السهم حيث يقع الوتر. (١٠) الصار: الأمل.
(١١) الصور: الميل.
(١٢) العَصَر، بالفتح. الملاذ والملجأ.
(١٣) المقانب، جمع مقنب: جماعة الخيول المجتمعة للغارة.

مَـلـكٌ تـنـدَى أنَـامـلـه كـانـبـلاج[١] الـنَّـوءِ[٢] عـن مـطـرِهْ
مُـسـتـهـلٌّ عـن مـواهـبـه كـابـتـسـام الـرَّوض عـن زَهَـرِهْ
جـبـلٌ عـزَّت مـنـاكِـبُـه أَمـنَـتْ عـدنـانُ فـي ثُـغَـرِهْ
إنـمـا الـدنـيـا أبـو دُلَـف بـيـن بـاديـه ومـحـتـضـرِهْ[٣]
فـإذا ولَّـى أبـو دُلَـف ولَّـتِ الـدنـيـا عـلـى أثـرِهْ
لـسـت أَدري مـا أَقـول لـه غـيـر أَنَّ الأرض فـي خَـفـرِهْ[٤]
يـا دواءَ الأَرض إن فـسـدت ومُـديـلَ الـيُـسـر مـن عُـسُـرِهْ
كـلُّ مـن فـي الأرض مـن عـربٍ بـيـن بـاديـة إلـى حـضَـرِهْ
مُـسـتـعـيـرٌ مـنـك مـكَـرمـةً يَـكـتـسـيـهـا يـومَ مُـفـتـخـرِهْ

[المديد]

يقول فيها:

ورَجـوفٍ فـي صـواهـلـه كـضـيـاء الـفـجـر فـي أمـرِهْ
قُـدتـه والـمـوتُ مـكـتـمـنٌ فـي مَـذاكِـيـه[٥] ومُـشـتَـجـرِهْ[٦]
فـرمـت جـيـلـوَيـهِ[٧] مـنـه يـدٌ طـوت الـمـنـشـورَ مـن نـظـرِهْ
زُرتـه والـخـيـلُ عـابـسـةٌ تـحـمِـل الـبُـؤسَـى عـلـى عُـقُـرِهْ
خـارجـات تـحـت رايـتـهـا كـخـروج الـطَّـيـر مـن وُكـرِهِ
وعـلـى الـنُّـعـمـانِ عُـجـتُ[٨] بـه عَـوجَـةً ذادتـه[٩] عـن صـدَرِهْ
غـمَـط[١٠] الـنـعـمـاءَ صَـفـوتَـهـا فـردَدت الـصـفـو فـي كـدرِه[١١]
ولـقُـرقـورٍ أَدرتَ رحـاً لـم تـكـن تـرتَـدُّ فـي فـكَـرِهْ
قـد تـأَنَّـيـت الـبـقـاءَ لـه فـأَبـى الـمـحـتـومُ مـن قـدَرِهْ

(١) إنبلاج: تفجّر وتفتّح. (٢) النوء: المطر.
(٣) محتضره: المحتَضِر خلاف البادي: الذي يأتي الحضر ويسكن المدن.
(٤) خَفَره، بالفتح: حمايته.
(٥) المذاكي من الخيول: ما تمّت سنة وكملت قوّته.
(٦) المشتجر: المشاركة في القتال.
(٧) جيلويه: قتله أبو دُلف لأنه قتل أخاه معقل بن عيسى فثأر منه لأخيه.
(٨) عجت: ملت وعطفت. (٩) ذاد: دفع وطرد.
(١٠) غمط النعماء: أنكرها. (١١) كدره: غيظه وغمّه.

وطـــغـــى حـــتـــى رَفـــعْـــتَ لـــه خُـــطَّـــة شـــنـــعـــاء مـــن ذِكَـــرهْ

[المديد]

قال فغضب المأمون واغتاظ، وقال: لستَ لأبي إن لم أَقطع لسانه أو أَسفك دمه.

مناسبة القصيدة:

قال ابن أبي فنن: وهذه القصيدة قالها عليُّ بن جبلةَ وقصد بها أبا دُلف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقُرقور، وكان من أَشدّ الناس بأْساً وأعظمهم، فكان يقطع هو وغِلمانه على القوافل وعلى القُرى، وأَبو دُلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه، فبينا أَبو دُلف خرج ذات يوم يتصيَّد، وقد أَمعن في طلب الصيد وحدَه إذا بقُرقور قد طلع عليه، وهو راكب فرساً يشقُّ الأرض بجَريه، فأَيقن أَبو دلف بالهلاك، وخاف أن يولِّيَ عنه فيهلِك، فحمل عليه وصاح يا فتيانُ يَمنةً يمنة، يُوهمه أَن معَه خَيلاً قد كمَنَها له، فخافه قُرقور، وعطف على يساره هارباً، ولحقه أَبو دُلف، فوضع رمحه بين كتفيه، فأَخرجه من صدره، ونزل فاحتزّ رأسه، وحمله على رمحه حتى أَدخله الكرَجَ.

قال: فحدثني من رأى رمح قرقور وقدِ أدخل بين يديه يحمله أَربعة نفر.

فلما أنشده عليّ بن جبلةَ هذه القصيدة استحسنها وسُرَّ بها، وأَمر له بمائة أَلف درهم.

أبو دَلف يبكي لأنه لم يوفِ ابنَ جبلةَ حقّه:

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيدَ الأزديّ قال: أخبرني إبراهيمُ بن خلف، قال:

بينا أبو دُلف يسير معَ أخيه مَعقِل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مرَّ بامرأتينِ تتماشيانِ، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنـــمـــا الـــدنـــيـــا أَبـــو دلـــفٍ بـــيـــن بـــاديـــه ومـــحـــتـــضـــرِهْ

فـــإذا ولَّـــى أبـــو دُلـــفٍ ولَّـــتِ الـــدنـــيـــا عـــلـــى أثـــرِهْ

[المديد]

قال: فاستعبر أبو دُلف حتى جرى دمعُهُ، قال له معقل: مالك يا أَخي تبكي؟ قال: لأني لم أَقْضِ حقّ عليِّ بنِ جبلةَ، قال أَولم تُعطِه مائةَ أَلف درهم لهذه القصيدة؟

قال: واللَّهِ يا أَخي ما في قلبي حسرة تُقارب حسرتي على أَني لم أَكن أَعطيته مائة ألف دينار، واللَّهِ لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقَّه.

أبو تمام يتمنَّى أن يكون له بعض شعر ابن جبلة:

حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عبد اللَّه بن محمد بن جرير، قال:

أَنشدت أَبا تمام قصيدة عليّ بن جبلةَ البائية، فلما بلغت إلى قوله:

ورَدَّ البيضَ والبيضَ إِلى الأغماد والحُجبِ

[مجزوء الوافر]

اهتز أَبو تمام من قرنه إلى قدمه، ثم قال: أَحسن واللَّهِ، لودِدْت أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتحلها مكانه.

مدحه لأبي دُلف وحُميد الطوسيّ ينفر منه المأمون:

أخبرني عمّي، قال: حدثني أحمد بن أَبي طاهر، قال: حدثني أَبو نزار الضبيُّ الشاعر قال:

قال لي عليّ بن جبلةَ: قلت لحُميد بن عبد الحميد الطُّوسيّ: يا أَبا غانم، إني قد مدحت أمير المؤمنين بمدح لا يُحسنُ مثلَه أَحدٌ من أهل الأرض، فاذكرني له، قال: فأَنشِدني، فأَنشدته، قال: أَشهد أَنك صادق، ما يُحسن أحدٌ أن يقول هكذا، وأخذ المديح وأَدخله إلى المأْمون، فقال له: يا حُميد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفَوْنا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه، وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أَبي دُلف، وبين شعره فينا، فإِن كان الذِي قاله فيكما أجودَ ضربنا ظهره وأَطلنا حبسه، وإِن كان الذي فينا أَجود أَعطيناه لكل بيت أَلف دينار، وإِن شاء أقلناه[1]، فقلت له: يا سيدي، ومَنْ أنا ومَنْ أبو دُلف حتى يمدحنا بأَجودَ من مديحك؟ فقال: ليس هذا الكلام منَ الجواب في شيء، فأعرِض ما قلتُ لك على الرجل، فقال: أفعل، قال عليّ بن جبلةَ: فقال لي حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحبُّ إليَّ، فأَخبر المأْمونَ بذلك، فقال: هو أَعلم، ثم قال لي حُميد: يا أَبا الحسن، أَيّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلف؟ فقلت: قولي فيك:

لولا حُميدٌ لم يكن حسب يُعدُّ ولا نسَبْ

(١) أقلناه: أعفيناه من المغامرة والمحاولة.

يـــا واحـــدَ الـــعَـــرب الـــذي عـــزَّت بـــعـــزتـــه الـــعَـــربْ

[مجزوء الكامل]

وقولي في أبي دُلف:

إِنـــمـــا الـــدنـــيـــا أبـــو دُلَـــف بـــيـــن بـــاديـــه ومـــحـــتـــضـــرِهْ

فـــإِذا ولَّـــى أبـــو دُلـــف ولـــتِ الـــدنـــيـــا عـــلـــى أثـــرِهْ

[المديد]

قال: فأَطرق حُميد ثم قال: لقدِ انتقد عليك أميرُ المؤمنينَ فأَجاد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلِعة وفرس وخادم، وبلغ ذلك أبا دُلف فأَضعف ليَ العطية، وكان ذلك في ستر منهما، ما علم به أَحد خوفاً منَ المأمون حتى حدثتك به يا أَبا نزار.

أَبو دُلف لا يقوى على انقطاع ابن جبلةَ:

أخبرني عليّ بن سُليمانَ، قال: حدثني محمد بن يزيدَ، قال: حدثني عليّ بن القاسم، قال:

قال لي علي بن جبلةَ: زرت أَبا دُلف فكنت لا أدخل إِليه إلا تلقاني ببرِّه وأَفرط، فلما أكثر قعدت عنه حياءً منه، فبعث إِليَّ بمعقلٍ أَخيه، فأَتاني، فقال لي: يقول لك الأمير: هجرتَنا، لعلّك استبطأْتَ بعض ما كان مني، فإِن كان الأمر كذلك فإِني زائد فيما كنتُ أَفعله حتى ترضى، فدعوت مَن كتب لي، وأَمللْت عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إِلى معقل وسألته أن يُوصلَها، وهي:

هـجرتُك لـم أهْـجرك من كُفر[1] نـعـمـةٍ وهـل يُـرتـجـى نـيـلُ الـزيـادة بـالـكـفـرِ؟

ولـكـنـنـي لـمـا أتـيـتـك زائـراً فـأَفـرطـتَ فـي بـرِّي عـجـزت عـنِ الـشـكـرِ

فـهـا أَنـا لا آتـيـك إِلا مـسـلِّـمـاً أزورك فـي الـشـهـريـن يـومـاً وفـي الـشـهـرِ

فـإِن زدتـنـي بِـرَّاً تـزيَّـدت جـفـوةً ولـم تـلـقـنـي طـول الـحـيـاة إِلـى الـحـشـرِ

[الطويل]

قال: فلما سمعَها معقل استحسنها جِدّاً، وقال: جوَّدتَ واللَّهِ، أَما أنَّ الأمير ليُعجب بمثل هذه الأبيات، فلما أوصلها إِلى أبي دلف، قال: لِلَّه دَرُّهُ ما أشعرَه وأرقَّ معانيَهُ، ثم دعا بدواة فكتب إِليَّ:

ألا رُبَّ ضـيـفٍ طـارقٍ قـدبـسـطْـتُـهُ وآنـسـتـه قـبـل الـضـيـافـة بـالـبِـشـرِ

(١) كفر النعمة: أنكرها.

أتـانـي يُـرجـيِّـنـي فـمـا حـال دونَـه ودون القِرى[١] من نائلي[٢] عندَه ستري
وجَـدْتُ لـه فـضـلاً عـلـيَّ بـقـصـده إِلـيَّ وِبـرّاً يـسـتـحـقُّ بـه شُـكـري
فـلـم أَعـدُ أن أدنـيـتُـه وابـتـدأتـه بـبـشـرٍ وإكـرامٍ وبِـرٍّ عـلـى بِـرِّ
وزوَّدتـه مـالاً قـلـيـلاً بـقـاؤُه وزوَّدنـي مـدحـاً يـدوم عـلـى الـدهـرِ
[الطويل]

ثم وجه بهذه الأَبيات معَ وصيفٍ يحمل كيساً فيه ألف دينار، فذلك حيث قلت له:

إنـمـا الـدنـيـا أبـو دُلَـفٍ بـيـن بـاديـه ومـحـتـضـرِهْ
[المديد]

عبد اللَّه بن طاهر يرفض مدحَه:

أَخبرني عميّ، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أحمد بن القاسم، قال: حدثني نادرٌ مولانا:

أن عليّ بن جبلةَ خرج إِلى عبد اللَّه بن طاهر إلى خراسان، وقدِ امتدحه فلما وصل إِليه قال له: أَلستَ القائل؟

إنـمـا الـدنـيـا أبـو دُلَـفٍ بـيـن بـاديـه ومـحـتـضـرِهْ
فـإذا ولّـى أبـو دُلَـفٍ ولّـتِ الـدنـيـا عـلـى أثـرِهْ
[المديد]

قال: بلى؟ قال: فما الذي جاء بك إِلينا وعدل بك عنِ الدنيا التي زعمتَ، ارجع من حيث جِئت، فارتحل ومرَّ بأَبي دُلَف، وأَعلمه الخبر، فأَعطاه حتى أَرضاه، قال نادر: فرأيته عندَ مولاي القاسم بن يوسفَ، وقد سأله عن خبره، فقال:

أبـو دُلـف إن تـلـقَـه تَـلـقَ مـاجِـداً جـواداً كـريـمـاً راجـح الـحِـلْـم سيّـدَا
أبـو دُلـفِ الـخـيـراتِ أَنـداهـمُ يـداً وأَبـسـطُ مـعـروفـاً وأَكـرمُ مـحْـتِـدَا
تـراثُ أبـيـه عـن أبـيـه وجَـدِّه وكـلُّ امـرىءٍ يـجـري عـلـى مـا تـعـودَا
ولـسـتُ بـشـاكٍ غـيـرَه لـنـقـصـيـةٍ ولـكـنـمـا الـمـمـدوحُ مـن كـان أمـجَـدَا
[الطويل]

---

(١) القِرى، بكسر القاف: الضيافة.
(٢) النائل: العطاء، المنحة.

مدح حُميد الطوسيّ:

قال مؤلف هذا الكتاب: والأبيات التي فيها الغِناء، المذكورة بذكرها أخبار أَبي الحسن عليّ بن جبلةَ، من قصيدة له مدح بها حُميداً الطوسيَّ ووصف قصرَه على دجلةَ، وقال فيها بعدَ الأبيات التي فيها الغناء:

ليس لي ذنبٌ سوى أنـ ـي أُسميك خَلِيلا
وأُناديك عزيزاً وتُنادِيني ذليلا
أنا أهواكَ وحاليـ ـك صَرُوماً وَوَصولا
ثِقْ بُودٍ ليس يفنى وبعهدٍ لن يحولا
جعل اللَّه حُميداً لبني الدنيا كفيلا
ملكٌ لم يجعل اللَّـ ـه له فيهم عديلا[1]
فأَقاموا في ذَراه[2] مطمئنينَ حُلولا
لا ترى فيهم مُقِلاً يسأل المُثري فُضولا
جادَ بالأَموال حتى علَّم الجودَ البخيلا
وبنى الفخرَ على الفخـ ـر بِناءً مستطيلا
صار للخائف أَمْناً وعلى الجُود دَلِيلا

[مجزوء الرمل]

رثاؤه لحُميد الطوسيّ:

ولما مات حميدٌ الطوسيّ رثاه بقصيدته العينية المشهورة، وهو من نادر الشعر وبديعه، وفي أولها غِناء منَ الثقيل الأول، يُقال إِنه لأبي العُبيس، ويقال إنه للقاسم بن زُرزور:

أللدَّهر تبكي أَم على الدهر تَجزعُ؟ وما صاحبُ الأيام إلَّا مُفجَّعُ
ولو سَهَّلتْ عنك الأسى كان في الأسى عَزاءُ مُعزٍّ لِلَّبيب ومَقنعُ
تعزَّ بما عزَّيت غيرَك إنها سهامُ المنايا حائماتٌ ووُقَّعُ
أُصِبنا بيوم في حُميدٍ لوَ انّه أَصاب عُروش الدهر ظلّت تضعضعُ

(١) العديل: المشابه، المماثل، المساوي.
(٢) ذراه: علاه، أمجاده وفِناء داره، بكسر الفاء.

وأَدبـنـا مـا أَدَّب الـنـاسَ قـبـلـنـا ... ولـكـنـه لـم يـبـق لـلـصـبـرِ مـوضِـعُ
ألـم تـرَ لـلأَيـام كـيـف تـصـرّمـت ... بـه وبـه كـانـت تُـذادُ وتُـدفـعُ
وكـيـف الـتـقـى مـثـوًى مـنَ الأرض ضـيّـقٌ ... عـلـى جـبـل كـانـت بـه الأرض تُـمـنـعُ
ولـمـا انـقـضـت أَيـامُـه انـقـضـتِ الـعُـلا ... وأضـحـى بـه أَنـف الـنـدى وهـو أَجـدعُ[١]
وراح عـدوُّ الـديـنِ جـذلانَ[٢] يـنـتـجِـي[٣] ... أمـانـيَّ كـانـت فـي حَـشـاه تـقـطَّـعُ[٤]
وكـان حُـمـيـد مَـعـقـلاً ركـعـتْ بـه ... قـواعـدُ مـا كـانـت عـلـى الـضَّـيـم تـركـعُ
وكـنـت أَراه كـالـرزايـا رُزئـتُـهـا ... ولـم أدرِ أَن الـخـلـق تـبـكـيـه أجـمَـعُ
حِـمـامٌ[٥] رَمـاه مـن مـواضـعِ أَمْـنـه ... حِمامٌ كذاك الخَطب بالخطب[٦] يُقدعُ[٧]
ولـيـس بِـغَـرو أَن تُـصـيـبَ مَـنـيـةٌ ... حِـمـى أُخـتِـهـا أَو أَن يَـذلَّ الـمُـمـنَّـعُ
لـقـد أدركـتْ فـيـنـا الـمـنـايـا بـثـأْرِهـا ... وحـلَّـت بِـخَـطـبٍ وهْـيُـه لـيـس يُـرقـعُ
نَـعَـاءِ حُـمـيـداً لـلـسـرايـا إِذا غـدت ... تُـذاد[٨] بـأطـراف الـرمـاح وتُـوزَعُ[٩]
ولـلـمُـرهـقِ الـمـكـروبِ ضـاقـت بـأَمـره ... فـلـم يـدرِ فـي حـومـاتـهـا كـيـف يـصـنـعُ
وِللبيض[١٠] خلَّتها البعولُ[١١] ولم يَدعْ ... لـهـا غـيـرَه داعـي الـصَّـيـاح الـمـفـزِّعُ
كـأَن حُـمـيـداً لـم يَـقُـد جـيـش عـسـكـرٍ ... إِلـى عـسـكـر أَشـيـاعُـه لا تـروَّعُ
ولـم يـبـعـثِ الـخـيـلَ الـمـغـيـرةَ بـالـضُّـحـى ... مِـراحـاً ولـم يـرجـع بـهـا وهْـي ظُـلَّـعُ[١٢]
رواجـعُ يـحـمـلـن الـنَّـهـاب[١٣] ولـم تـكـن ... كـتـائـبـه إلا عـلـى الـنَّـهـب تـرجـعُ
هَـوى جـبـلُ الـدنـيـا الـمـنـيـعُ وغـيـثـهـا الـمـر ... يـعُ[١٤] وحـاميـهـا الـكـميُّ[١٥] الـمـشـيَّـعُ[١٦]
وسـيـفُ أمـيـر الـمـؤمـنـيـنَ ورمـحُـه ... ومِـفـتـاحُ بـاب الـخـطـب، والـخـطـبُ أفـظـعُ

---

(١) أجدع: مقطوع.
(٢) جذلان: فرحان، مسرور.
(٣) ينتجي القوم: يتسارون فيما بينهم.
(٤) الحشا: ما انْضمّت عليه الحنايا والضلوع، وحشاه تقطّع: كناية عن شدّة حزنه.
(٥) الحمام، بكسر الحاء: الموت.
(٦) الخطب: الفاجعة، المصيبة.
(٧) يقدع: يكفّ.
(٨) تُذاد: تُدفع.
(٩) تُوزع: تردّ.
(١٠) البيض: السيوف.
(١١) البعول، الواحد بعل: الأزواج، الأبطال.
(١٢) ظلّع، الواحد ظالع: من ظلع البعير، أي غمز في مشيه.
(١٣) النهاب: الأسلاب.
(١٤) غيثها المريع: مطرها الغزير.
(١٥) الكميّ: البطل الشاكي السلاح.
(١٦) المشيّع: المودّع إلى مثواه الأخير.

فأَقنعَه من مُلكه ورِباعه[١] ونائِله[٢] قفرٌ منَ الأَرض بَلقَعُ[٣]
على أَيِّ شجوٍ[٤] تشتكي النفسُ بعدَه إلى شجوه أَو يذخر[٥] الدمع مدمعُ
أَلم تر أن الشمس حال ضِياؤها عليه وأَضحى لونُها وهْو أَسفعُ
وأَوحشتِ الدنيا وأَودَى بهاؤُها وأَجدبَ مرعاها الذي كان يُمرعُ
وقد كانتِ الدنيا به مطمئنَّةً فقد جعلت أَوتادُها تتقلَّعُ
بكى فقدَه روحُ الحياة كما بكى ندَاهُ الندى وابنُ السبيل المدفَّعُ
وفارقتِ البيضُ الخدورَ وأُبرزَت عواطل حسرى[٦] بعدَه لا تقنَّعُ
وأَيقظ أَجفاناً وكان لها الكَرى[٧] ونامت عيونٌ لم تكن قَبلُ تهجعُ[٨]
ولكنه مقدارُ يومٍ ثوى[٩] به لكلِّ امرىءٍ منه نِهالٌ[١٠] ومشرَعُ
وقد رأبَ اللَّه الملا بمحمَّدٍ وبالأَصلِ ينمِي فرعُه المتفرِّعُ
أَغرُّ على أَسيافِه ورماحِه تقسَّم أَنفالُ[١١] الخَميس[١٢] وتجمَعُ
حوى عن أَبيه بَذلَ راحتِه الندَى وطَعن الكُلى والزاعبية[١٣] شرَّعُ[١٤]

[الطويل]

الطائيان يأخذان معاني ابن جبلةَ:

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها، وقد أخذ البحتريُّ أكثرَ معانيها، فسلخه وجعله قصيدتيه اللتين رثى بهما أَبا سعيدٍ الثغريّ:

أنظرْ إِلى العلياء كيف تُضامُ[١٥].

و: بأيِّ أسًى تُثنى الدموع الهوامِلُ[١٦].

---

(١) الرباع، الواحد ربع: الديار والمنازل.
(٢) النائل: العطاء. الهبة.
(٣) بلقع: قفر.
(٤) الشجو: الحزن.
(٥) يذخر: يفيض امتلاء.
(٦) حسرى: مكشوفات الرؤوس.
(٧) الكرى: النعاس، النوم.
(٨) تهجع: تنام.
(٩) ثوى: استقرّ ودفن.
(١٠) نِهال، بكسر النون: ورود.
(١١) الأنفال، الواحد نفل، بسكون الفاء: الأسلاب والغنائم.
(١٢) الخميس: الجيش المؤلف من خمس فرق.
(١٣) الزاعبية: الرماح المنسوبة إلى رجل يُسمّى زاعباً.
(١٤) شرّع: مشرّعة للقتال.
(١٥) تُضام: تظلم.
(١٦) الدموع الهوامل: المنسكبة مراراً.

وقد أَخذ الطائيُّ[١] أيضاً بعضَ معانيها ولولا كراهةُ الإِطالة لشرحت المواضع المأخوذة، وإذا تأمل ذلك منتقد بَصير عَرفه.

سبب إجادته في مديح حُميد:

أخبرني عمّي، قال: حدثني أَحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو واثلةَ قال:

قال رجل لعليّ بن جبلةَ: ما بلغتَ في مديح أحد ما بلغتَه في مديحك حُميداً الطوسيَّ، فقال: وكيف لا أَفعل؟ وأَدنى ما وصل إليَّ منه أَني أَهديت له قصيدة في يوم نيروز فسُرَّ بها، وأَمر أن يحمِل إليَّ كلّ ما أُهدي له، فحُمِل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم. وأَهديتُ له قصيدة في يوم عيد، فبعث إليَّ بمثل ذلك.

ابن جبلةَ يصف حُميداً في جيش عظيم:

قال أبو واثلة: وقد كان حُميد رَكب يوم عيد في جيش عظيم لم يُرَ مثلُه، فقال عليُّ بن جبلةَ يصف ذلك.

غـدَا بـأَمـيـر الـمـؤمـنـيـنَ ويُـمـنِـه ... أَبـو غـانـم غـدوَ الـنَّـدى والـسـحـائـبِ
وضـاقـت فِـجـاج الأرض عـن كـل مـوكـب ... أَحـاط بـه مـسـتـعـلـيـاً لـلـمـواكـبِ
كـأَنَّ سـمـوَّ الـنـقـعِ[٢] والـبـيـضَ[٣] فـوقـهـم ... سـمـاوَةُ لـيـلٍ قـرِّنـت بـالـكـواكـبِ
فـكـانَ لأَهـل الـعِـيـد عـيـدٌ بـنُـسـكِـهـم ... وكـان حـمـيـدٌ عـيـدَهـم بـالـمـواهـبِ
ولـولا حُـمـيـدٌ لـم تـبـلَّـج عـنِ الـنـدى ... يَـمـيـنٌ ولـم يُـدرك غـنًـى كـسـبُ كـاسـبِ
ولـو مَـلـك الـدنـيـا لـمـا كـان سـائـلٌ ... ولا اعتام[٤] فيها صاحبٌ فضل صاحبِ
لـه ضَـحـكـة تـسـتـغـرق الـمـالَ بـالـنَّـدى ... على عَبسة تشجي القنا[٥] بالترائبِ[٦]
ذهـبـتَ بـأَيـام الـعـلا فـارداً بـهـا ... وصرّمت[٧] عن مسعاك شأْو المُطالبِ
وعـدّلـت مـيـلَ الأرض حـتـى تـعـدّلـت ... فـلـم يـنـأ[٨] مـنـهـا جـانـبٌ فـوق جـانـبِ

(١) هو أبو تمام.
(٢) النقع: الغبار.
(٣) البيض: السيوف.
(٤) اعتام الرجل خيار المال: أخذ العيمة أي أفضل ما وجد من مال.
(٥) تشجي القنا: ترضي الرماح ما طلبت من أرواح الأعداء.
(٦) الترائب، الواحدة تريبة: ما يبدو من الصدر من عظم ولحم.
(٧) صرمت: قطعت.
(٨) ينأ: يبعد.

بلغتَ بأَدنى الحزم أَبعدَ قُطرها كأَنك منها شاهدٌ كلَّ غائبِ
[الطويل]

قصيدته له يوم النيروز:

قال: والتي أَهداها له يومَ النيروز قصيدته التي يقول فيها:

حميدُ يا قاسمَ الدنيا بنائله وسيفُه بين أَهل النكث[1] والدِّينِ
أَنتَ الزمانُ الذي يجري تصرّفه على الأنام[2] بتشديد وتَليينِ
لو لم تكن كانتِ الأيام قد فنِيت والمكرماتُ ومات المجدُ مذ حينِ
صوّرك اللَّه من مَجد ومن كرَمٍ وصوّر الناس من ماء ومن طينِ
[البسيط]

نسخت من كتابٍ بخط محمد بن العباس اليزيديّ.

أبو دُلف يتطيّر من مطلع شعره:

قال أحمد بن إسماعيلَ الخصيبُ الكاتب:

دخل عليّ بنُ جبلةَ يوماً إلى أبي دُلف، فقال له: هاتِ يا عليُّ ما معَك، فقال: إنه قليل، فقال: هاتِه، فكم من قليل أَجودُ من كثير، فأَنشده:

اللَّهُ أَجرى منَ الأرزاق أكثرها على يديك فشُكراً يا أَبا دُلفِ
أَعطى أَبو دلفٍ والريحُ عاصفةٌ حتى إذا وقفت أَعطى ولم يقِفِ
[البسيط]

قال: فأَمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إِليه فقال له: هاتِ ما معَك، فأَنشده:

مِن ملكِ الموت إِلى قاسمٍ رسالةٌ في بطن قِرطاسِ[3]
يا فارسَ الفرسان يومَ الوغى مُرْني بمن شئتَ منَ الناسِ
[السريع]

قال: فأَمر له بأَلفي درهم ـ وكان قد تطير من ابتدائه في هذا الشعر ـ فقال: ليست هذه من عطاياك أَيُّها الأمير، فقال: بلِّغ بها هذا المقدارَ ارتياعُنا من تحملك رسالة ملكِ الموت إِلينا.

---

(١) النكث: إخلاف الوعد.
(٢) الأنام: البشر، الناس.
(٣) القرطاس: الكتاب، الدفتر.

ابن جبلةَ يقرض شعره الخريميّ:

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصيرفيّ، قال: حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه، قال:

حدثني عليّ بن جبلةَ العكوَّك، قال: جاءني أبو يعقوبَ الخُريميُّ، فقال لي: إن لي إليك حاجة، قلت: وما هي؟ قال: تهجو لي الهيثم بن عديّ، فقلت: وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلتُ فما جاءني شيء كما أُريد، فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليَّ منه إساءة، ولا له إليَّ جُرم يُحفظني[1]؟ فقال: تقرضني فإني مَليٌّ بالقضاء[2]. قلت: نعم: فأَمهلني اليومَ، فمضى وغدوت عليه فأَنشدته:

للهيثم بن عَديٍّ نسبةٌ جمعتْ	آباءَهُ فاراحتنا منَ العَددِ
أعدُدْ عديّاً فلو مُدَّ البقاءُ له	ما عُمِّر الناسُ لم ينقصْ ولم يزدِ
نفسي فِداءُ بني عَبدِ المُدانِ وقد	تَلُّوه للوجهِ واستعلوه بالعَمَدِ
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم	وعرَّفوه بذُلٍّ أيَن أَصلُ عدي
يا ابنَ الخبيثة من أَهجو فأَفضحَهُ	إذا هجوتُ وما تنمي إلى أحدِ

[البسيط]

قال: وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب، فركب محمد بن عبيد اللَّه بن عبد المُدان الحارثيّ، أَخو يحيى بن زياد، ومَعه جماعة من أصحابه الحارثيّين إلى الرشيد، فسألوه أن يُفرّق بينهما، فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نسبت عَديّاً في بني ثُعَلٍ	فَقدِّمِ الدال قبل العين في النسبِ

[البسيط]

قالوا: بلى يا أميرَ المؤمنين، قال: فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبانَ يُقال له ذُهل بن ثعلبةَ، فأمر الرشيد داودَ بن يزيدَ أن يُفرّق بينهما، فأَخذوه فأَدخلوه داراً، وضربوه بالعِصيّ حتى طلَّقها.

معَ ابن طاهر في خُراسان:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن الحسن بن الخصيب، قال:

---

(١) يحفظني: يثير حفيظتي وغضبي.

(٢) مليّ بالقضاء: ردّ الدين على أكمل وجه.

شَخَص عليّ بن جبلةَ إلى عبد اللَّه بن طاهر إلى خراسان، وقد مدحه، فأَجزل صِلته، واستأذنه في الرجوع، فسأله أن يُقيمَ، وكان بِرُّه يتَّصل عندَه، فلما طال مُقامُه اشتاق إِلى أهله، فدخل عليه فأَنشده:

راعَه الشيبُ إذ نزَلْ ... وكفاه منَ العَذَلْ
وَانقضت مُدةُ الصِّبا ... وانقضى اللهو والعَزَلْ
قد لعمري دَمَلتُه[1] ... بخضابٍ فما اندَمَلْ
فابكِ للشيب إذ بدا ... لا على الرَّبع والطَّلَلْ
وصل اللَّهُ للأَمـ ... ـير عُرا المُلك فاتَّصلْ
مَلِكٌ عزمُهُ الزما ... ن وأفعاله الدُّولْ
كِسرويٌّ بمجده ... يَضربُ الضاربُ المثلْ
وإلى ظِلِّ عزِّه ... يلجأ الخائف الوَجلْ[2]
كل خَلقٍ سوى الإِما ... م لأنعامه خَولْ[3]
ليته حين جادَ لي ... بالغنى جاد بالقَفلْ

[مجزوء الخفيف]

قال: فضحك وقال: أبيتَ إلا أن تُوحِشنا، وأجزل صِلته وأذن له.

تهنئته لحميد بشهر رمضان:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أَبو واثلةَ السدوسيُّ، قال:

دخل عليّ بن جبلةَ العكوَّك على حُميد الطوسيّ، في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

جعل اللَّهُ مَدخل الصوم فوزاً ... لحُميدٍ ومُتعةً في البقاءِ
فهو شهر الربيع للقُراءِ ... وفِراقُ الندمانِ والصهباءِ
وأَنا الضامنُ المَليُّ لمن عا ... قرها[4] مفطِراً بطول الظَّماءِ
وكأَني أرى الندامى على الخَسـ ... ـف[5] يُرجُّونَ صُبحَهم بالمساءِ

(١) دمَلته: غطّته.
(٢) الوجل: شدّة الخوف.
(٣) خول: خدم وأتباع.
(٤) عاقر الخمرة: شربها.
(٥) الخسف: الهوان والذلّ.

قـد طـوى بـعـضـهـم زيـارةَ بـعـضٍ واسـتـعـاضـوا مَـصـاحـفـاً بـالـغـنـاءِ
[الخفيف]

يقول فيها:

بـحُـمـيـدٍ وايـن مـثـل حُـمـيـد فـخـرت طـيـىءٌ عـلـى الأحـيـاءِ
جـوده أَظـهـر الـسـمـاحـة فـي الأَر ض وأَغـنـى الـمُـقـوي[١] عـنِ الإِقـواء[٢]
مـلـك يـأْمُـل الـعِـبـادُ نَـداه[٣] مـثـل مـا يـأْمـلُـون قـطـرَ الـسـمـاءِ
صـاغـه الـلّـه مُـطـعِـم الـنـاس فـي الأر ض وصـاغَ الـسـحـاب لـلإِسـقـاءِ
[الخفيف]

قال: فأَمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك.

إِنشاده له بعد رمضان:

ثم دخل إِليه ثاني شوَّال فأَنشده:

عَـلّـلانـي بـصـفـوِ مـا فـي الـدّنـانِ[٤] واتـركـا مـا يـقـولـه الـعـاذلانِ[٥]
واسـبِـقـا فـاجـع الـمـنـيـةِ[٦] بـالـعـ ـيش فـكـلٌ عـلـى الـجـديـدينِ[٧] فـانـي
عـلـلانـي بـشَـربـةٍ تُـذهِـب الـهـمَّ وتـنـفـي طـوارق الأَحـزانِ
وانـفُـثـا[٨] فـي مـسـامـعٍ سـدهـا الـصـو م رُقـى الـمـوصِـلـيِّ أَو دَحـمـانِ
قـد أَتـانـا شـوالُ فـاقـتـبـلَ الـعـيـ ـشُ وأَعـدى قـسـراً عـلـى رمـضـانِ
نِـعـم عـونُ الـفـتـى عـلـى نـوبِ الـدهـ ـرِ سـمـاعُ الـقِـيـان والـعـيـدانِ
وكُـؤوسٌ تـجـري بـمـاء كُـروم ومَـطـيُّ الـكـؤوسِ أيـدي الـقِـيـانِ
مـن عُـقـارٍ[٩] تـمـيـت كـلَّ احـتـشـام وتَـسـرُّ الـنـدمـانَ بـالـنـدمـانِ
وكـأَنَّ الـمِـزاج يـقـدحُ مـنـهـا شَـرراً فـي سـبـائـك الـعِـقـيـانِ[١٠]
فـاشـربِ الـراحَ واعـصِ مـن لام فـيـهـا إنـهـا نِـعـمَ عُـدةُ الـفـتـيـانِ

(١) المقوي: المفتقر.
(٢) الإقواء: الافتقار.
(٣) نداه: كرمه، عطاؤه.
(٤) الدنان، الواحد دنّ: وعاء الخمرة، يتخذ من جلود الأغنام.
(٥) العاذل: اللائم.
(٦) المنية: الموت.
(٧) الجديدين: الليل والنهار.
(٨) انفثا: انفخا.
(٩) العُقار، بضم العين: من أسماء الخمرة.
(١٠) العِقيان، بكسر العين: الذهب الخالص.

واصحبِ الدهرَ بارتحالٍ وحلٍّ ... لا تخفْ ما يُجره الحادثانِ
حسبُ مستظهر على الدهر رُكناً ... بحميد رِدءاً منَ الحادثانِ
ملكٌ يقتني المكارم كنزاً ... وتراه من أكرم الفِتيانِ
خُلقت راحتاه للجود والبأ ... س وأَمواله لشُكر اللسانِ
ملَّكته على العِباد مَعَدٌّ ... وأَقرت له بنو قحطانِ
أَريحيُّ الندى جميل المُحيَّا ... يَدُه والسماحُ[1] مُعتقِدانِ
وجهه مشرقٌ إلى مُعتفيهِ[2] ... ويداه بالغيث تنفجرانِ
جعل الدهر بين يوميه قسمي ... ـن بعرفِ جزلٍ[3] وحرِّ طعانِ
فإذا سار بالخميس[4] لحربٍ ... كلَّ عن نصِّ جَريه الخافقانِ[5]
وإذا ما هززته للنوال ... ضاق عن رحب صدره الأفقان
غيثُ جدْب إذا أقام ربيعٌ ... يتغشّى بالسَّيبِ كلَّ مكانِ
يا أبا غانم بقيت على الدهـ ... ـر وخُلدت ما جرى العصرانِ
ما نُبالي إذا عَدَتك المنايا ... من أَصابت بكَلكلٍ[6] وجرانِ[7]
قد جعلنا إليك بَعثَ المطايا ... هرباً من زماننا الخَوَّانِ
وحملنا الحاجات فوق عِتاق ... ضامناتٍ حوائجَ الرُّكبانِ
ليس جودٌ وراء جودِك ينتا ... بُ ولا يَعْتفي لغيرك عاني

[الخفيف]

فأَمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم فخفَّفت وخففنا، وهذه للفِطر فقد زدتنا وزدناك.

يأْخذ العطاء وينثره في حِجر عشيقته:

أخبرني عمّي قال: حدثنا أحمد بن الطيّب السَّرخَسيّ، قال: حدثني ابنُ أخي عليِّ بن جبلةَ العكوَّك ـ قال أحمد: وكان عليّ جارنا في الربض هو وأهْلُه، وكان أعمى، وبه وضحٌ، وكان يهوى جارية أَديبة ظريفة شاعرة، وكانت تُحبه هي أيضاً على

(١) السماح: الحُسنى، العطاء.
(٢) المعتفي: طالب العطاء، المحتاج.
(٣) الجزل: الكثير.
(٤) الخميس: الجيش العظيم.
(٥) الخافقان: المشرق والمغرب.
(٦) الكلكل: صدر البعير.
(٧) جِران، بكسر الجيم: مقدم عنق البعير.

قبح وجهه وما به منَ الوضح، حدثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظ، قال عمرو، وحدثني العكوك أن هذه الجارية زارته يوماً وأَمكنته من نفسها حتى افتضها، قال وذلك عنيت في قولي:

ودمٍ أَهـــــدرت مـــــن رشـــــإٍ لـــم يُـــرد عـــقـــلاً عـــلـــى هـــدَرِهْ

[المديد]

وهيَ القصيدة التي مدح بها أَبا دُلف، يعني بالدم دم البُضع، قال: ثم قصدت حُميداً بقصيدتي التي مدحته بها، فلما استؤذن لي عليه أبى أن يأذن لي وقال: قولوا له: أيّ شيء أَبقيت لي بعد قولك في أبي دُلف:

إنـــمـــا الـــدنـــيـــا أبـــو دُلـــف بـــيـــن مـــبـــداه ومـــحـــتـــضـــرِهْ

فـــإذا ولَّـــى أبـــو دُلـــف ولَّـــتِ الـــدنـــيـــا عـــلـــى أثـــرِهْ

[المديد]

فقلت للحاجب: قل له: الذي قلت فيك أحسن من هذا، فإِن أوصلتني سمعته، فأَمر بإِيصالي إليه، فأَنشدت قولي فيه:

إنـــمـــا الـــدنـــيـــا حُـــمـــيـــدٌ وأَيـــاديـــه الـــجـــســـامُ

فـــإِذا ولَّـــى حُـــمـــيـــدٌ فـــعـــلـــى الـــدنـــيـــا الـــســـلامُ

[مجزوء الرمل]

فأَمر لي بمائتي دينار، فنثرتها في حِجر عشيقتي، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها:

دِجـــلـــةُ تـــســـقـــي وأبـــو غـــانـــمٍ يُـــطـــعِـــم مـــن تـــســـقـــي مـــنَ الـــنـــاسِ

[السريع]

فأَمر لي بمائتيْ دينار.

قوله في جارية:

حدثني عمّي، قال: حدثني أحمد بن الطيب، قال: حدثني ابن أَخي عليّ بن جبلةَ أيضاً:

أن عمّه عليّاً كان يهوى جارية، وهي هذه القينة، وكانت له مساعدة، ثم غضبت عليه وأَعرضت عنه فقال فيها:

تُـــســـيء ولا تـــســـتـــنـــكـــر الـــســـوءَ إنـــهـــا تُـــدِلُّ بـــمـــا تـــبـــلـــوه عـــنـــدي وتـــعـــرفُ

فمن أَين ما استعطفتُها لم تَرقَّ لي ومن أين ما جربتُ صبري يضعُفُ
[الطويل]

أَقبح ما هجي به في ترك الضيافة:

أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عمرُ بن شَبَّةَ، قال:

تذاكرنا يوماً أَقبح ما هُجِي به الناس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف، فأَنشدنا عليُّ بن جبلةَ لنفسه:

أَقاموا الدَّيدبان على يَفاعٍ[1] وقالوا: لا تَنم للديدبانِ
فإن آنَست شخصاً من بعيدٍ فصفق بالبَنان على البنانِ
تراهم خشيةَ الأَضيافِ خُرساً ويأْتون الصلاة بلا أذانِ
[الوافر]

حُميد يُعطيه ما خصمه للصدقة:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أَبي قال: حدثني وهب بن يزيدَ المروزيّ كاتبُ حميد الطوسيّ، قال:

جئت حُميداً في أول يوم من شهر رمضان: فدفع إليَّ كِيساً فيه ألف دينار، وقال تصدّقوا بهذه، وجاءه ابنه أَصرمُ فسلم عليه ودعا له.

ثم قال له: خادمُك عليّ بن جبلةَ بالباب، فقال: وما أَصنع به، جئتني به يا بُني تُقابلني بوجهه في أَول يوم من هذا الشهر، فقال: إنه يُجيد فيك القول، قال: فأَنشدني بيتاً مما تستجيده له فأَنشده قولَه.

حيدي حيادِ فإنَّ غزوةَ جَيشهِ ضَمِنت لجائلةِ السّباعِ عيالَها
[الكامل]

فقال: أحسن أئذنوا له، فدخل فسلم، ثم أنشده قوله:

إن أَبا غانم حُميداً غَيثٌ على المعتفين هامي
صوَّره اللَّهُ سيفَ حتفٍ وباب رِزق على الأَنامِ
يا مانعَ الأرض بالعوالي[2] والنَّعمِ الجمَّةِ[3] العظامِ

(١) اليفاع: المجد العالي.
(٢) العوالي: الرماح.
(٣) النعم الجمَّة: الأعطية العظيمة.

لـيـس مـنَ الـسـوء فـي مَـعـاذٍ مـن لـم يـكـن مـنـك فـي ذِمـامِ
ومـا تـعـمَّـدت فـيـك وَصـفـاً إلا تـقـدَّمـتـه أَمـامـي
فـقـد تـنـاهـتْ بـك الـمـعـالـي وانـقـطـعـت مُـدَّة الـكـلامِ
أَجِـدَّ شَـهـراً وأَبْـلِ شـهـراً واسْـلـم عـلـى الـدهـر أَلـف عـامِ
[مخلع البسيط]

قال: فالتفت إِليَّ حميدٌ، وقال: أَعطه ذلك الأَلف الدينار حتى يخرج للصدقة غيره.

ابن جبلة يستشفع بحُميد إلى أبي دُلف:

حدثني عمّي قال: حدثني يعقوبُ بنُ إِسرائيلَ، قال: حدثني أَبو سُهيل، عن سالم مولى حُميد الطوسيّ، قال:

جاء عليّ بن جبلةَ إلى حُميد الطوسيّ، مستشفعاً به إِلى أبي دُلف، وقد كان غضب عليه وجفاه، فركب معَه إِلى أبي دُلف شافعاً، وسأله في أمره، فأَجابه، واتصل الحديث بينهما، وعليُّ بنُ جبلةَ محجوبٌ، فأَقبل على رجلٍ إِلى جانبه، وقال: اكتب ما أَقول لك فكتب:

لا تـتـركَـنـي بـبـاب الـدار مُـطَّـرحـاً فـالـحُـرُّ لـيـس عـنِ الأحـرار يـحـتـجـبُ
هَـبـنـا بـلا شـافـعٍ جـئـنـا ولا سـبـبٍ أَلـسـتَ أنـتَ إلـى مـعـروفـك الـسـبـبُ؟!
[البسيط]

قال: فأَمر بإيصاله، ورضى عنه ووصله.

استحسانه لشعر أبي سعيد المخزوميّ:

أَخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أحمدُ بن مروان، قال:

حدثني أَبو سعد المخزوميّ، قال: دخلت على حُميد الطوسيّ فأَنشدته قصيدة مدحته بها، وبين يديه رجل ضرير، فجعل لا يمر ببيت إلا قال: أَحسن قاتَله اللَّه، أَحسن ويحَه، أَحسن لِلَّه أبوه، أَحسن أيّها الأمير، فأَمر لي حُميد ببَدْرة فلما خرجت قام إِليَّ البوابون، فقلت كم أنتم؟ عرفوني أولاً من هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير، فقالوا: عليّ بن جبلةَ العكوَّك، فارفضَضت[1] عَرقاً، ولو علمت أنه عليُّ بن جبلةَ لما جَسَرْتُ على الإِنشاد بين يديه.

(١) فارفضضت عرقاً: انهمر عرقي.

ابن جبلةَ يخشى أن يمدح المأمون:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أَحمد بن عُبيد بن ناصح، قال: كلّم حميدٌ الطوسيُّ المأمونَ في أن يَدْخُل عليه عليُّ بن جبلةَ فيسمع منه مديحاً مدحَه به، فقال: وأي شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دُلف:

إنما الدنيا أَبو دُلف ... بين مغزاه ومحتضرِهْ
فإذا ولّى أَبو دُلف ... ولتِ الدنيا على أثرِهْ

[المديد]

وبعد قوله فيك:

يا واحد العرب الذي ... عزَّت بعزته العَربْ

[مجزوء الكامل]

أَحسنُ أحواله أن يقول فيَّ مثلَ ما قاله في أبي دُلف فيجعلني نظيراً له، هذا إن قدر على ذلك ولم يُقصر عنه فخيروه بين أن أسمع منه، فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أَبا دلف وصلته، وإلا ضربت عنقه أو قطعت لسانه، وبين أَن أُقيله وأُعفيه من هذا وذا، فخبَّروه بذلك فاختار الإقالة، ثم مدح حُميداً الطوسيّ فقال له: وما عساك أن تقول فيَّ بعد ما قلته في أَبي دُلف؟ فقال: قد قلت فيك خيراً من ذلك، قال: هاتِ، فأَنشده:

دجلةُ تسقي وأَبو غانم ... يُطعمُ من تسقي منَ الناسِ
ألناس جسم وإمام الهدى ... رَأْسٌ وأنت العينُ في الرأسِ

[السريع]

فقال له حميد: قد أجدت ولكن ليس هذا مثل ذلك ووصله.

قال أحمد بن عبيد ثم مات حُميد الطوسيّ فرثاه علي بن جبلةَ، فلقيته فقلت له: أَنشدني مرثيتك حُميداً، فأَنشدني:

نَعاءِ حُميداً للسرايا إذا غدت ... تُذاد بأَطراف الرماح وتُوزَعُ

[الطويل]

حتى أتى على آخرها، فقلت له: ما ذهب عليَّ النحو الذي نَحوته يا أَبا الحسن، وقد قاربتَه وما بلغتَه، فقال: وما هو؟ فقلت: أردت قول الخُريميّ في مرثيته أَبا الهيذام:

وأعَـددتُـه ذُخـراً لـكـلِّ مـلـمـة[1] وسـهـمُ الـمـنـايـا بـالـذخـائـر مـولَـعُ

[الطويل]

فقال: صدقت واللَّهِ، أَما واللَّهِ لقد نحوتُه وأَنا لا أَطمع في اللحاق به، لا واللَّهِ ولا امرؤ القيس لو طلبه وأَراده ما كان يطمع أن يُقاربه في هذه القصيدة.

هربه منَ المأمون ثم ظفره به:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا أحمد بن أَبي طاهر، قال: حدثني ابن أبي حرب الزَّعفرانيُّ، قال:

لما بلغ المأمون قولُ عليّ بن جبلةَ لأَبي دُلف:

كـلُّ مـن فـي الأرض مـن عـرب بـيـن بـاديـه إِلـى حـضـرِهْ

مُـسـتـعـيـرٌ مـنـك مـكـرُمـةً يَـكـتـسـيـهـا يـومَ مُـفـتـخَـرِهْ

[المديد]

غضب من ذلك وقال: اطلبوه حيث كان، فطُلب فلم يُقدَر عليه، وذلك أنه كان بالجبَل، فلما اتصل به الخبر هرب إِلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إِلى الآفاق في طلبه، فهرب منَ الجزيرة أَيضاً وتوسّط الشام، فظفروا به فأَخذوه وحملوه إِلى المأمون، فلما صار إِليه قال له: يا ابنَ اللخناء أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كـل مـن فـي الأرض مـن عـربٍ بـيـن بـاديـه إلـى حـضـرِهْ

مـسـتـعـيـرٌ مـنـك مـكـرمـةً يـكـتـسـيـهـا يـومَ مـفـتـخـرِهْ

[المديد]

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه، فقال له: يا أميرَ المؤمنين أنتم أَهل بيت لا يُقاس بكم أحد، لأن اللَّه جل وعز فضلكم على خلقه واختاركم لنفسه، وإِنما عنيت بقولي في القاسم أَشكال القاسم وأَقرانه، فقال: واللَّهِ ما استثنيت أحداً عنِ الكُلّ، سُلُّوا لسانه من قفاه.

المأمون يستحلّ دمه:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى وحدثني أحمد بن أَبي فنن:

أن المأمون لما أُدخل عليه عليّ بن جبلةَ، قال له: إني لست أستحل دمك

(١) الملمة: النازلة الشديدة من نوازل الدنيا.

لتفضيلك أبا دُلف على العرب كلها، وإدخالك في ذلك قريشاً، وهم آل رسول اللَّه ﷺ وعِترتُه، ولكني أستحله بقولك في شعرك وكُفْرك حيث تقول القولَ الذي أشركت فيه:

أنت الذي تُنزل الأَيام منزلَها وتنقُلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددت مَدى طرف إِلى أَحد إلا قضيتَ بأرزاق وآجالِ

[البسيط]

كذبتَ يا ماصَّ بظرَ أُمّه، ما يقدر على ذلك أحد إلا اللَّهُ عزّ وجلّ الملك الواحد القهار، سُلُّوا لسانه من قفاه.

صوت

لا بُد من سكرة على طربِ لعَلَّ رَوحاً[1] يُدال من كُرَبِ[2]

[المنسرح]

ويروى: لعل روحاً يُديل من كُرب، وهو أصوب.

فعاطنيها صَهباءَ صافيةً تضحك من لؤلؤ على ذَهَبِ
خليفةَ اللَّه أَنت مُنتخبٌ لخير أُمٍّ من هاشم وأَبِ
أكرِمْ بأَصلين أَنت فرعُهما منَ الإِمام المنصور في النسبِ

[المنسرح]

الشعر للتيمي والغناء لسُليم بن سلَّام خفيف ثقيل أَول بالبنصر عن عمرو، وفيها لِنَظم العمياء خفيف رمل بالبنصرِ عنِ الهِشاميّ.

(١) الروح: الراحة.
(٢) يُدال من كُرب: يحول من المصائب.

أخبار التيميّ ونسبه

اسمه ونسبه:

هو عبد اللَّه بن أيوبَ، ويُكنى أبا محمد، مولى بني تيم، ثم مولى بني سُليم، ذكر ذلك ابن النطاح، وكان له أَخ يقال له أَبو التَّيَحان، وكلاهما كان شاعراً، وهما من أَهل الكوفة، وهما من شعراء الدولة العباسية.

وصفه للخمر:

أحد الخُلعاء المجان الوصافين للخمر، وكان صديقاً لإِبراهيمَ الموصليّ وابنه إسحاقَ، ونديماً لهما، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيدَ بن مَزيد، فلم يزل مُنقطعاً إِليه حتى مات يزيد، واستنفد شعره أَو أكثره في وصفه الخمر، وهو الذي يقول:

شَربْتُ منَ الخمر يومَ الخميـ ـس بالكاس والطاس والقَنقلِ[1]
فما زالتِ الكأس تغتالُنا وتذهب بالأَوّل الأَوّلِ
إلى أن توافتْ صلاة العشاء ونحن منَ السكر لم نعقلِ
فمن كان يعرف حقّ الخميس وحق المُدام فلا يجهلِ
وما إِن جرت بيننا مُزحةٌ تهيج مِراءً على السلسلِ

[المتقارب]

وهو القائل:

ولن أنتهي عن طَيِّب الراح أَو يَرَى بَوادي عِظامي في ضريحي[2] لاَحِدُ
أَضعتُ شبابي في الشراب تلذذاً وكنت أَمرأً عندَ الشراب أُكابِدُ

[الطويل]

أَخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدّثني أَبو العيناء، عن محمد بن عمرو، قال:

أَبو محمد التيميّ اسمه عبد اللَّه بن أَيوب، مولى بني تيم.

(١) القَنقل، بفتح القاف الأولى: لعلّه من أنواع أوعية الخمرة. فارسي معرَّب.
(٢) الضريح: القبر.

رثاؤه لابنه حَيان:

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، عن محمد بن داودَ بنِ الجراح قال: قال دعبل:

كان للتيميّ أَبي محمدٍ ابنُ يقال له حَيَّان، ومات وهو حدث السِّن، فجزع عليه وقال يرثيه:

صـــوت

أودى بِـحـيَّـانَ مـا لـم يـتـركِ الـنـاسـا ... فـامـنَـح فـؤادك مـن أَحـبـابـك الـيـاسـا

لـمـا رَمـتـه الـمـنـايـا إذ قـصـدن لـه ... أصَـبـن مـنـي سـوادَ الـقـلـب والـراسـا

وإذ يـقـول لـي الـعُـوَّادُ إذ حـضـروا ... لا تـأس أَبـشِـر أبـا حَـيَّـان لا تـاسـا

فـبـتُّ أَرعـى نـجـوم الـلـيـل مـكـتـئـباً ... إخـال سُـنَّـتـه فـي الـلـيـل قِـرطـاسـا

[البسيط]

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات حكم الوادي، ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاقَ وأول هذه القصيدة:

يـا ديـرَ هـنـدٍ لـقـد أصـبـحـت لـي أُنُـسـا ... ومـا عـهـدتُـك لـي يـا ديـرُ مِـئـنـاسـا

[البسيط]

وهي مشهورة من شعره.

التيميّ يكمل بيت إِسحاقَ:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني حماد بن إسحاقَ عن أبيه، قال:

قلت:

وُصِـف الـصـدُّ لـمـن أهـوى فَـصَـدّ

ثم أَجبَلتُ[1] فمكثت عدة ليال لا يستوي لي تمامه، فدخل عليَّ التيميُّ، فرآني مُفكراً فقال لي، ما قِصَّتك؟ فأَخبرته، فقال:

وبـدا يـمـزح بـالـهـجـر فـجَـدّ

(١) أجبلت: أخفقت.

ثم أَتممتها فقلت:

مـا لـه يـعـدل عـنـي وَجـهَـه وهـو لا يـعـدِلـهُ عـنـدي أَحَـدْ

[الرمل]

وخرجت إلى مدح الفضل بن الربيع فقلت:

قـد أرادوا غِـرَّة الـفـضـل وهـلْ تُـطـلـب الـغِـرَّةُ مِـن خِـيـسِ[1] الأَسَـدْ؟!

مـلـك نَـدفـع مـا نـخـشـى بـه وبـه يـصـلـح مـنـا مـا فـسَـدْ

يـفـعـل الـنـاسُ إذا مـا وعـدوا وإذا مـا فـعـل الـفَـضْـلُ وعَـدْ

[الرمل]

لإسحاقَ في هذا الشعر صنعته نسبتها:

صـوت

وُصـف الـصـدّ لـمـن نـهـوى فـصـدّ وبـدا يـمـزَح بـالـهـجـر فـجَـدّ

مـا لـه يـعـدِل عـنـي وجـهَـه وهـو لا يـعـدِلـه عـنـدي أحـدْ

[الرمل]

الشعر والغناء لإسحاقَ خفيف رمل بالبنصر، وله فيه أيضاً ثقيل أول، وفيه لزكريا بن يحيى بن معاذ هزج بالبنصر عنِ الهشاميّ وغيره، قال الهشاميّ: وقيل إِن الهزج لإسحاقَ، وخفيف الرمل لزكريا.

أخبرني جحظة، عن عليّ بن يحيى المنجم.

عن إسحاقَ، قال: اشتركت أنا وأَبو محمد التيميّ في هذا الشعر.

وُصِـف الـصـدّ لـمـن نـهـوى فـصـدّ

وذكر البيتين.

الرشيد يسمع المراثي ويبكي:

أخبرني عميّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن طَهمانَ، قال:

حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق، وكان يقرأ شعر المحدثين على

(١) خِيس الأسد، بكسر الخاء: غابة الأسد وموضعه.

الرشيد قال: قال ليَ الرشيد يوماً: أنشدني مرثيةَ مروان بن أبي حفصةَ في معن بن زائدةَ التي يقول فيها:

كأَن الشمس يومَ أُصيب معنٌ ... منَ الإِظلام مُلْبَسَةٌ جِلالا
هو الخَيْلُ الذي كانت معدٌّ ... تَهُدُّ منَ العدوِّ به الجبالا
أقمنا باليمامة بعدَ مَعْنٍ ... مُقاماً لا نريدُ به زيالا[1]
وقلنا: أين نذهب بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نَوالا؟!

[الوافر]

قال: فأَنشدته إِيَّاها ثم قال لي: أنشدني قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيدَ بن مزيد، فهي واللَّهِ أَحبُّ إِليَّ من هذه، فأَنشدته:

أَحَقٌّ أنه أَوْدى يَزيدُ ... تبيَّنْ أيّها الناعي المُشيدُ؟!
أَتدري مَنْ نعيت وكيف فاهَتْ ... به شفتاك كان بك الصَّعيدُ؟!
أَحامي المجد والإِسلام أَودى ... فما للأرض ويحك لا تميدُ
تأمَّل هل ترى الإِسلام مالت ... دعائمه وهل شاب الوليدُ؟!
وهل شِيمت[2] سيوف بني نِزارٍ ... وهل وُضعت عنِ الخيل اللّبودُ؟!
وهل تَسقي البلادَ عشارُ مُزنٍ ... بِدِرَّتها وهل يخضرُّ عُودُ؟!
أَما هُدَّتْ لمصرعه نِزارٌ ... بَلى وتقوَّض المجد المَشِيدُ؟!
وحَلَّ ضريحَه إذ حلَّ فيه ... طريفُ المجد[3] والحسبُ التَّليدُ[4]
أَما واللَّهِ ما تنفكّ عيني ... عليك بدمعِها أَبداً تجودُ
فإِن تجمُدْ دموعُ لئيمِ قومٍ ... فليس لدمع ذي حسب جُمودُ
أَبعد يزيدَ تختزِن البواكي ... دُموعاً أَوْ تُصان لها خدودُ؟!
لِتَبكِكَ قبَّةُ الإِسلام لما ... وهت أَطنابها[5] وَوَهى العمودُ
ويبكِكَ شاعرٌ لم يُبقِ دهرٌ ... له نَشَبا[6] وقد كَسَد القصيدُ

(١) الزيال: الهلاك والزوال.
(٢) شيمت السيوف: جرّدت من أغمادها.
(٣) طريف المجد: المجد المستحدث، الجديد.
(٤) الحسب التليد: الأصل الرفيع الموروث.
(٥) وهت أطنابها: ضعفت حبالها الطويلة التي يُشدّ بها سُرادق البيت.
(٦) النشب: المال المتداول والثابت كالعقارات.

فـمـن يـدعـو الإمـامُ لـكـل خـطـب ... يَـنـوب وكـلِّ مُـعـضِـلـة تَـؤودُ[1]
ومـن يـحـمـي الـخـمـيـسَ إذا تَـعـايـا ... بـحـيـلـة نـفـسِـه الـبـطـلُ الـنَّـجـيـدُ
فـإن يـهـلـك يـزيـدُ فـكـلُّ حـيٍّ ... فـريـسٌ لـلـمـنـيـة أو طـريـدُ
أَلَـمْ تـعـجـب لـه أنَّ الـمـنـايـا ... فَـتَـكْـنَ بـه وهُـنَّ لـه جـنـودُ؟!
قـصـدنَ لـه وهُـنَّ يَـحـدنَ عـنـه ... إذا مـا الـحـرب شُـبَّ لـهـا وَقـودُ
لـقـد عَـزَّى ربـيـعـةَ أنَّ يـومـاً ... عـلـيـهـا مـثـل يـومِـك لا يَـعـودُ

[الوافر]

قال: فبكي هارون الرشيد بكاءً اتَّسع فيه حتى لو كانت يديه سُكُرَّجَةٌ لملأها من دموعه.

بين التيميّ والأمين:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا أبو العيناء، قال: حدثنا محمد بن عمرَ، قال:

خرج كوثر خادم محمد الأَمين ليرى الحرب، فأَصابته رَجمةٌ في وجهه، فجلس يبكي، فوجَّه محمد مَن جاءه به، وجعل يمسح الدم عن وجهه وقال:

ضـربـوا قُـرَّةَ عـيـنـي ... ومِـنَ اجْـلـي ضـربـوهُ
أَخـذ الـلَّـه لـقـلـبـي ... مـن أُنـاس أَحـرقـوهُ

[مجزوء الرمل]

قال: وأراد زيادةً في الأبيات، فلم يواتِهِ فقال للفضل بن الربيع: من هاهنا منَ الشعراء؟ فقال: الساعةَ رأَيت عبد اللَّه بن أيوبَ التيميّ، فقال: عليَّ به: فلما أُدخل أَنشده محمد هذين البيتين، وقال: أَجزهما، فقال:

مـا لـمـن أَهـوى شـبـيـهُ ... فـبـهِ الـدنـيـا تَـتـيـهُ
وصـلـه حـلـوٌ ولـكـنْ ... هـجـرُهُ مُـرٌّ كـريـهُ
مـن رأَى الـنـاسُ لـه الـفَـضْـ ... ـلَ عـلـيـهـم حَـسـدُوهُ
مـثـلَ مـا قـد حـسـد الـقـا ... ئـمَ بـالـمُـلـك أَخـوهُ

[مجزوء الرمل]

فقال محمد: أَحسنت، هذا واللَّهِ خيرٌ مما أَردنا: بحياتي عليك يا عباسيُّ إِلَّا

(١) تؤدد: يثقل حملها على المرء.

نظرتَ، فإن جاء على الظَّهرِ ملأت أَحمال ظَهره دراهم، وإن كان جاء في زورق ملأته له، فأَوقرتُ له ثلاثة أبغلِ دراهم.

المأمون يعفو عنه ويُعطيه:

قال محمد بن يحيى: فحدثني الحسن بنُ عليل العنزيّ، قال: حدثني محمد بن إدريسَ، قال:

لما قُتِل محمدٌ الأمين خرج أبو محمد التيميّ إلى المأمون وامتدحه فلم يأذن له، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إِليه وامتدحه، فأَوصله إِلى المأمون، فلما سلم عليه قال له المأمون: إيهٍ يا تيميُّ.

مثلَ ما قد حسد القا ئمَ بالمُلكِ أَخوهُ

[مجزوء الرمل]

فقال التيميّ: بل أَنا الذي أقول يا أميرَ المؤمنين:

نُصِرَ المأمونُ عبدُ اللَّه لما ظلموهُ

نقضوا العهدَ الذي كا نوا قديماً أَكَّدوهُ

لم يعاملْه أَخُوه بالذي أَوصى أَبوهُ

[مجزوء الرمل]

ثم أَنشده قصيدة له امتدحه بها أَولها:

جزعتَ ابن تيم أَن أتاك مشيبُ وبان الشبابُ والشبابُ حبيبُ

[الطويل]

قال: فلما أنشده إِياها وفرغ منها قال: قد وهبتك للَّه عزّ وجلّ، ولأَخي العباس ـ يعني الفضل بن سهل ـ وأمرت لك بعشرة آلاف درهم.

الأمين يأْمر له بمائتي ألف درهم:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني عون بن محمد الكِنديّ، قال: حدثني غسَّان بن محمد الكاتب.

عن أبي محمد التيميّ الشاعر، قال: أَنشدت الأمين محمداً أول ما ولي الخلافة قولي:

لا بدَّ من سكرةٍ على طَربِ لعلَّ رَوحاً يُديل من كُربِ

[المنسرح]

الأبيات المذكورة في الغناء، قال: فأَمر لي بمائتي ألف درهم، صالحوني منها على مائة أَلف درهم.

وأخبرني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني عليّ بن يحيى المنجم، قال:

حدثني حسين بن الضحاك قال: قال لي أَبو محمد التيميّ: دخلت على محمد الأمين أول ما وليَ الخِلافة، فقال: يا تيميّ، ودِدْتُ أنه قيل فيَّ مثلُ قول طُريح بن إسماعيلَ في الوليد بن يزيدَ:

طوبى لِفَرعيك من هُنا وهُنا طوبى لأعراقك التي تَشِجُ(١)

[المنسرح]

فإني واللَّهِ أحقُّ بذلك منه، فقلت: أنا أقول ذلك يا أميرَ المؤمنين، ثم دخلت إِليه من غد فأَنشدته قصيدتي:

لا بدَّ من سكرة على طرب لعلّ رَوحاً يُديلُ من كُربِ

[البسيط]

حتى انتهيت إِلى قولي:

أَكرِمْ بفرعينِ يَجريانِ به إِلى الإمام المنصورِ في النَّسبِ

[البسيط]

فتبسم ثم قال لي: يا تيميّ قد أحسنت، ولكنه كما قيل: «مرعى ولا كالسّعدان» ثم التفت إِلى الفضل بن الربيع، فقال: بحياتي أَوْقِر له زورقه مالاً، فقال: نعمْ يا سيدي، فلما خرجت طالبت الفضل بذلك فقال: أنت مجنون، من أَين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم.

مع الفضل بن يحيى:

أخبرني وكيع، قال: حدثني حماد بن إِسحاقَ، قال: حدثني أبي، قال:

كنت على باب الفضل بن يحيى، فأَتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قِرطاس، وسأَلني أن أُوصلها إِلى الفضل، فنظرت فيها ثم خَرَّقت القرطاس، فغضب أبو محمد، وقال لي: أَما كفاك أَنِ استخففت بحاجتي حتى منعتني أن أدفعها إلى غيرك؟ فقلت له: أنا خير لك منَ القِرطاس، ثم دخلت إِلى الفضل، فلما تحدثنا قلت له: معي هدية، وصاحبها بالباب، وأَنشدته، فقال: كيف حفظتها؟ قلت: الساعة دفعَها إليَّ

(١) تَشج: تتشابك وتتداخل في أصولها المتقاربة.

على الباب فحفظتها فقال: دعْ ذا الآن، فقلت له: فأَدخِله، فأُدخِل، فسأله عن القصة فأَخبره، فقال: أَنشدني شيئاً من شعرك، ففعل وجعلت أُردّد أَبياته، وجعلت أُشيِّعها بالاستحسان، ثم خرج التيميّ، فقلت: خُذْ في حاجة الرجل، فقال: أَما إذ عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم، فقلت له: أَما إذ أَقللتَها فعجِّلها. فأَمر بها فأُحضرت، فقلت له: أليس لإعناتك إياي ثمن؟ قال: نعم، قلت: فهاتِه، قال: لا أَبلغ بك في الإِعنات ما بلغتُ بالشاعر في المديح، فقلت: فهاتِ ما شئت، فأَمر لي بثلاثة آلاف درهم، فضممتها إِلى الخمسة الآلاف ووجَّهت بها إِليه.

وذكر أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هِفَّان، عن إسحاقَ، قال:

كان التيميّ وأَخوه أَبو التَّيِّحان، وابن عم له يقال له قَبيصة يشربون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد، فقال التيميّ يذكر ذلك ويتشوّق مثله:

صوت

هل إلى سكرةٍ بناحية الجِيـ ـرة شنعاءَ يا قبيصَ سبيلُ
وأَبو التَّيحانِ في كفهِ القَعـ ـة والرأْس فوقه إكليلُ
وعذارٌ كأَنه بيذق[1] الشطـ ـرنج يفتنُّ فيه قالٌ وقيلُ

[الخفيف]

الشعر للتيمي، والغناء لمحمد بن الأشعث رمل بالوسطى.

التيمي يشتري ضيعة بجائزة الأمين:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أبو العيناء، عن أَبي العالية، قال:

أمر محمد الأمين لعبد اللَّه بن أيوبَ بجائزة عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال بعد ابتياعه إِياها:

إِنِّي اشتريت بما وهبتَ ليَهْ أَرضاً أَمونُ[2] بها قَرابَتِيَهْ
فبحسن وجهك حين أَسألُ قلْ يا ابنَ الربيع احملْ إليه مِيَهْ

[الكامل]

فغُني بها الأمينُ فقال للفضل: بحياتي يا عباسيّ احمل إِليه مائة ألف، فدعا به

(١) بيذق الشطرنج: فارسية.
(٢) أمون: أصون، أحفظ بما لديّ من المؤن والمال.

فأَعطاه خمسينَ أَلفاً، وقال له: الخمسون الأُخر لك عليَّ إِذا اتسعت أَيدينا.

أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء عن أبي العالية، قال:

عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين فشكا وجْدَه بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أميرَ المؤمنين: إِن التيميّ يجد بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إِليَّ ببيتين يسألني فيهما ثمنها: فقال: وما هما؟ فقال:

يـا أَبـا عـيـسـى إِلـيـك الـمـشـتـكـى وأخـو الـصـبـر إِذا عِـيـل[1] شـكـا
لـيـس لـي صـبـرٌ عـلـى فـقـدانـهـا وأعـاف الـمـشـربَ الـمـشـتـركـا

[الرمل]

قال: فأَمر لي بثلاثينَ ألف درهم، فاشتراها بها.

مدحه للفضل بن الربيع والفضل بن يحيى:

أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء، عن أبي العالية، قال:

دخل التيميّ إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأَنشده:

أَلا إِنـمـا آل الـربـيـع ربـيـعُ وغـيـثٌ حـيـاً لـلـمُـرمـلـيـن[2] مَـريـعُ[3]
إذا مـا بـدا آلُ الـربـيـع رأيـتـهـم لـهـم دَرَجٌ فـوق الـعِـبـاد رفـيـعُ

[الطويل]

فأَمر له بعشرة آلاف درهم.

أخبرني عيسى بن الحسن، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمةَ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

مدح أبو محمد التيميُّ الفضل بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعَها إلى إِسحاقَ الموصليّ، فعرضها على الفضل بن يحيى فأَمر له بثلاثة آلاف درهم والأبيات:

لـعـمـرْك مـا الأشـرافُ فـي كـل بـلـدة وإِن عـظـمـوا لـلـفـضـل إلا صـنـائـعُ
تـرى عـظـمـاء الـنـاس لـلـفـضـل خُـشَّـعاً[4] إِذا مـا بـدا، والـفـضـل لـلَّـه خـاشِـعُ
تَـواضـعَ لـمَّـا زادَه الـلَّـهُ رِفـعـةً وكـل جـلـيـل عـنـدَه مـتـواضـعُ

[الطويل]

---

(١) عيل: كثر عياله وإنفاقه عليهم.
(٢) المرملين: الفقراء.
(٣) مريع: خصيب.
(٤) خشعاً: خاضعين.

قوله في الخمسين:

أخبرني جحظة، قال: حدثني عليّ بن يحيى المنجم، قال: حدثني إسحاق الموصليّ عن محمد بن سلام قال:

كتب الحجاجُ إلى قتيبة بن مسلم: إني قد نظرت في سني فإذا أَنا ابن ثلاث وخمسين سنة، وأَنا وأنت لِدَةُ عامٍ وإن امرأً قد سار إلى مَنهلِ خمسين سنة لقريب أن يرِده، والسلام.

فسمع هذا أبو محمد التيميّ مِني، فقال:

إذا ذهب القَرنُ الذي أنت فيهمُ ... وخُلِّفت في قَرنٍ فأنت غريبُ
وَأن امرأً قد سار خمسين حِجَّةً ... إلى منهل من وِرده لقريبُ

[الطويل]

المأمون يُعطيه معَ تعريضه به:

حدثني عمّي، قال: حدثني أحمد بن طاهر، قال: حدثني أبو دِعامةَ عليُّ بن زيد، قال:

حدثني التيميُّ أبو محمد، قال: دخلت على الحسن بن سهل، فأَنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه، وعندَه طاهر بن الحسين، فقال له طاهر: هذا واللَّهِ أيُّها الأميرُ الذي يقول في محمد المخلوع:

لا بُدَّ من سكرة على طربِ ... لعلّ روحاً يُديل من كُربِ
خليفةُ اللَّه خيرُ مُنتخبٍ ... لخير أُمٍّ عن هاشمٍ وأبِ
خِلافةُ اللَّه قد توارثها ... آباؤه في سوالف الكتبِ
فهي له دونكم مورَّثةٌ ... عن خاتم الأنبياء في الحِقبِ
يا ابنَ الذرى من ذوائب الشـ ... ـرف الأقدم أنتم دعائم العربِ

[المنسرح]

فقال الحسن: عَرَّض واللَّهِ ابنُ اللخناء بأَمير المؤمنين، واللَّهِ لأُعلمنَّه. وقام إلى المأمون فأَخبره، فقال المأمون: وما عليه في ذلك؟ رجل أمَّل رجلاً فمدحه، واللَّهِ لقد أحسن بنا وأَساء إليه إذ لم يقترب إليه إلا بشرب الخمر، ثم دعاني فخلع عليَّ وحملني، وأَمر لي بخمسة آلاف درهم.

أول شعر عرف به:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو الشبل البرجميّ عن أبيه، قال:

قال لي أبو محمد التيميّ: أول شعر عُرفت به فشاع ذكري ووصلت قولي:

صـوت

طاف طيفٌ في المنام ... بمُحِبٍّ مستهامِ
زورةً أبقت سَقاماً ... وشفت بعضَ السَّقامِ
لم يكن ما كان فيها ... من حرامٍ بحرامِ
لم تكن إلا فُواقاً ... وهي في ليل التِّمامِ

[مجزوء الرمل]

الغناء لإسحاق، فقال: فصنع فيها إسحاق لحناً وغنى به الرشيد، فسأله عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف يعرف بالتيمي، فطُلبت وأُمرت بالحضور، فسألت عن السبب الذي دُعيت له فعُرِّفته، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون، ودخلت إليه فأنشدته إياها، فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وصرت في جملة من يدخل إليه بنوْبة، وأمر بأن يُدوَّن شعري.

في بيت إسحاقَ الموصليّ:

أَخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إِسحاقَ، قال: حدثني عمّي طيَّاب بن إِبراهيمَ الموصليّ، قال:

حدثني أبو محمد التيميّ الشاعر، قال: اجتزت يوماً بأَخيك إِسحاقَ، فقال: ٱدخلْ حتى أُطعمك طعاماً صِرفاً[1]، وأسقيك شراباً صِرفاً، وأُغنّيك غِناء صِرفاً، فدخلت إِليه، فأَطعمني لحماً مُكبباً وشِواءً حاراً وبارداً مُبزَّزاً، وأسقاني شراباً عتيقاً صرفاً، وغنّاني وحدَه مرتجلاً.

ولو أنَّ أَنفاسي أَصابت بحرِّها ... حديداً إذاً كاد الحديدُ يذوبُ
ولو أَنَّ عيني أُطلقت من وِكائها[2] ... لما كان في عام الجُدوب[3] جدوبُ

(١) صِرفاً: خالصاً.
(٢) الوِكاء، بكسر الواو: كلُّ ما شُدَّ رأسه من وعاء ونحوه، أو رباط القربة ونحوها.
(٣) الجدوب: المحل، القاحل.

ولو أَنَّ سلمى تطلُع الشمس دونها وأُمسي وراء الشمس حين تغيبُ
لحدَّثت نفسي أن تَريعَ[١] بها النَّوى[٢] وقلت لقلبي: إنها لقريبُ
[الطويل]

فلم تزل تلك حالي حتى حُمِلت من بيته سُكراً.

التيميّ يعرض نفسه على عمرو بن مسعدةَ:

حدثنا حماد بن إِسحاقَ، عن أَبيه، قال: دخلت يوماً على عمرو بن مسعدةَ، فإِذا أَبو محمَّد التيميّ واقف بين يديه يستأذنه في الإِنشاد، فقال: ذاك إِلى أَبي محمد، يعنيني، وكان على التيميّ عاتباً، فكره أن يمنعه لعلمه بما بيننا منَ الموَدَّة، فقلت له: أَنشد، إذ قد جعل الأَمر إِليَّ فإِني أرجو أَن يجعل أَمر الجائزة أَيضاً إليَّ فتبسَّم عمرو، وأَنشده التيميّ:

يا أَبا الفضل كيف تَغفُلُ عنّي أَمْ تُخلِّي عند الشدائد منِّي
أَنسيتَ الإِخاء والعهد والودَّ حديثاً، ما كان ذلك ظنِّي
أَنا من قد بلوتَ في سالف الدهـ ـر مضت شِرَّتي[٣] ولم تفن سِنِّي
فاصطنعني لما ينوب به الدهـ ـرُ فإِني أَجوز في كل فنِّ
أَنا ليثٌ على عدوّك، سِلم لك في الحرب فابتذِلني وصُنِّي
أَنا سيف يومَ الوغا وسِنانٌ ومِجنّ[٤] إن لم تشق بمِجَنِّ
أَنا طَبّ[٥] بالرأي في موضع الرأْ ي مُعينٌ على الخَصيم المِعَنِّ[٦]
وأَمينٌ على الودائع والسرِّ إذا ما هَويتَ أن تأْتمِنِّي
ونديمٌ إذا أَردت نديماً ومغنٍّ إن لم يَزُرك مُغنِّي
[الخفيف]

قال: فأَقبل عليَّ عمرو، وهو يضحك، وقال: أَتعلَّم هذا الغناء منك أَم كان يعْلمه قديماً؟ فقلت له: يكذِب أَعزَّك اللَّه، فقال: أَفي هذا وحدَه أو في الجميع؟ فقلت: أَما في هذا فأَنا أَحُقُّ كذِبَه، واللَّه أَعلم بالباقي، ثم أَنشده:

---

(١) تريع: ترجع.
(٢) النوى: البعد.
(٣) شِرّتي: حدّتي، سطوتي.
(٤) المجن، بكسر الميم: الترس.
(٥) طبّ: عالم، أريب، خبير.
(٦) المِعنّ، بكسر الميم، من الرجال: من يدخل ويحشر نفسه فيما لا يعنيه.

وإذا مـــا أَردت حـــجّـــاً فـــرحَّـــا لٌ دلـــيـــلٌ إِن نـــام كـــلُّ ضِـــفـــنٍّ[١]

[الخفيف]

فقال له: إذا عزمنا على الحج امتحناك في هذا، فإني أراك تصلح له، ثم أنشده:

ولـــبـــيـــبٌ عـــلـــى مـــقـــال أبـــي الـــعـــبَّـــاس إنـــي أرى بـــه مـــسَّ جـــنٍّ

[الخفيف]

فقال: ما أراه أبعدَ، فقال:

وهُـوَ الـنـاصـح الـشـفـيـق ولـكـن خـاف هَـيـجَ[٢] الـمِـرار[٣] فـازورَّ عـنّـي

وظـريـفٌ عـنـد الـمـزاح خـفـيـف فـي الـمـلاهـي وفـي الـصِّـبـا مُـتـثـنّـي

كـيـف بـاعـدتَ أو جـفـوتَ صـديـقـاً لا مـلـولاً، لا ولا مُـتـجـنّـي

صـرتُ بـعـد الإِكـرام والأُنـس أَرضـى مـنـك بـالـتـرهَّـاتِ مـا لـم تُـهـنِّـي

لـم تـخُـنـي ولـم أَخـنـك ولا واللَّـهِ ربـ ـي لا خُـنـتُ مـن لـم يَـخُـنّـي

إن أَكـن تُـبـت أَو هـجـرتُ الـمـلاهـي وسُـلافـاً[٤] يُـجـنُّـهـا بَـطـنُ دنٍّ

فـحـديـثـي كـالـدُّرِّ فُـصِّـل بـالـيـا قـوت يـجـري فـي جِـيـد ظـبـي أَغـنِّ

[الخفيف]

فأَمر له بخمسة آلاف درهم، فقال له: هذا شيء تطوَّعتَ به، فأَين موضع حُكمي؟ فقال: مثلها، فانصرف بعشرة آلاف درهم.

حنين إِلى الخمر:

أخبرني عمِّي، قال: حدثني محمد بن الحسن، قال: حدثني عليّ بن عمرو، قال:

مرَّ التيميّ بالحِيرة على خمار كان يألفه، وقد أَسنّ التيميّ وأُرعش[٥] وترك النبيذ، فقال له الخمار: ويحك، أَبلغَ بك الأَمرُ إلى ما أَرى؟ فقال: نعم واللَّهِ ولولا ذلك لأكثرت عندك، ثم أَنشأَ يقول:

---

(١) الضِّفن من الرجال: الأحمق القصير.

(٢) هيج: اضطراب.

(٣) المِرار؛ الواحدة مرَّة: فوران الأخلاط البدنية من صفرة وسوداء.

(٤) السلاف: من أسماء الخمرة.

(٥) أرعش: بدأت يداه ترتجف، دلالة على مرضه.

صوت

هل إلى سكرة بناحية الحيرة يوماً قبل الممات سبيلُ؟!
وأَبو التَّيحانِ في كفّه القر عةُ والرأْس فوقَه الإِكليلُ
وعذار كأنه بيذق الشط رنج يفتنُّ فيه قالٌ وقيلُ
[الخفيف]

في هذه الأبيات لمحمد بن الأشعث رمل بالوسطى عنِ الهشاميّ.

التيميّ يهوى غلاماً:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا عيسى بن إِسماعيلَ، قال:

كان أَبو محمد التيميّ يهوى غلاماً، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القِيان، فكان بها مشغولاً عنه، وكانتِ القينة تهوى الغلام أيضاً، فلا تُفارقه، فقال التيميّ:

ويلي على أَغيدَ ممكورِ[1] وساحرٍ ليس بمَسحورِ
تُؤْثره علينا الحورُ كما نؤثره نحن على الحورِ
عُلِّق من علِّقَه في هوًى منتظمِ الأُلفة مَعمورِ
وكلُّ من يهواه في أَمره مُقلِّبٌ صفقة مقمورِ
[السريع]

منحة الأمين:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن محمد الفارسيّ، قال: حدثنا غسان بن عبد اللَّه.

عن أبي محمد التيميّ، قال: لما أنشدتُ الأمين قولي فيه:

خليفة اللَّه خيرُ منتخبِ لخير أمّ من هاشمٍ وأبِ
أكرم بعِرقينِ يجريانِ به إِلى الإِمام المنصور في النسبِ
[المنسرح]

طرب ثم قال للفضل بن الربيع: بحياتي أَوقِر له زورقه دراهم، فقال: نعم يا سيدي؟ فلما خرجنا طالبته بذلك فقال: أمجنونٌ أنت من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم

(١) ممكور: حسن القوام متجانس الشكل.

صالحني على مائة ألف درهم فقبضتها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه المدينيّ، قال:

حدثني عبد اللَّه بن أحمد التيميُّ ابنُ أخي أبي محمدٍ التيميِّ الشاعر قال: أَنشدني عمّي لنفسه قوله:

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمَع ... فإِن ذاك مُضرٌّ منك بالدِّينِ
وارغب إِلى اللَّه مما في خزائنه ... فإِنما هو بين الكاف والنُّونِ
أما ترى كلَّ من ترجو وتسأله[1] ... من الخلائق مسكين ابن مسكينِ؟!

[البسيط]

صوت

ألم تر أنني أفنيتُ عمري ... بمطلبها ومطلبها عسيرُ
فلما لم أجد سبباً إليها ... يُقربني وأعيتني الأمورُ
حججتُ وقلتُ قد حجَّت جنانٌ ... فيجمعني وإياها المسيرُ

[الوافر]

الشعر لأبي نواس، والغناء للزبير بن دحمان رمل بالوسطى من رواية أحمد بن المكي وبذل، وغناني محمد بن إبراهيم قريض الجرَّاحي رحمه اللَّه فيه لحناً من خفيف الثقيل، فسألته عن صانعه فلم يعرفه.

(١) تسأله: تطلب عطاءه.

فهرس المحتويات

أخبار محمد بن وُهيب ٥
اسمه ونسبه ٥
تكسبه بشعره وتشيعه ٥
منزلته ٥
لزومه للحسن بن رجاء ٦
تعظيم أبي القاسم بن عيسى له ٧
تهنئته للمطلب بن عبد اللَّه بالحج ٨
طرب الحسن بن سهل لشعره واقتطاعه لنفسه ٩
أفحش هجاء يقوله في علي بن هشام ١١
ابن وُهيب والأَعرابية ١٢
في مجلس يزيدَ بن هارون ١٣
مذهبه من شعره ١٣
اعتزازه بشعره ١٤
مدحه لأَحمدَ بن هِشام وطلب العطاء منه ١٥
المأمون يُلحقه بجوائز ابن أبي حفصة ١٥
مدائحه للمأمون وابن سهل ١٧
ذهابه إِلى الموصل لأخذ جوائز واليها المطلب ١٧
قصيدته في أَبي عباد الوزير حين أبعده ١٩
عشرة آلاف لأبي تمام وثلاثون ألفاً لابن وُهيب ٢٠
ابن وُهيب يُودّع الدنيا ٢١
هجوم ودِفاع ٢٢
معَ محمد بن عبد الملك الزيات ٢٢
أخبار مزاحم ونسبه ٢٤

اسمه ونسبه ٢٤
خديعة عمه له ٢٥
سجنه ثم هربه ٢٦
طلب وصد ٢٧
جرير يتمنى أن يكون له بعض شعر مزاحم ٢٧
مزاحم يهوى ليلى قيس ٢٨
رأْي الفرزدق وجرير وذي الرمة في شعره ٢٩
أخبار بكر بن النطاح ونسبه ٣١
اسمه ونسبه ٣١
معَ الرشيد ٣٢
شعره في الجارية رامشنة ٣٢
نقد المأمون له ٣٣
مدحه لأبي دُلف ٣٣
عشقه لغلام وشعره فيه ٣٤
خيبة أمله في أبي دُلف ٣٤
إِغداق أبي دُلف فيه ٣٥
رثاؤه لمعقل بن عيسى ٣٦
أَحد الشعراء يهجوه لبخله ٣٦
مدح وهجاء ٣٧
رثاؤه لمالك الخزاعيّ ٣٨
حنينه إِلى بغداد ٤٠
شعره في الجارية درَّة ٤١
مقتل مصعب بن الزبير ٤٥
مقتل مصعب ٤٩
خطبة عبد اللَّه بن الزبير بعدَ مقتل مصعب ٥١
أَشجع الناس مصعب ٥٢
وفاء ابن الرقيات لمصعب ٥٣

ذكر أَشعب وأَخباره ٥٥
نسبه وسيرته ٥٥
أَطمع من أَشعب ٥٦
أَشعب في الشام ٥٧
أَشعب يروي الحديث ٥٩
دعوة مستجابة ٦٠
أشعب والدينار ٦٠
أَشعب يغني ٦١
من يُصلي بأَهل السجن؟ ٦٢
طرائف لأشعَب ٦٣
بين أشعب وولده ٦٥
حديث أشعب عن وفاة بنت الحسين بن علي ٦٥
أشعب يُرضِعُ جديه لبنَ زوجه ٦٧
حزن أَشعَب لوفاة خالد بن عبد اللَّه ٦٨
أشعب يجزّ لحيته ٦٩
صراحته وطرافته ٧٠
أشعب معَ سُكينةَ بنتِ الحسين وديباجة الحرم ٧٣
أشعب يقوقي مثل الدجاجة ٧٥
أَشعب يُغني أمام جارية صريم ٧٥
أَشعب يبكي على الصريمية ويلعنها! ٧٦
أشعب ينتصر على منافسه ٧٦
أشعب يطلُب العطاء من عبد اللَّه بن عمرَ ويُغني له ٧٧
تحايل أشعب ٧٨
أشعب يتسوّر البُستان طلباً للطعام ٧٩
عبد يسلح في يد أشعب ٨٠
حفيد عمرَ يُعطي أشعبَ ليكف عنِ الغناء الماجن ٨٠
أشعبُ أحسن تأديةً للّحن من معبد ٨١

جرير يعطي أشعب ويُطربُ له ٨٢
أُم عمرَ بنتُ مروان تستحجب أَشعب ٨٢
أَشعب بين الوليد بن يزيدَ ومطلقتِه سعدة ٨٣
أَشعب يَبتلي بحاكم بخيل ٨٥
الغاضريّ وأَشعب ٨٦
جدْي زياد بن عبد اللَّه الحارثيّ ٨٧
سكينة تأمر بحلق لحيته ثم تعفو عنه ٨٧
بخل زياد بن عبد اللَّه الحارثيّ ٨٨
هزل أبان بنِ عثمانَ ٨٨
أشعب يخاف أن يُحسدَ على خفة موته وسهولة نزعه ٩٠
الضرطة بنقطة ٩٠
الحسن بن الحسن بن عليّ يعبث بأشعَب ٩١
أخبار عُويف ونسبه ٩٤
اسمه ونسبه ٩٤
فخار قبائل ٩٤
عود إلى عويف ٩٦
قصته مع الوليد بن عبد الملك وسببها ٩٧
عُويف وعمر بن عبد العزيز ١٠١
يوم مرج راهط ١٠٢
موقف الضحاك بن قيس الفهريّ ١٠٣
ما قيل في يوم المرج وقتلاه ١٠٣
أهل البادية ينتصفون من أهل القرار ١٠٥
حميد بن بحدل يشن الغارة على بوادي قيس ١٠٦
حميد ينتقم من عبد اللَّه بن مسعدة ١٠٨
أسماءُ بن خارجةَ يشكو حميداً إِلى عبد الملك ١٠٨
فزارةُ تشتري بالدية سِلاحاً وتنتقم لنفسها ١١٠
عبد الملك يعرض الدية ١١٠

عُويف القوافي يمدح عُيينةَ رغم حقدِه عليه ١١٢
عُويف يمدح عبد الرحمٰن بن محمد بن مروان ١١٣
رثاؤه لسليمانَ ومدحه لعمرَ بنِ عبد العزيز ١١٤
أَخبار عبد اللَّه بن جحش ١١٦
خبر زواجه بصهباء ١١٦
عبد الملك يعجب بشعر عبد اللَّه ويطرد ابنه لأنه ضيّع كتاب أبيه ١١٧
أَخبار العرجي ١٢٠
أخبار عبد اللَّه بن العباس الربيعيّ ١٢٢
اسمه ونسبه ١٢٢
منزلة شعره ١٢٢
سبب دخوله في الغناء ١٢٣
موقف جَدِّه منه ١٢٤
بين يدي الرشيد ١٢٥
المعتصم يأمره أَن يعممَ الغِناء ويُكفّرَ يمينه ١٢٥
غيظ أبيه منه ١٢٦
إِسحاقُ الموصليّ يصنع له لحناً ١٢٧
العباس بن الفضل يصبح مهموماً ثم ينشطه الشعر والشرب ١٢٧
عبد اللَّه بن العباس يُوسِّط ابن المرزبان لدى المنتصر ١٢٨
غناؤه معَ إِسحاقَ ١٢٨
يقيم على لواط ويشرب على زنا ١٣٠
فائز يغني لعبد اللَّه حتى يسكر ١٣٠
أبو أحمدَ بن الرشيد يشتري فائزاً بثلاثمائة ألف درهم ١٣١
عبد اللَّه يشرب في ليلة من رمضان حتى الفجر ١٣١
الواثق يأمر له بثلاثينَ أَلف درهم على لحن غناه به ١٣١
إكثارُه من مدح الصبوح ودوامُه عليه ١٣٢
استلهامه منَ القمر ١٣٣
وصفه للبرق ١٣٤

عبد اللَّه يصف لقاءَه معَ جارية يحبها ١٣٥
عبد اللَّه بين الغراب والهدهد ١٣٥
أين هذا الغناء من ذاك؟ ١٣٦
عبد اللَّه يُغني للمنتصر شعراً لا يُريده فلا يصله بشيء ١٣٧
المتوكل يطرب له ويمنحه عشرينَ ألف درهم ١٣٧
الجِنُّ تنقل عنه ١٣٨
ابن الجهم يحتمل خراج عبد اللَّه عطيةً له ١٣٨
رُبّ جِدّ جرّه اللّعب ١٣٩
عبد اللَّه يملك عساليج ١٤٠
الواثق يأمر له بثلاثينَ ألفَ درهم ١٤١
عبد اللَّه يتعشّق مصابيح ويقول فيها شعراً ١٤١
عبد اللَّه يُغني في دار ابن حماد ١٤٣
الواثق يخشى عليه أن يغيّر دينه ١٤٣
عبد اللَّه يحكي حاله ١٤٤
تعشّقه لغلام حزام خادم المعتصم ١٤٤
خبره معَ الرشيد ١٤٥
الواثق يقترضُ ثلاثمائة ألف درهم ليُعطيَها لعبد اللَّه ١٤٦
يوم السعانين ١٤٧
عبد اللَّه يشرب ليلة الشك بين رمضانَ وشعبانَ ١٤٧
خمسة آلاف درهم لأغنية غناها للواثق ١٤٨
من مليح صنعته ١٤٩
ألف دينار له منَ الواثق ١٤٩
المتوكل يفضله على سائر المغنين ١٥٠
محمد بن عبد الملك الزيات يُشيد بذكره بين يدي المعتصم ١٥٠
القاضي العاشق ١٥٠
غناؤه لبِشر خادم ابن عجيف فرحاً بشفائه ١٥١
سرور الواثق لبراعة استهلاله وعطاؤه له ١٥٢

في ساعة الوداع ١٥٢
احتفاله بنصف شعبانَ على طريقته ١٥٣
الاستعداد لشهر الصيام ١٥٣
عبد اللَّه يحرم المرابين من مائة ألف دينار ١٥٤
عتبه على إخوانه واعتذارهم له ١٥٤
غناؤه عند علُّويه ١٥٥
عبد اللَّه يعلم وصيفته هِيلانة ١٥٥
نسبة هذا الصوت ١٥٦
أَخبار سَلْم الخاسر ونسبه ١٥٧
اسمه ونسبه ١٥٧
لماذا لقب بالخاسر؟ ١٥٧
بينه وبين أبي العتاهية ١٥٧
عود إلى لقبه ١٥٨
مع بشار بن بُرد ١٥٩
قوله في قصر صالح بن المنصور بدجلة ١٦٠
أول عطية سنية وصلت إليه ١٦١
عاصم بن عتبةَ يعطي سَلْماً ثم يرثه ١٦٢
يزيدُ بن مزيد يحسد عاصماً لأبيات قالها فيه سَلَم ١٦٢
تقديمه لأبي العتاهية على بشار ثم انحرافه عنه ١٦٣
رده على أبي العتاهية ١٦٣
الجماز ينتصر لخاله سَلْم من أبي العتاهية ١٦٤
عطايا الرشيد وآل برمك له ١٦٤
سَلْم يطلب من شاعر أن يَهجوه ثم يندم ١٦٥
إسراف وبخل ١٦٦
بلاؤه بالكيميا ١٦٦
رثاؤه للبانوكة بنت المهدي ١٦٧
هجاؤه لوالبةَ بنِ الحُباب ١٦٧

المهديّ يتوعده لمدحه بعضَ العلويين ثم يعفو عنه بعد اعتذاره ١٦٨
رأي أبي عُبيدةَ معمر في سَلْم ١٦٨
سلم يُعدّ المراثي قبل موت أصحابها ١٦٨
سَلْم يشتم أبا العتاهية ١٦٩
أبو الشمقمق يهجو سَلْماً ١٦٩
سَلْم يمدح يعقوب بنَ داودَ بعد أن ولَّاه المهديّ وعزل أَبا عُبيد اللَّه ١٧٠
مدحه للفضل بن الربيع ١٧٠
سَلْم يُخاطب الرشيد حين عقد البيعة لابنه الأمين ١٧١
المهديّ يُعطيه خمسمائة ألف درهم ١٧١
عطاءُ سلم يزيد على عطاء مروان بنِ أبي حفصةَ ١٧٢
الرشيد يرث سلماً ١٧٣
رثاؤه لابني عبد الملك بن مسمع ومعن بن زائدة ١٧٣
قصيدة بمائة ألف درهم ١٧٤
الفضل بن يحيى يقسم هداياه في النيروز ١٧٤
أَحسن ما مدح به معن ١٧٥
مدحه للفضل بن يحيى ١٧٥
أبو الشمقمق يهجو سَلْماً ١٧٦
الرشيد يتطيّر من سَلْم ١٧٦
تهنئته لموسى الهادي بالخلافة ١٧٧
سَلْم يعترف بفضل بشار ١٧٧
أشجع السلميّ يرثي سَلْماً الخاسر ١٧٨
أَخبار أَبي صدقةَ ١٨٠
اسمه ومنزلته ١٨٠
مسكين وفاقة وصدقة ١٨٠
أبو صدقَة ينال الإِعجاب والعطايا ١٨٠
الطبع يغلب التطبع ١٨٢
نسبة ما مضى في هذه الأَخبار منَ الغناء ١٨٣

الرشيد يعبث بأبي صدقةَ ١٨٣
أبو صدقةَ بين جعفر بن يحيى والرشيد ١٨٥
سبب وصول أبي صدقةَ إلى السلطان ١٨٦
أخبار فضل الشاعرة ١٨٨
مولدها ونشأتها ١٨٨
صفاتها ١٨٨
إهداؤها للمتوكل ١٨٨
استحسانه لشعرها ١٨٩
فضل تقول شعراً في جارية ١٨٩
بين فضل ومحبيها ١٩٠
فضل تُجيز الشعر ١٩١
بين فضل وسعيد بن حميد ١٩٢
فضل تعتذر ١٩٣
المتوكل ينام وبينه وبين فضل موعد ١٩٤
هجاء متبادل ١٩٤
رسول الخليفة يطلبها ١٩٥
فضل تبكي على الخليفة ١٩٦
الخليفة يقبل وفضل تصف ١٩٦
بين فضل وسعيد بن حُميد ١٩٧
فضل تعتذر لبُنان ١٩٨
المتوكل يُعطيها مائتي دينار ١٩٨
نسب ابن الخياط وأخباره ٢٠٠
اسمه ونسبه ٢٠٠
عطاء المهديّ له ٢٠٠
هجَّاء ٢٠٠
يونس يهجو أباه ٢٠٠
هجاؤه لمحدث نعمة ٢٠١

هجاؤه لموسى بن طلحةَ ثم اعتذاره ٢٠١
ابن الخياط يذكر أمر ابن أبي قُتيلةَ وجاريته ٢٠٢
عبد اللَّه وابنه يونسُ يتنازعانِ العطاء ٢٠٣
قصاص ٢٠٤
يونس يشكو الفقر ٢٠٤
يستعفي منَ الصلاة ٢٠٥
يسكر فيُعطي ثم يصحو فيسترد ٢٠٥
وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها ٢٠٦
عبد اللَّه يفضل ابنه يونسَ عليه في الفرض ٢٠٦
يونس يهجو هشام بن عبد اللَّه ٢٠٧
يونس يغيظ أباه ٢٠٨
جلد يونس وشعره في ذلك ٢٠٨
ابن الخياط على فِراش الموت ٢٠٨
أخبار عليّ بن جَبلةَ ٢١١
اسمه ونسبه ٢١١
اختلافه إلى مجالس العلم والأدب ٢١١
أبو دُلف يشكّ في شعره ويمتحنه ٢١٢
المأمون يطلب سماع شعر ابن جبلَة في أبي دُلف ٢١٥
مناسبة القصيدة ٢١٧
أبو دَلف يبكي لأنه لم يوفِ ابنَ جبلةَ حقّه ٢١٧
أبو تمام يتمنَّى أن يكون له بعض شعر ابن جبلة ٢١٨
مدحه لأبي دُلف وحُميد الطوسيّ ينفر منه المأمون ٢١٨
أَبو دُلف لا يقوى على انقطاع ابن جبلةَ ٢١٩
عبد اللَّه بن طاهر يرفض مدحَه ٢٢٠
مدح حُميد الطوسيّ ٢٢١
رثاؤه لحُميد الطوسيّ ٢٢١
الطائيان يأخذان معاني ابن جبلةَ ٢٢٣

سبب إجادته في مديح حُميد ٢٢٤
ابن جبلةَ يصف حُميداً في جيش عظيم ٢٢٤
قصيدته له يوم النيروز ٢٢٥
أبو دُلف يتطيّر من مطلع شعره ٢٢٥
ابن جبلةَ يقرض شعره الخريميّ ٢٢٦
معَ ابن طاهر في خُراسان ٢٢٦
تهنئته لحميد بشهر رمضان ٢٢٧
إنشاده له بعد رمضان ٢٢٨
يأْخذ العطاء وينثره في حِجر عشيقته ٢٢٩
قوله في جارية ٢٣٠
أَقبح ما هجي به في ترك الضيافة ٢٣١
حُميد يُعطيه ما خصمه للصدقة ٢٣١
ابن جبلة يستشفع بحُميد إلى أبي دُلف ٢٣٢
استحسانه لشعر أبي سعيد المخزوميّ ٢٣٢
ابن جبلةَ يخشى أن يمدح المأمون ٢٣٣
هربه منَ المأمون ثم ظفره به ٢٣٤
المأمون يستحلّ دمه ٢٣٤
أخبار التيميّ ونسبه ٢٣٦
اسمه ونسبه ٢٣٦
وصفه للخمر ٢٣٦
رثاؤه لابنه حَيان ٢٣٧
التيميّ يكمل بيت إِسحاقَ ٢٣٧
الرشيد يسمع المراثي ويبكي ٢٣٨
بين التيميّ والأمين ٢٤٠
المأمون يعفو عنه ويُعطيه ٢٤١
الأمين يأْمر له بمائتي ألف درهم ٢٤١
مع الفضل بن يحيى ٢٤٢

التيمي يشتري ضيعة بجائزة الأمين ٢٤٣
مدحه للفضل بن الربيع والفضل بن يحيى ٢٤٤
قوله في الخمسين ٢٤٥
المأمون يُعطيه معَ تعريضه به ٢٤٥
أول شعر عرف به ٢٤٦
في بيت إِسحاقَ الموصليّ ٢٤٦
التيميّ يعرض نفسه على عمرو بن مسعدةَ ٢٤٧
حنين إِلى الخمر ٢٤٨
التيميّ يهوى غلاماً ٢٤٩
منحة الأمين ٢٤٩
فهرس المحتويات ٢٥١